

١٠٥ سؤال

حول

النبي

محمد

الله عليه
صلَّى وَآلَهُ
وَسَلَّمَ

الشيخ
مأجُونًا صَارِ الزَّيْدِي

دار المحمد البيضاء





مكتبة نرجس PDF

www.narjes-library.blogspot.com

٥٠٠ سؤال
حول النبي محمد ﷺ

© جَمِيعُ الْحَقِيقَةِ مَحْفُوظٌ

الطبعة الثانية

١٤٣٤ - ٢٠١٣

ISBN : 978-9953-567-69-3

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٢٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ E-mail : almahaja@terra.net.lb

E-mail & FB: info@daralmahaja.com

www.daralmahaja.com



٥٠٠ سؤال

حول النبي محمد ﷺ

الشيخ

ماجد ناصر الزبيدي

دار المحمد البيضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين . . .

أما بعد . . .

تكلمت لموسوعتنا «٥٠٠ سؤال» كانت هذه المرحلة هي مرحلة المؤسس والأب النبي الأكرم محمد ﷺ فذكرنا في كتابنا هذا «٥٠٠ سؤال» في كل ما يختص به من سيرة النبي ﷺ لكن تركنا جانب وأن كان يعد مهماً لدينا ولدى القارئ العزيز وهو علاقته بأهل الكساء ونحن تركناه عمداً لعدم التكرار فقد تطرقنا لهذا الموضوع في سيرة كل إمام ففي كتابنا «٥٠٠ سؤال حول الإمام علي ؑ» تطرقنا إلى علاقته برسول الله ﷺ وكذلك الحسن وفاطمة وان شاء الله في يدي كتاب «٥٠٠ سؤال حول الحسين» سنجعل فصل أو باب كامل لذلك

الموضوع سائلين الله تعالى أن يكون نبينا نبي الرحمة شفيعنا في يوم القيمة يوم لا ينفع مال ولا بنون

يقول العبد الفقير لله يا مولاي تقبل مني هذا العمل المتواضع وأجعله لي نوراً أستضيء به على الصراط والحمد لله رب العالمين

المؤلف، الشيخ الزبيدي
بيروت / لبنان

حياته

س١: من هو محمد؟!.

ج: هو محمد ﷺ، بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معبد بن عدنان.

س٢: لماذا وقفت نسب النبي ﷺ لعدنان؟!.

ج: وذلك لأنّه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا بلغ نسي إلى عدنان فامسكوا» وهذا أمسكنا عن ذكر ما فوق عدنان.

س٣: ما هي كنية النبي محمد ﷺ؟!.

ج: كنيته هي «أبو القاسم».

س٤ - س٥: هل أن أبا وأم وجبيع أجداد النبي ﷺ كانوا

مسلمين؟ ولماذا؟ .

ج: / أفضل ما يجابت على السؤال الأول ما قاله العلامة المجلسي، قال: «اعلم إنَّ إجماع علماء الإمامية معقود على أنَّ آبا رسول الله ﷺ وأمَّه، وجميع أجداده وجداته حتَّى آدم عليهما السلام كانوا كلُّهم مسلمين، وأنَّ نوره عليهما السلام لم يستقرَّ في صلب ورحم مشركين، ولنست هُناك شبهة في نسبة عيسى عليهما السلام وآبائه وأمهاته، وللأحاديث المتواترة عن الخاصة والعامة دلالتها على هذه المضامين».

بل يتضح من الأحاديث المتواترة أنَّ أجداده عليهما السلام كانوا كلُّهم أنبياء وأوصياء وحملة لشريعة الله، وأنَّ أبناء إسماعيل - وهو أجداده - كانوا أوصياء لإبراهيم عليهما السلام. وسادة لمَّة، وسدنة لبيت الكعبة، وكان ترميمها وإعمارها موكلاً إليهم، كما كانوا مرجعاً للخلق عامة، وفيهم كانت ملة إبراهيم عليهما السلام، وكانوا حفظة لتلك الشريعة، يوصي بها بعضهم بعضاً، كما يودع أحدهم الآخر آثار الأنبياء حتَّى وصلت إلى عبد المطلب، الذي جعل آبا طالب وصيَّاً له، وقام أبو طالب بتسليم آثار الأنبياء وودائعهم عليهما السلام إلى حافظ الرسالة عليهما السلام انتهى.

أما لماذا؟ فالقرآن الكريم يخاطبه ويقول له «وتقربك في الساجدين»، فإذا كان أحد أجداده كافر أو مشرك «والعياذ بالله» فكيف يكون تقبلاً في الساجدين... .

س٦: / من هو «عدنان» المذكور من أجداد النبي ﷺ ووقف عندهُ النسب؟!

ج: / عدنان المذكور بن «ادد» واسم أمه «بلهاء»، وفي أيام طفولته كانت الرشد والشهامة تلتمع على جبينه المبارك، وكان كهنة ذلك العهد ومنجمو تلك الأيام يقولون بأنه سيظهر من نسله شخص يطيعه الإنس والجان ولهذا السبب برب له أعداء كثيرون.

ولما بلغ عدنان الرشد غدا سيد قومه وقبله العرب، كما أن ساكني البطحاء وسكان يثرب وقبائل البر كانوا منقادين مطاعين لحكمه.

ولما فرغ «المختصر» من فتح بيت المقدس صمم على قهر بلاد العرب وأهلها، فتصدى له عدنان حرباً وقتالاً، وقضى على الكثير من أعوانه، غير أنه تغلب على عدنان في النهاية. وقتل عدداً من رجاله، الأمر الذي لم يبق معه مجال لإقامة عدنان ورجاله حيث هُم، وغدوا لا مندوحة لهم عن أن يتفرق كلُّ منهم في اتجاه، وتوجه عدنان مع أبنائه إلى اليمن، حيث تحولَ هذا الملاذ وطناً له، بقي فيه حتى وافته منيته.

وكان لعدنان عشرة من الأبناء، منهم معدٌ وعلٌ وعدن وأدٌ وغنى، وذلك النور الذي كان قد أشرق في جبين عدنان تلاؤ في طلعة ابنه معدٌ، وهو نور النبوة الذي ينتقل من صلب إلى صلب حتى انتقل إلى معد... .

س٧: / هل يمكنكم ذكر مختصر عن «معد» وعن «نزار» أجداد النبي (صلى الله عليهما السلام)؟!

ج: / روي في زمان معد اتفق أن «بختنصر» قد فارق الدنيا وأصبح الناس في أمان من شره، فقد أرسل في طلب معد، واستقدموه إليهم في جماعة من العرب، وأصبح نقيباً للذرية، ومن صلبه خرج أربعة أبناء، وأنقل نور جلاله إلى أبنه نزار، وكانت أمه معانة بنت خوشم من قبيلة جرهم، وحين قدم نزار إلى الدنيا، ورأى أبوه نور النبوة يلتعم بين عينيه، سر سروراً عظيماً، وقدم الإبل للذبح قرباناً، ودعا الناس إلى الطعام وهو يقول: «إن هذا كله نزار في حق هذا المولود».

ويقال إنه قرب ألفاً من الإبل، وحيث إن نزاراً تعني القلة فقد سمي الطفل نزاراً، وحين بلغ رشده، وتوفي أبوه، ترأس نزار قبيلته، وأصبح سيداً للعرب، وأنجب أربعة أبناء، وحين شعر بدئو الأجل اختوم يعم من البابدة شطر مكة المعظمة، ووافاه الأجل هناك.

س٨: / من هم أبناء «نزار» الأربعة وفيمن أنتقل نور النبوة؟!

ج: / هم بالترتيب، ربيعة، وإنمار، ومضر، وإياد، وتروي عنهم قصة لطيفة معروفة في صدد تقاسيمهم لأموال أبيهم، ورجوعهم في ذلك إلى حكم «أفعى الجرهمي»، وكان بارعاً في علم الكهانة، كما كان مرجعاً للأعاظم والأشراف في نجران.

ومُضر (بضم الميم وفتح الصاد المعجمة) معدّلة عن ماضِر، وتعني الحليب قبل أن يصبح لبنًا - وفي المنجد: اللبن الماضِر: الحامض، وسيّي مضر لذلك لأنَّه كان مولعاً بشرب اللبن المضار -، واسم مضر: عمرو، وأمه سُودة بنت علَّك، وقد انتقل نور النبوة إليه من نزار، ويواصل نسل السادة امتداده .

وكان العرب يولونه الطاعة والانقياد، مما سهل الترويج لدين إبراهيم عليه السلام، وتمضي الأيام وينجو الناس نحو طريق الإيمان، ويُقال إن صوته فاق أصوات جميع الناس حسناً، وكان أول حادث للإبل، ومنه أتى إلى الوجود ولدان .

س٩: من هُم أبناء مضر وفيمن انتقل نور النبوة؟!

ج: / هُما عيلان ومنه أتت قبائل كثيرة، وإلياس الذي انتقل إليه نور النبوة، فلا غرو أن عظم شأنه بين القبائل بعد أبيه، وقد لُقب بسيّد العشيرة، وكان يدير شؤون القبائل وأمورها بالصلاح وسداد الرأي، وغداً فيصلاً في تلك الأمور .

وحتى ذلك اليوم الذي انتقل إليه النور المحمدي من صلبه كانت تسمع أحياناً هنيمات التسبيح، وكان العرب يعظمونه على الدوام ويعذّونه من الكباء لقلمان وأشباهه .

أمّه وأسمها رباب، وزوجه ليل بنت جلوان قضاعية يمنية، ويقال لها خنلف رزقت منه ثلاثة أبناء عمرو وعامر وعمير .

س ١٠ : / من أنتقل نور النبوة، ولماذا شُعِي بمدركة؟! ولماذا سميت أمهما خنده؟!

ج : / انتقل نور النبوة إلى عمرو، ويروى أن الأبناء حين بلغوا سن الرشد، رافق عمرو وعامر أحهما ليلي إلى الصحراء، وهناك لاح لهم أرباب يتحركون عن بعد، ثم يفتر في أحد الأتجاهات، فنفرت منه الإبل خوفاً، لكن عمراً وعامراً أنطلقا في أثره، وكان عمرو الأول في الوصول إليه وتبعه عامر، فأصطاده ثم شواه.

غمراً ليلي السرور والزهو مما فعل ولداها، ثم عادت مسرعة إلى إلياس، ولما رأى ما هي عليه من تبخر، سألاها «أين تخندفين»؟، (يُقال لمن يتبختر ويزيهو بنفسه خندهفة) قالت ليلي : «أنا دائمًا بك أزهو وأفتخر» وهذا السبب لقبها إلياس بخندهف، ومن هنا يُقال للقبائل التي تنتهي بالنسبة إلى إلياس : بني خندهف - وهذا السبب فإن يزيد حين حمل إليه الرأس الشريف راح ينشد: لست من خندهف إن لم أنتقم - ومن هنا أيضاً أن إلياس لقب عمراً بـ«مُدركة»، لأنه كان أول من أدرك الأرباب، كما لقب عامراً بـ«طابخة» لأنه أصطاده وشواه، ولأن عميراً كان أثناء هذه الواقعة منقعاً في الخباء، منصراً عن القيام بشيء فقد لقب بـ«محركه»، وكان مدركة يكتفي بـأبي الهذيل وزوجه تدعى سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار، وقد رزق منها بولدين أحدهما خزيمة والآخر هذيل وهو أبو قبائل كثيرة.

س ١١: / إلى من انتقل نور النبوة من بعد مُدركة؟!

ج: / انتقل نور النبوة إلى خُزيمة، الذي حكم قبائل العرب بعد أبيه، ورزق بأبناء ثلاثة: كنانة، ونون، وأسد، وأنقل نور النبوة إلى كنانة وكنيته أبو النضر وحين كان يترأس قبائل العرب قيل له في نومه: تزوج من بَرَّة بنت مَرْ بن أَدَّ بن طابخة بن إِلَيَّاس، ترزق منها بولد يكون أوحد زمانه، فتزوج منها ورزق بثلاثة أولاد: النضر، وملك، وملكان. وسطع نور النبوة من جبين «النضر».

س ١٢: / ما سبب تسميته بالنَّضْر؟ وما علاقته قريش به؟!

ج: / سبب التسمية يعود إلى نضارة وجهه، كما يدعونه «قريش» أيضاً، وكانت كل قبيلة يعود نسبها إلى النضر تدعى قرشية، وتتضارب الأقوال في سبب تسمية النضر بقريش، ولعل أقربها إلى الصحة هو أن النضر إذ كان رجلاً عظيم القدر ذا حصافة، وكان سيد قومه، فقد عمل على لم شمل من تفرق من قبيلته، فكانوا - يجتمعون كل صباح حول خوانه وكان النضر أباً لوالدين هما مالك ويندلد.

س ١٣: / إلى من انتقل نور النبوة من بعد النَّضْر؟!

ج: / كان النبوة نور في جبين مالك، وأمه عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، وكان مالك ابن يدعى فهراً انتقل إليه نور النبوة، وأمه جندلة بنت الحارث الجرهية.

وكان فهر رئيس الناس بمكة في زمانه، ويقال له جماع قريش، وكان له من ليل بنت سعد بن هذيل أربعة أبناء: غالب، ومحارب، والحارث، وأسد، ومن بينهم انتقل نور النبوة إلى غالب. وكان لغالب ابنان من سلمى بنت عمرو بن ربيعة الخزاعية، هما لويٰ وتيم، وانتقل نور النبوة الشريف إلى لويٰ وهو تصغير اللائي يعني النور، وكان له أربعة أبناء هم: كعب، وعامر، وسامة، وعوف، ومن بين جميعهم انتقل نور النبوة إلى كعب، وأمه مارية بنت كعب القضاوية

س ١٤ : / كيف كان كعب ولن انتقل نور النبوة من بعده؟ !

ج : / كان كعب بن لويٰ من صناديد العرب، عظيم القدر في قريش يفوق من عدائه، وكان بيته ملجاً وملذاً للأئذين . . .

وكان كعب أباً لثلاثة أبناء، هم: مرّة، وعدّي، وهُصيص، وكان هُصيص أكبر إخوته، وكان له ابن باسم عمرو ولعمرو ابنان هما سهم ومحج، وإلى سهم يُنسب عمرو بن العاص، وإلى محج يُنسب عثمان بن مظعون، وإلى عديٰ بن كعب يُنسب عمر بن الخطاب.

ومرّة بن كعب هو من انتقل إليه النور الحمدي من أبيه. وكان له ثلاثة أبناء: الأول كلاب، وأمه هند بنت شَرِير بن ثعلبة، والثاني تيم، وثالثهم يقطة، وأم الآخرين البارقية، وإلى تيم يُنسب قبيلة أبي بكر وطلحة، وكان ليقطة ابن اسمه خزروم، وإليه يُنسب بنو خزروم و منهم

أم سلمة، وخالد بن الوليد، وأبو جهل، وكان لكلاب الذي أنتقل إليه نور النبوة ولدان، أحدهما زهرة وتنسب إليه آمنة أم رسول الله ﷺ، وسعد بن أبي وقاص، أو عبد الرحمن بن عوف، والثاني قصي واسمه زيد الذي أنتقل إليه نور النبوة الحمدي.

س ١٥ : / لماذا سمى بقصي، ولمن أنتقل نور النبوة من بعده؟ !

ج : / إنما سمى قصيًّا لأن أمَّه فاطمة بنت سعد تزوجت بعد وفاة زوجها كلاب من ربيعة بن حرام القضاعي، وكان أخوه الأكبر زهرة قد تختلف في مكَّة، وقصي طفل، فاحتمله زوج أمَّه إلى قومه بني قضااعة مع أمَّه، فسمى قصيًّا لأنَّه أقصي عن مكَّة، وحين بلغ مبلغ الرجال رافق أمَّه وأخاه لأمَّه زرَاح بن ربيعة - وقيل رزاح - إلى مكَّة في موسم الحج، مع لفييف من حجاج بني قضااعة، حيث بقي هناك إلى جانب شقيقه زهرة، حتى تسلم ذرورة الملك.

وبعد وفاة قصي انتقل النور الحمدي إلى عبد مناف. بعد أن رزق قصي بأربع بنين وهم عبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد الدار. ودفن قصي في الحَجُّون.

س ١٦ : / من هو عبد مناف؟ !

ج : / هو المغيرة، وكان يُلقب بقمر البطحاء بجماله، وكنيته أبو عبد شمس، تزوج عائشة بنت مرَّة بن هلال السلمية، ورزق منها

بولدین توأمين، ولدا وإاصبع أحدهما ملتتصقة بجبهة أخيه، فتم فصلهما بالسيف، وسمى أحدهما هاشمًا والآخر عبد شمس.

قال أحد العارفين العرب حين سمع بهذه الواقعة: «لن يكون بين أبناء هذين إلاّ السيف فيصلًا»، وهكذا كان عبد شمس أباً لأمية.. وكان أولاد أمية في خصام دائم مع أبناء هاشم، واستُلت السيف ببنهم.

وكان لعبد مناف ولدان غير هذين، أحدهما: المطلب، ومن قبيلة عبيدة بن الحارث، والشافعي، والآخر نوبل.. وإليه ينتسب جبير بن مطعم.

وأنقل نور النبوة إلى هاشم وكان اسمه عمرو.

س ١٧ - س ١٨: / لماذا سمي بهاشم؟ وكيف كان في قومه؟! ولن أننقل نور النبوة من بعده؟!

ج: / هاشم بن عبد مناف، وكان يقال له لعلو شأنه، عمر والعلى، كما كان هو والمطلب يدعيان بالذررين لحسنها، وكانت بينهما علاقة حيمة، وكذلك بين نوبل وعبد شمس.

لما بلغ هاشم الرشد بدت عليه مخايل الفتنة والمرارة، واستظل أهل مكة بظل حمايته، حين أصابهم القحط وعمّ الغلاء، فرحل إلى الشام، وأوسق إيله بالدقيق، وقدم به مكة، فكان يأمر بالجزور

فيذبح، وبالدقائق فيطيخ بلحومها ومرقها، ثم يدعو أهل مكانة إلى ثريده كل صباح ومساء، ومن هنا جاءت تسميته بهاشم، لأنّه أول من هشم الثريد لقومه، وذكر أنّ هاشماً هو أول من سنّ الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء والصيف.

علا شأن هاشم، وقويت شوكةبني عبد مناف حتى كان لهم السبق على بنى عبد الدار، وفاقوهم رفعه وشرفاً، فلا غرو أنّهم تطلعوا إلى الفوز بالسقاية والرفادة والمحاجبة واللواط ودار الندوة من بنى عبد الدار، وكان الإخوة الأربعه هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل على اتفاق ووئام فيما بينهم.

وبعد أن داع صبيت هاشم في الآفاق، راح السلاطين والعظماء يبعثون إليه بالهدايا، ويتعلّق كُلّ منهم إلى أن يتّخذه له صهراً، لعلّ النور الحمدّي الذي يسعّط من جبّيه يتّقل إلى زوجه، لكن هاشماً كان يرفض، فميوله كانت عند بنت من نجّباء قومه، رُزق منها بأبناء ذكور وإناث، منهم أسد أبو فاطمة، أم أمير المؤمنين عليه السلام، غير أنّ النور بقي في جبّيه.

وذات ليلة وبينما كان يطوف حول الكعبة راح يتعرض ويتهلل إلى الحق تعالى أن يبهه إبناً يحمل عنه هذا النور الطاهر، فأتاه الأمر في منامه أن تقدّم لطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليد من بنى النجار في المدينة، زوجة لك.

عزم هاشم على التوجه إلى الشام، فسلك طريق المدينة إليها، فلما

قدم المدينة قصد بيت عمرو فخطب ابنته سلمى إليه، فأنكره، إياها شرط ألا تلد ولداً إلا في أهلها، ويبقى الولد في المدينة، فلا يغادرها إلى مكة، ورضي هاشم بهذا الشرط، ثم مضى لزوجته قبل أن يبني بها. ولما انصرف راجعاً إلى المدينة حل سلمى معه إلى مكة وبنى بها هناك، وحملت، فلما أثقلت أثقالها إليها إلى دار قومها بيترب وفاء لعهده الذي قطعه لأبيها، ثم مضى في طريقه إلى الشام، وفي غرة، وهي مدينة في أقصى الشام بينها وبين عسقلان فرسخان، وفاه الأجل، ودفن فيها. وفي بيترب، وضع سلمى ولیدها عبد المطلب وأسمته عامراً وإليه أنتقل نور النبوة المحمدية.

س ١٩ - س ٢٠ : / أنتقل نور النبوة إلى عامر، فلماذا سمى بعد المطلب؟ ولماذا سمى بشيبة الحمد؟!

ج : كانوا يدعونه بـ«شيبة الحمد» لأنه كان في رأسه شيبة عند ولادته، وقامت على رعايته وتربيته حتى غدا بإمكانه التمييز بين يمين وشمال، ولاحظ عليه مخايل الحسن في الخصال، والحمد في الفعال، فلقب بـ«شيبة الحمد».

في ذلك الوقت كان عمّة المطلب سيد قومه في مكة، وكانت إليه السقاية والرفادة، كما كانت عنده قوس إسماعيل وعلم نزار، ولما علم بابن أخيه قدم إلى بيترب وأخذه وأرده على عجز ناقته وسار به إلى مكة، فقدمها ضحوة والناس في مجالسهم، فجعلوا يقولون: من

وراءك؟ فيقول: هذا عبدي، حتى أدخله منزله. ثم خرج به العشي إلى مجلس بنى عبد مناف، فأعلمهم أنه ابن أخيه، فكان بعد ذلك يطوف بمكة، ويقال: هذا عبد المطلب، وغلب هذا الاسم عليه.

راح عبد المطلب من هنا فصاعداً يلبس لباس الجد فيتائق بين بنى عبد مناف، وتظهر ملકاته الحميدة بين الناس يوماً بعد يوم و شأنه يسمى، واستمرت حياته على ذلك حتى وفاة عممه، فتحولت إليه الرفادة والسعادة وغيرهما، وزاد شأنه علواً واشتهراراً حتى صارت التحف والمدايا تتقاطر إليه من البلاد والأماكن البعيدة، وشرف في قومه وعظم فيهم خطره، فمن أمنه منهم أمن.

س ٢١ - س ٢٢: / ما كانت كنية عبد المطلب؟ وما هي قصته مع زرم؟!

ج: / كان الحارث بكر عبد المطلب، فكتي بأبي الحارث، ولما بلغ الحارث الرشد، أمر عبد المطلب في منامه بمحفر بئر زرم.

حيث قام عبد المطلب مع ولده الحارث بمحفر البئر وإخراج الأشياء - (مثل الحجر الأسود، وغزالين ذهبيين صغيرين، مع عدد من الدروع والسيف، وهي أشياء تعود ملكيتها لملكة حيث رماها عمرو بن الحارث جائعاً في بئر زرم بعد أن غشّها بالتراب بعدما أشتباك في قتال مع حليل بن الحبسية الخزاعي وكان عمرو كبير الجراهمة في مكة في عهد قصي وفعل ذلك بعد أن هزم من قبل حليل وأخذ قومه وأنطلق بهم

هارباً إلى اليمن) - منها، فطلبت منه قريش أن يعطيها نصف ما وجد بحجة أنها أشياء تعود إلى أسلافهم، فأحالهم إلى حكم القرعة فرضوا، فعمد إلى تقسيم الأشياء قسمين، وأمر صاحب القداح بأن يقرع باسم الكعبة وأسم عبد المطلب وأسم قريش ففعل، فخرج الغزالان الذهبيان باسم الكعبة، والدروع والسيوف باسم عبد المطلب، ولم ينل قريشاً شيء، فباع عبد المطلب نصيبه، وصنع بشمنه باباً للكعبة، أما الغزالان الذهبيان فعلقهما على باب الكعبة، فصارا يعرفان بغزالي الكعبة، وقد ذكر أن آبا هلب سرقهما وباعهما، وأنفق ثنها في الشراب والميسير.

س ٢٣: ما قصة ماء زمزم بين عبد المطلب وقريش؟!

ج: / يذكر ابن أبي حميد، وأخرون أنه بعد أن أجرى عبد المطلب ماء زمزم، اشتعلت نار الحسد في صدور قريش كافة، فقالوا له: هذا البئر تعود إلى جدنا إسماعيل، ولنا فيها حق، ونحن لك فيها شركاء، فأجابهم: إنها كرامة خصّنا الحق تعالى بها، وليس لكم فيها نصيب، وبعد خصم شديد تراضاوا على أن تحكم بينهم كاهنة من بنى سعد، وكانت في أطراف الشام، ثم توجه عبد المطلب مع لفييف من بنى عبد مناف إلى الشام، يرافقهم من كل قبيلة من قبائل قريش بضعة أنفار.

وفي طريقهم في الصحراء نفذ الماء من بنى عبد مناف، فمنعهم أفراد قريش ما كان معهم من الماء، ولما غلبهم العطش، أشار عليهم عبد

المطلب بأن يحفر كل منهم قبراً له. حتى إذا هلك من العطش دفنه الآخرون، فإن يبقى واحد منهم دون دفن خير من أن يبقوا جميعاً، ولما حفروا القبور، وجلسوا في انتظار الموت، قال عبد المطلب: إن جلوسنا هكذا دون سعي حتى الموت لعجزٍ، وإن اليأس من رحمة الله لهو من ضعف اليقين، قوموا بنا نضرب الأرض لعلَّ الله يرزقنا ماء.

ثم إنهم تحملوا متابعهم، والقرشيون ينظرون إليهم ما هم صانعون، ولما ركب عبد المطلب راحلته، انفجرت من تحت خفَّها عين تجربى بماء صاف عذب، فقال عبد المطلب: الله أكبر، وكثير أصحابه بعده، ثم نزل وشرب مع أصحابه، وملأوا بالماء قربهم، ثم دعوا القرشيين أن هلموا إلى الماء، فقد أكرمنا الله به، فأشربوا منه واحملوا.

ولما رأى القرشيون هذه المكرمة العظمى لعبد المطلب قالوا: لقد حكم الله بيننا وبينك، فليست بنا إلى حكم الكاهنة حاجة، ولن ترى متى في أمر زمم أيَّ معارضة، إن الذي سقاك الماء بهذه المفازة هو الذي سقاك زمم. ثم انصرفوا عائدين، وخلوا بيته وبين زمم.

س٤: / إلى من انتقل نور النبوة من بعد عبد المطلب؟!

ج: / رزق عبد المطلب عشرة بنين وست بنات، وكان منهم الذي انتقل إليه نور النبوة عبدالله حيث كان آثر أبنائه عنده، وكان عبدالله وأبو طالب والزبير لأم واحدة وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم . . .

وحين ولدته أمه عرف أكثر أخبار اليهود والقسيسين النصارى والكهنة والسحرة أن أباً لنبي آخر الزمان ﷺ قد ولدته أمه، ذلك لأن طائفة من أنبياء بني إسرائيل قد بثروا ببعث الرسول ﷺ وأن طائفة من اليهود القاطنين في أراضي الشام كانت عندهم قطعة نسيج من الصوف ملوونة بدم النبي يحيى ﷺ، وكان كبار الإخبار قد أنبثوا بأن هذا الدم إذا أُنقلب طریقاً فتدرك علامات على أن أباً لنبي آخر الزمان قد ولد، وأن دماً طریقاً سيفور ليلة مولده من هذا النسيج، الذي هو من الصوف الأبيض.

وإجمالاً، لما ولد عبدالله فإن - النور النبوى - الذي كان يُرى عند كلّ من أجداد النبي - سطع من جبينه، وكان يزداد يوماً فيوماً حتى في مسيره وحديثه .

س ٢٥: هل بانت آثار غريبة وعلامات عجيبة على عبدالله ﷺ من خلال نور النبوة؟!

ج: / نعم حيث لحظ ذلك، فقد صارح عبدالله أباه يوماً قائلاً: كنت لما سرت إلى جانب البطحاء وجبل ثيبر رأيت نوراً خرج من ظهرى، ثم استطال إلى فرعين اتجه أحدهما ناحية المشرق، والآخر ناحية المغرب، ثم اتصل رأسهما فشكلا دائرة خرج منها ما يشبه السحاب وانتشر قسم منه فوق رأسي فأظلني، وهنا تفتحت أبواب السماء فأخذرق ذلك النور الفلك، ثم عاد ليستقر في مكانه في ظهري،

وكنت إذا جلست أحياناً في ظلّ شجرة يابسة اخضرت وأينعت، وإذا فارقها عادت إلى يبوستها، و كنت كثيراً ما أجلس على الأرض فأشعر نداء يقول: يا حامل نور محمد ﷺ عليك السلام.

قال عبد المطلب: أي بني، لك البشري، وأرجو أن نبي آخر الزمان سيخرج من صلبك.

س ٢٦: / قال رسول الله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»، الذبيح الأول إسماعيل ﷺ، فمن الذبيح الثاني؟!

ج: / الذبيح الثاني هو «عبدالله بن عبدالمطلب».

س ٢٧: / هل يمكننا معرفة قصة عبدالله كيف أصبح الذبيح الثاني؟!

ج: / بعد أن بلغ عبدالله رشهه أراد عبد المطلب أن يفي بمندبه، ذلك أنه كان حين أمر بمحفر زمم، وانتهجهت قريش معه سبيل النزاع، عهد على نفسه مع الله عهداً أنه إذا رزق عشرة بنين ليكونوا حماة لما يقوم به، فسيقدم أحدهم إلى النحر قرباناً، وإذا هو الآن أب لعشرة بنين، فقد عزم على الوفاء بعهده. لذلك فقد جمع أبناءه، وأطل عليهم على ما عزم عليه، فقدم الجميع أعناقهم، فأشار أن يُضرب على أسمائهم بالقداح، فمن خرجم القرعة باسمه فهو، ثم ضرب صاحب القداح

فخرج القدح على عبدالله، فأخذ عبد المطلب بيده، وأقبل به إلى إساف ونائلة، وهما وثنا قريش اللذان تحر عندهما ذبائحهما، وتناول السيف ليذبحه، فقام إليه إخوة عبدالله، وطائفة من قريش، والمغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ليمعنونه قائلين: والله لا تذبحه حتى تُعذر فيه، فأضطر عبد المطلب إلى النزول عند إرادتهم، إذ أشاروا بأن ينطلق بابنه إلى عرافة بالمدينة لتحكم في هذا الأمر، لعل لديها رأياً يكون فيه الفرج، فوافقهم، وانطلقوا إلى العرافة وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، فسألت كم دية الرجل فيكم؟ قالوا: عشر في الإبل، قالت: فأرجعوا إلى بلدكم، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل، ثم أضربوا عليه وعليها بالقدح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل، حتى يرضي ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحرروا، فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، ثم قربوا عبدالله وعشراً من الإبل، فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشرة من الإبل، فخرج القدح على عبدالله أيضاً، ثم لم يزالوا يزيدون ويقرعون حتى بلغت الإبل المائة، وهذه المرة وقعت القرعة على الإبل، فقال الجميع فرحين: قد انتهى رضي ربكم يا عبد المطلب. فقال: لا والله، حتى أضرب عليها ثلاث مرات، وضرموا فوقعت القرعة على الإبل في المرتين، فثبتت عبد المطلب من صواب ما فعل، وأمر بالإبل فنحرت، ومن هنا قول رسول الله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين».

س ٢٨ : / هل يمكنكم ذكر نبذة مختصرة عن عبدالله، وانتقال نور النبوة إلى رحم آمنة بنت وهب؟

ج : / نعم، يقول العلامة المحسني : لما بلغ عبدالله سن الشباب، سطع نور النبوة من جبينه، وأمل الأكابر من النواحي والأطراف أن يزوجوه إحدى بناتهم علّها تفوز بهذا النور، فقد كان أوحد زمانه في الحسن والجمال، فإذا مرّ نهاراً فاح منه عبر المسك والعنبر، وإذا مرّ ليلاً أشراق الكون حوله بنوره، حتى دعاه أهل مكة بـ«مصباح الحرم»، وشاءت القدرة الإلهية أن يكون عبدالله مع صدفة جوهر الرسالة - يعني آمنة بنت وهب (ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة) - أن يكونا زوجين. ويروى أنه بعد أن تم زواج آمنة بعبدالله فإن مائتي امرأة هلكت حسرة على عبدالله. وإنما فحين غدت آمنة صدفة لذلك الدر الشمين عرف الأمر طائفة من الكهنة العرب وتناقلوا خبره، وكانت قد انقضت بضع سينين عمّ فيها القحط ديارهم، فما انتقل ذلك النور إلى آمنة هطلت الأمطار وعم الخصب، وعاش الناس في نعيم وفيرة حتى سموا ذلك العام بـ«عام الفتح». في ذلك العام بعث عبد المطلب بابنه عبدالله في ميرة إلى الشام، وعند رجوعه ووصوله إلى المدينة ساءت صحته، فخلفه رفقاء وانطلقوا إلى مكة، ومات في مرضه ذاك، ودفن جسده الطاهر في دار النابغة الجعدي.

ومن ناحية أخرى، فحين وصل خبر مرض عبدالله إلى أبيه، بعث بابنه الحارث - وكان أكبر إخوته - في طلبه، وعند وصوله وجده قد

فارق الحياة قبل وصوله، وكان عمره خمساً وعشرين سنة، وعند موته لم تكن آمنة قد وضعت حلها، وكان قد بلغ شهرين من عمره الشريف على قول، وبسبعة شهور على قول آخر.

س ٢٩: هل مات عبدالله وهو مسلم برسالة ولده محمد ﷺ؟

ج: قد ورد في الروايات أنَّ رسول الله ﷺ ذهب في إحدى الليالي إلى قبر أبيه وصلَّى عنده ركعتين لله، وراح يناديه، فإذا بالقبر ينشق فجأة، وعبدالله جالس فيه يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنكنبي الله ورسوله».

فَسَأَلَهُ مِنْ وَلِيَّكَ يَا أَبَهُ؟ فَأَجَابَهُ مُتَسائِلًا: وَمَنْ وَلِيَّكَ يَا بْنِي؟ قَالَ: إِنَّهُ لِعَلِيٌّ وَلِيَّكَ. قَالَ: أَشَهَدُ أَنَّ عَلِيًّا وَلِيَّكَ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا عَادَ إِلَى بَسْتَانِهِ، دَنَا مِنْ قَبْرِ أَمَّهُ، وَفَعَلَ نَحْوَ مَا فَعَلَ عَنْ قَبْرِ أَبِيهِ.

يقول العلامة الجلسي: يظهر من هذه الرواية أنَّهما كليهما آمنا بالشهدتين، وأنَّ إرجاعهما كان لكي يكمل إيمانهما بالإقرار بإماماة علي بن أبي طالب عليه السلام.

س ٣٠: ما هي قصة «فاطمة الخثعمية» مع عبدالله بن عبد المطلب؟ ومن هي؟!

ج: كانت «فاطمة» أخت «ورقة بن نوفل» قد سمعت من أخيها عن نبوة رجل من أحفاد «إسماعيل» وهذا ظلت تنتظر، وتبعث.

وذات يوم وعندما كان «عبدالمطلب» متوجهاً إلى بيت أمينة بنت وهب بعد قوله ومنصرفه من المذبح وهوأخذ ييد «عبدالله» شاهدت «فاطمة الخثعمية» التي كانت تقف على مقربة من منزلها - النور الساطع من جبين «عبدالله»، والذي كانت تنتظره مدة طويلة وتباحث عنه بشوق، فقالت: أين تذهب يا عبدالله؟ لكَ مثلُ الإبل التي نحرت عنك، وقع علىَ الآن.

فقال: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه وفراقه! ^(١).

ثم تزوج «عبدالله» بأمنة في نفس ذلك اليوم، وقضى معها ليلة واحدة. ثم في الغد من ذلك اليوم أتى المرأة «الخثعمية» التي عرضت نفسها عليه، وأبدى استعداده لتنفيذ رغبتها، ولكن «الخثعمية» قالت له: ليس لي بك اليوم حاجة، فلقد فارقك النور الذي كان معك أمس!! ^(٢).

وقيل: إنه لما عرضت تلك المرأة «الخثعمية» على «عبدالله» ما عرضت، أجابها «عبدالله» بالبداية ببيتين من الشعر هما:

أَمَا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحَلُّ لَا حَلٌّ فَاسْتَبِينَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِيَهُ يَحْمِي الْكَرِيمُ عَرْضَهُ وَدِينَهُ

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ١، ص ١٥٦.

ولكن لم تمر ثلاثة أيام من زواجه بأمنة، وإنقاذه عندها حتى دعوه نفسه إلى أن يأتي الخثعمية، وعرض نفسه عليها قائلاً: هل لك فيما كنت أردت؟ فقالت: لقد رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون لي فأبي الله إلا أن يجعله حيث أراد فما صنعت بعدي؟.

قال: زوجني أبي «آمنة بنت وهب!!»^(١).

س ٣١: / ما رأيكم بالقصة السابقة؟! ولماذا؟! .

ج: / هذه القصة مختلفة لأسباب عديدة منها:

١ - تفيد القصة أن كلام الخثعمية مع عبدالله كان أمام عبد المطلب، فكيف تعرض نفسها أمام عبد المطلب ألم تستحق من عظيم قريش الذي لم يثنه عن طاعة الله تعالى شيء حتى مقتل ولده وذبحه.

ولو قلنا أن مطلبهما كان حلالاً مشروعاً فإن ذلك لا ينسجم مع البيتين من الشعر اللذين رد بهما «عبدالله» طلبهما.

٢ - الأصعب من ذلك قصة عبدالله نفسه. فإن ولداً مثل «عبدالله» يحترم والده إلى درجة الاستعداد لأن يُذبح وفاء لنذر والده، كيف يمكن أن يتفوه في حضرة والده بما نُقلَ عنه؟! .

ترى أيمكن لشاب نجا لتوه من السيف والذبح، ولا يزال يعاني من

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٧؛ والكامل فى التأريخ: ج ٢، ص ٤.

آثار الصدمة الروحية أن يستجيب لرغبات امرأة، أو يبدي استعداده
ورضاه القلبي لذلك لولا وجود والده معه؟!!

ترى هل كانت تلك المرأة جاهلة بالظروف، لا تقدر الأحوال،
ولا تعرف الوقت المناسب لطرح مطلبها، أو أنّ مختلف هذه القصة غفل
عن نقاط الضعف البارزة هذه؟!!.

٣ - ثم إن مما يفضح هذه القصة ويُظهر بطلانها ما جاء في الصورة
الثانية لها، فإن عبدالله - كما لاحظنا جابه طلب تلك المرأة بيتين من
الشعر وقال ما حاصله بأن الموت أسهل عليه من ارتكاب هذا الفعل
الحرام الذي يأتي على دين الرجل وشرفه، فكيف يجوز مثل هذا الشاب
الطاهر الغيور أن يقع فريسة لتلك الأهواء، ولرغبات الرخيصة
الفاسدة، والحال أنه لم ينقض من زواجه ثلث ليال، وتدفعه غريزته
الجنسية إلى أن يبادر إلى بيت المرأة الخثعمية...

ثم ما هذه المرأة التي تكون طامعة بالنور الإلهي عن طريق الحرام
والفساد....

«الولادة»

س ٣٢: متى ولد رسول الله ﷺ؟

ج: اعلم أن المشهور بين علماء الإمامية أن ولادته ﷺ كانت في السابع عشر من شهر ربيع الأول، وقد نقل المجلس بنكهة الإجماع عليه كما أن المشهور أن ولادته ﷺ كانت قرب طلوع فجر الجمعة من ذلك اليوم في العام الذي أحضر فيه أصحاب الفيل فيلاً لهدم الكعبة المشرفة، فعذّبوا بمحجارة من سجيل.

س ٣٣: ذكرتكم في جوابكم عن السؤال السابق رأي المشهور هل يمكنكم ذكر الرأي الآخر المخالف له؟

ج: نعم يمكن ذلك حيث ذكر أكثر علماء السنة الثانية عشر من شهر ربيع الأول كانت ولادته ﷺ، وقد اختار الشيخ الكليني وبعض أفضل علماء الشيعة هذا القول أيضاً.

س ٣٤: أين جرت مراسيم ولادة الرسول ﷺ؟

ج: جرت ولادته الشريفة بمكة - في شعب أبي طالب - في بيته،

لـكـه ﷺ وـهـبـ هـذـاـ الـبـيـتـ لـعـقـيلـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ، وـبـاعـهـ أـوـلـاـدـ عـقـيلـ
لـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ أـخـيـ الـحـجـاجـ، فـأـدـخـلـهـ فـيـ دـارـهـ، وـفـيـ أـيـامـ هـارـونـ
الـرـشـيدـ أـعـادـتـ أـمـهـ الـخـيـزـرـانـ فـصـلـهـ عـنـ دـارـ مـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ وـجـعـلـتـ
مـنـهـ مـسـجـداـ يـصـلـيـ فـيـ النـاسـ، وـفـيـ سـنـةـ (٦٥٩ـ) سـعـىـ الـمـلـكـ الـمـظـفـرـ وـالـيـ
الـيـمـنـ سـعـيـاـ جـيـلاـ فـيـ عـمـارـتـهـ، وـهـوـ الـآنـ مـعـرـوفـ يـزـورـهـ النـاسـ وـيـصـلـوـنـ
فـيـهـ، وـقـدـ ظـهـرـتـ فـيـ غـرـائـبـ كـثـيرـةـ عـنـدـ وـلـادـتـهـ ﷺ.

وـيـقـولـ الشـيـخـ الـكـلـيـنيـ (قـدـسـ سـرـهـ الشـرـيفـ)ـ: وـوـلـدـتـهـ فـيـ شـعـبـ أـبـيـ
طـالـبـ فـيـ دـارـ مـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ فـيـ الزـاـوـيـةـ الـقـصـوـيـ عـنـ يـسـارـكـ وـأـنـتـ
دـاخـلـ الدـارـ .

سـ ٣٥ـ : / كـيـفـ كـانـتـ وـلـادـتـهـ ﷺ؟!

جـ : / قـالـ الـإـمـامـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ ﷺـ: ... وـمـحـمـدـ ﷺـ سـقطـ مـنـ
بـطـنـ أـمـهـ وـاضـعـاـ يـدـهـ الـيـسـرىـ عـلـىـ الـأـرـضـ، وـرـافـعـاـ يـدـهـ الـيـمـنـىـ إـلـىـ
الـسـمـاءـ. يـحـرـكـ شـفـتـيـهـ بـالـتـوـحـيدـ، وـبـدـاـ مـنـ فـيـ نـورـ رـأـىـ أـهـلـ مـكـةـ مـنـهـ
قـصـورـ بـصـرـىـ مـنـ الشـامـ وـمـاـ يـلـيـهـاـ، وـالـقـصـورـ الـحـمـرـ مـنـ أـرـضـ الـيـمـنـ
وـمـاـ يـلـيـهـاـ، وـالـقـصـورـ الـبـيـضـ مـنـ اـصـطـغـرـ وـمـاـ يـلـيـهـاـ، وـلـقـدـ أـضـاءـتـ
الـدـنـيـاـ لـيـلـةـ وـلـدـ النـبـيـ ﷺـ حـتـىـ فـزـعـتـ الـجـنـ وـالـإـنـسـ وـالـشـيـاطـينـ،
وـقـالـوـاـ: حـدـثـ فـيـ الـأـرـضـ حـدـثـ، وـلـقـدـ رـؤـيـتـ الـمـلـائـكـةـ لـيـلـةـ وـلـدـ تـصـعدـ
وـتـنـزـلـ، وـتـسـيـحـ وـتـقـدـسـ، وـتـضـطـرـبـ النـجـومـ وـتـسـاقـطـ عـلـامـةـ لـيـلـادـهـ .

ولقد هم إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا العجائب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم حجبوا عن السماوات كلّها، ورُموا بالشهب دلالة [جلالة] لنبوته ﷺ.

وقالت آمنة: إنَّ النَّبِيِّ، وَاللَّهُ سَقْطٌ، فَأَنْتَى الْأَرْضَ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ كُلَّ شَيْءٍ، فَسَمِعْتُ فِي الصُّوَرِ قَائِلًا يَقُولُ: إِنَّكَ قَدْ وَلَدْتَ سَيِّدَ النَّاسِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّدًا، وَأَقِّبْهُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ لِيُنَظِّرَ إِلَيْهِ وَقَدْ بَلَغَهُ مَا قَالَتْ أُمُّهُ، فَأَخْذَهُ وَوَضَعَهُ فِي حَجْرٍ، ثُمَّ قَالَ:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردا
قد ساد في المهد على الغلمان

ثم عوده بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً . . .

س ٣٦: ما الذي فعله إبليس لعنه الله في ليلة ولادة رسول الله ﷺ؟

ج: / وردت روایات كثيرة في ذلك نذكر منها أنه لما ولد ﷺ صاح إبليس لعنه الله في أبالسته، فاجتمعوا إليه فقالوا: ما الذي أفزعتك يا سيدنا؟

فقال لهم: ويلكم، لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد

حدث في الأرض حديث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم عليهما السلام، فأخذوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث. فافترقوا، ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس لعنة الله: أنا لهذا الأمر، ثم صار مثل الصر، وهو العصفور، فدخل من قبل حواء، فقال له جبرائيل عليهما السلام: وراءك، لعنة الله. فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرائيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: ولد محمد عليهما السلام، فقال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا. قال: ففي أمته؟ قال: نعم. قال: رضيت.

س ٣٧: / ما هي الغرائب والحوادث التي حصلت أثناء ولادة
الرسول الأكرم ﷺ؟

ج: / قال أمير المؤمنين عليهما السلام: لما ولد ﷺ انكبّت الأصنام - على الكعبة - على وجوهها، ولما حلّ الليل سمع هذا النداء من السماء: « جاء الحق وزهق الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً ».

وأشرت الدنيا كلها في هذه الليلة، وضحك الحجر والمدر، وسيح الله ما في السموات والأرض، ويكتي إبليس وقال: خير الأمة وأفضل الخلق، وأكرم العباد وأعظم العالمين محمد ﷺ.

وقال الإمام الصادق عليهما السلام: كان إبليس لعنة الله يخترق السماوات السبع يسترق السمع، فلما ولد عيسى عليهما السلام حجب عن ثلات سماوات،

وكان يخترق أربع سماوات، فلما ولد رسول الله ﷺ حُجب عن السبع كلّها، ورُجحت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتاب يذكرونها، وقال عمرو بن أمية وكان أزجر [أعلم] أهل الجاهلية: انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها، ويُعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رُمي بها فهو هلاك كلّ شيء، وإن كان ثبتت ورُمي بغيرها فهو أمر حديث، وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة ولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتजس^(١) في تلك الليلة إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة^(٢)، وخدمت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤيدان^(٣) في تلك الليلة في المنام إيلاءً صعاباً تقدور خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم، وانفصمت طاق كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطال حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك محرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانثر علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حُجبت عن صاحبها، وعُظمت قريش وسموا آل الله.

قال أبو عبدالله عليه السلام: إنما سمو آل الله لأنهم في بيت الله الحرام.

(١) رتجس: اضطراب وتزلزل.

(٢) واد في الباادية بين الكوفة والشام، كان جافاً لستين متراً.

(٣) فقيه الفرس وحاكم المجوس.

س ٣٨: / ماذا كانت تهدف هذه الحوادث غير العادية؟!

ج: / إن هذه الحوادث الخارقة والعجبية كانت تهدف إلى أمرين:

الأول: أن تدفع بالجبارية، والوثنيين وعبدة الأصنام إلى التفكير فيما هو فيه فيسألوا أنفسهم: لماذا انطفأت نيرانهم التي طالما بقيت مشتعلة تحرسها أعيان السدنة والكهنة؟

لماذا سبّبت هزةً حفيظةً في ارتجاس إيوان كسرى العظيم الحكم
البيان، ولم يحدث لبيت عجوز في نفس ذلك البلد شيء؟

لماذا تهافت الأصنام المنصوبة في الكعبة وحوطها، وانكَبَتْ على
وجوهها بينما بقيت غيرها من الأشياء على حالها لم يصبها شيء أبداً.

لو كانوا يفكرون في تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث تبشر
بعصر جديد... عصر انتهاء فترة الوثنية وزوال مظاهر السلطة
الشيطانية واندحارها...

الثاني: إن هذه الحوادث جاءت لتبرهن على شأن الوليد العظيم..

فكان الهدف من هذه الحوادث هو إيجاد هزة في ضمائر أولئك
الناس الذين كانوا قد غرقوا في أوحال الوثنية، والظلم، والانحراف
الأخلاقي حتى قمة رؤوسهم...

إن الذين عاشوا في عصر الرسالة، أو من أقى من بعدهم عندما
يسمعون نداء رجل نهض - بكل قواه - ضد الوثنية، والظلم، ثم

يطالعون سوابقه، ويلاحظون إلى جانب ذلك ما وقع ليلة ميلاده من الحوادث العظيمة التي تتلاعما مع دعوته، فإنهما ولا شك سيعتبرون تقارن هذين النوعين من الحوادث دليلاً على صحة دعواه، وصدق مقاله فيصدقونه، وينضرون تحت لوائه.

س ٣٩ - س ٤٠ : من الذي سماه محمد؟ وهل كان هذا الاسم موجود سابقاً؟!

ج: / حلَّ اليوم السابعُ من الميلاد المبارك، فعمَّ عبد المطلب عن النبي بكبس شكرأَ الله تعالى ودعا جماعة ليشتركوا في الاحتفال الذي حضره عامة قريش لتسمية النبي، وسماه «محمدًا»، وعندهما سأله عمَّا حمله على أن يسمى هذا الوليد المبارك «محمدًا» وهو اسم لم يعرف العرب إلا نادراً أجاب قائلاً: أردتُ أن يحمد في السماء والأرض^(١).

ولى ذلك يشير حسان بن ثابت بقوله:

فشقَّ له مِنْ اسْمِه لِيَجْلَهُ فَذَفَاءُ وَالْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ^(٢)

ومن المسلم أن هذا الاختيار لم يكن ليتم من دون دخالة للإلهام الإلهي، لأن اسم «محمد» وإن كان موجوداً عند العرب إلا أنه قلَّ من كان قد تسمى بهذا الاسم، فحسب ما استقصاه بعض المؤرخين لم

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٧٨.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٧٨.

يتسم به إلى ذلك اليوم من العرب إلا ستة عشر شخصاً كما يقول
شاعرهم:

إِنَّ الَّذِينَ سُمِوا بِاسْمِ مُحَمَّدٍ مِّنْ قَبْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ ضِعْفُ ثَمَانٍ^(١)

س ٤١: / لقد ذكر القرآن الكريم اسمين أو عدة أسماء للنبي الأكرم ﷺ، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا حَمَدَ إِلَّا رَسُولٌ فَذَلِكَتْ مِنْ قَبْلِهِ أَرْسُلُلَهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَوْا الصَّلَاحَتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ﴾، وقال عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاهُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾، سماه «محمد»، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ بِرُشْوَلٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْهُ أَحَدٌ﴾. سماه «أحمد»، فما العلة في ذلك؟!

ج: / العلة في تسميته بهذين الاسمين أن أمّه آمنة ﷺ سنته «أحداً» قبل أن يسميه جده، كما هو مذكور في التاريخ.

س ٤٢: / قال بعض المستشرقين بأن الإنجيل - حسب تصريح القرآن الكريم في سورة الصافات الآية/٦ - بشربني إسمه «أحمد»، لا «محمد»، وعلى هذا الأساس ذكر القرآن ذلك؟!

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٨٢.

ج : / هذا كلام لا أساس له ولا مبرر، لأن القرآن الكريم الذي سمى نبينا بـ«أحمد» سماه في عدة مواضع بـ«محمد» فإذا كان المصدر في تعين اسم النبي هو: القرآن الكريم، فإن القرآن سماه بكل الأسماء، في موضع باسم «محمد» وفي آخر باسم «أحمد».

س ٤٣ : / هل كان اسم «أحمد» من أسماء النبي ﷺ المشهورة؟ ! .

ج : / كلُّ من كان له أدنى إلمام بتاريخ النبي الأكرم ﷺ علم أنه كان يُدعى باسمين في الناس منذ صغره أحدهما: «محمد»، والآخر «أحمد».

وهذه حقيقة من حقائق التاريخ الإسلامي، وقد روى المؤرخون هذا الأمر، ويع肯 للقارئ الكريم أن يقرأه في السيرة الخلبية .

ولقد أنشأ عمُّه «أبو طالب» أبياتاً سماه في بعضها «محمد» وفي بعضها الآخر «أحمد» وهذا يكشف عن أنه ﷺ كان معروفاً آنذاك بكل الأسمين .

وإليك بعض هذه الأبيات .

- ١ - إن يكن ما أتى به أحمدُ اليوم سناء وكان في الحشر ديناً .
- ٢ - أرادوا قتلَ أحمدَ ظالموه وليس بقتلهم فيهم زعيم
- ٣ - فلنسنا وبيتُ الله نسلمُ أحمداً لعراء من عض الزمان ولا كرب
- ٤ - إلا إن خبرَ الناسِ نفساً ووالداً إذا عذَّ ساداتُ البرية أحمدَ
- ٥ - وإن كانَ أحمداً قد جاءَهم بحقٍ ولم يأتُهم بالكذب

وقد سَمَّاهُ غير أبي طالب في أبياته بأحمد، مما يدل على أنه كان مشهوراً بهذا الاسم في ذلك الزمان..

س ٤٤ : / هل يمكنكم ذكر بعض هذه الأبيات التي سمته بـ«أحمد» في ذلك الزمان؟ ! .

ج : / نعم،

١ - قال حسان بن ثابت في رثائه عليه السلام :

مفجعة قد شفها فقد أَحْمَدَ فظلت لألاء الرسول تُعذَّذَ
أطالت وقوفاً تذرق العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أَحْمَدَ

٢ - قال جعفر بن أبي طالب في رثائه :

فمن كان أو يكون كأَحْمَدَ نظام الحق أو نكال لملحد

٣ - قال كعب بن مالك :

فهذانبي الله أَحْمَدَ سبخت صِفَارُ الحصى في كفه بالترئيم

٤ - قال ورقة بن نوفل :

فات بك حقاً يا خديجة فاعلمي حديثك إيانا فـأَحْمَدُ مُرسَلٌ

٤ - قالت عاتكة بنت عبد المطلب ترثي النبي عليه السلام :

يا عين جودي ما بقيت بعبرة سبخاً على خير البرية أَحْمَدٌ

٥ - وقال العباس بن عبد المطلب عند زواج النبي ﷺ من خديجة:
أحمد سعيد السورى خير ماش وراكب

س ٤٥ : من هي أم الرسول ﷺ؟!

ج: هي آمنة بنتُ وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة
 بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن

س ٤٦ : في أي جد تلتقي أم الرسول مع أبيه؟!

ج: في «كلاب بن مرّة».

«الرضاعة»

س ٤٧ : من أول من أرضع رسول الله ﷺ؟ ! .

ج : وردت روايات عديدة ومختلفة نذكر منها ما ورد عن الصادق علیه السلام حيث قال : عرض أمير المؤمنين علی رسول الله ﷺ أن يعقد لنفسه على بنت حزوة ، فقال له : أو لا تعلم أنها اختي في الرضاعة؟

ذلك لأنّ رسول الله ﷺ رضع مع عمه حزوة من امرأة واحدة .

ويروي ابن شهر أشوب أن ثُوبَيَّةَ كانت أول من أرضعت الرسول ﷺ حين أعتقها أبو هب ، وبعدها أرضعته حليمة السعدية .

وقيل «ثوبَيَّة» مولاًة «أبي هب» ، وقد أرضعته أربعة أشهر فقط ، وكان النبي ﷺ وزوجته الوفية خديجة بنت خويلد يقدران هذا العمل لها حتى آخر لحظات حياتها .

و «ثوبَيَّة» هذه كانت قد أرضعت قبل ذلك «حزوة» عم النبي ﷺ و «أبا سلمة بن عبد الله المخزومي» أيضاً فكانوا إخوة من الرضاعة .

وقد بعث رسول الله ﷺ بعد مبعثه، من يشتريها من «أبي لهب» ليعتقها فأبى. وكان النبي ﷺ يكرمها كلما دخلت عليه، وكان يبعث إليها بالصلة إلى أن بلغه خبرُ وفاتها عند منصرفه من وقعة «خبير» فسأل عن ابنها فقيل: مات قبلها، فسأل عن قرابتها، فقيل: لم يبق منهم أحد.

س ٤٨: / كم رضع رسول الله ﷺ من أمه؟! .

ج: / لم يرتصع وليدُ قريش المبارك «محمد» من أمه سوى ثلاثة أيام، ثم حظيت بفخر إرضاعه بعد ذلك ثوبية ثم حليمة... .

س ٤٩: / من هي حليمة ومن زوجها؟! .

ج: / هي حليمة بنت أبي ذؤيب واسمها عبد الله بن الحارث من قبيلة مصر، وكانت حليمة زوجة الحارث بن عبد العزى.

س ٥٠: / كيف أصبحت حليمة مرضعة للنبي ﷺ؟! وما فعل النبي ﷺ أول مرة؟!

ج: / يروي ابن شهر آشوب، تقول حليمة: في سنة ولادة رسول الله ﷺ عم بلادنا القحط والجدب. وقدمت مكة في طائفنة من نسوة بني سعد بن بكر، حيث نأخذ أطفالاً لأهل مكة لإرضاعهم، وكنت أمتطي أنااناً بعض الطريق، ومعنا ناقة لا تدر ضرورتها قطرة لبن،

ومعي طفلي الذي لم يكن في ثديي من اللبن ما نعلله به، ولم تكن عيناه تعرفان النوم من جوعه، ولما بلغنا مكانة لم ترضا أي من النساء بأخذ محمد^ص لأنه يتيم، وكنت يطمعن في عطاء الآباء، ثم إذا بي أرى رجلاً جليلاً ينادي: أيتها المرضعات أليس فيكن من تأخذ طفلاً مجهولاً؟ فسألت عمن يكون هذا الرجل، قالوا: عبد المطلب بن هاشم سيد مكانة، فتقدمت مسرعة وقلت: أنا، قال: من أنت؟ قلت: امرأة من بني سعد، وأسمي حليمة، فتبسم عبد المطلب وقال: بخ بخ، خصلتان حستان سعد وحلم، فيما عز الدهر وعز الأبد.

ثم أردف يقول: أي حليمة، عندي طفل يتيم اسمه محمد، ونساء بني سعد لم يقبلنه، وقلن: يتيم، ولا يتصور النفع من يتيم، وما أشبهك في هذا العمل بي إذ كنت طفلاً مجهولاً، فقبلته، ثم قدمت معه بيت آمنة، ولما وقعت عليها عيني راعني جهاها، ثم أخذت هذا اليتيم، وما أن ضممته إلى صدري ونظر إلى حتى رأيت نوراً يسطع من عينيه، ورغبت قرة عين أصحاب اليمين بشديبي الأيمن وتناوله، راغباً عن الثدي الأيسر، فتركه لابني، وامتلاً الثديان - ببركته - باللبن، فرضعا حتى ارتويما.

س٥١: / ما رأيكم بالقصة السابقة؟! ولماذا؟ .

ج: / أقول إن القسم الأول من هذه القصة ليس سوى أسطورة، لأن مكانة البيت الهاشمي الرفيعة، وشخصية رجل عُرف بكمال الجود

والإحسان، وبعون المحتاجين والمحرومين، كانت سبباً في أن لا ت تعرض المرضعات عن أخذ «محمد» فحسب، بل يتنازعن على أخذه وهذا لا يكون لهذا القسم من التاريخ سوى أسطورة تكذبها الحقائق.

س٥٢: ما هي العلة بعدم أعطاء عبدالمطلب النبي ﷺ إلى غير حليمة من المرضعات؟!

ج: / وذلك لأن وليد قريش لم يقبل أي ثدي من أثداء تلك المرضعات، ولم يزل كذلك حتى قبل ثدي «حليمة السعدية»، فتبر بذلك «عبد المطلب» وأهله سروراً عظيماً، بعد أن حزنهم امتناعه عنهنّ قبل ذلك^(١).

س٥٣: أين كان عبد الله والد النبي ﷺ؟!

ج: / ذكرنا سابقاً بأن والده عبد الله بن عبدالمطلب قد توفي بالمدينة عند أخواه ورسول الله ابن شهرين في بطن أمه، وقيل: سبعة شهور. أي كان في بطن أمه لم تضشه بعد....

س٥٤: ما الذي جرى عندما قدمت حليمة برسول الله ﷺ إلى دارها؟!

ج: / قالت حليمة: ولما قدمت به - أي بالنبي ﷺ - إلى

(١) بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

زوجي، جرى اللبن في أنداء ناقتنا ببركته، حتى أشبع أطفالنا، فقال زوجي: لقد جئتنا بطفل مبارك، تدفقت علينا النعمة ببركته، وفي الصباح أركبته على أثان لنا، فاتجهت إلى الكعبة وبمعجزة منه سجدت ثلاث سجادات ونطقت قائلة: لقد شفيت ببركته من السقم، وتخلصت من الإعياء ببركة أنّ على ظهري سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وخير السابقين واللاحقين، وانطلقت - رغم ضعفها - رهواً حتى جاوزت كل ما كان برفقنا من المطاييا، وكان ما طرأ من تبدل على أحوالنا موضع تعجب الجميع، وكان كل يوم يأتي منه بالمزيد، فإذا عادت مواشي القبيلة من المرعى جائعة، عادت مواشينا شعبة ممتلئة الضروع، مررنا في طريقنا بغار، أطلّ منه رجل يسطع النور من جبينه حتى يبلغ السماء، فسلم عليه وقال: لقد وكلني الحق تبارك وتعالى برعايته، وظهر أمامنا قطيع من الغزلان، وقلن بلسان فصيح: إنك لا تدررين يا حليمة من تربين، إنه أظهر المظہرين، وأطيب الطيبين، وكان كل جبل نمر به يسلم عليه، وعمت البركة عيشنا وكثرت أموالنا وأثرينا، وكثرت مواشينا من بركته، وهو لم يحدث قط في ثيابه «بل لا يُر براز يخرج منه» ولم تُر عورته مكسوقة أبداً، فكنا نرى لباسه يلتصق فوق عورته فيحفظها.

س ٥٥ : / هل هناك حادثة معينة تذكرها حليمة عن النبي ﷺ؟

ج: / نعم، لقد نقل المؤرخون عن حليمة السعدية قوله بأنها لما

تكلّلت إرضاً عن النبي ﷺ أرادت أن ترضعه في مخض أمها، ففتحت جيبيها وأخرجت ثديها الأيسر، وأخذت رسول الله ﷺ فوضعته في حجرها، ووضعت ثديها في فمه، فترك النبي ﷺ ثديها، ومال إلى ثديها الأيمن، فأخذت «حليمة» ثديها الأيمن من يد النبي ﷺ ووضعت ثديها الأيسر في فمه وذلك لأنَّ ثديها الأيمن كان جهاماً «أي خالياً من اللبن ولم يكن يدرُّ به»، وخففت حليمة أن النبي ﷺ إذا مصَّ الثدي ولم يجد فيه شيئاً لا يأخذ - بعده - الأيسر. ولكن النبي أصرَّ على أخذ الثدي الأيمن، فلما مصَّ الأيمن امتلاً فانفتح حتى ملأ شدقته فأدهش الجميع ذلك^(١).

س٥٦: / كيف كان رسول الله ﷺ مع أولاد حليمة؟!

ج: / قالت حليمة: سأله يوماً: أين يذهب إخوتي كلَّ يوم؟! قلت: يذهبون لرعى الأغنام.

قال: سأراقبهم اليوم. ولما ذهب معهم أخذه فوج من الملائكة إلى قمة الجبل، فغسلوه، فأسرع أبي نحوي وهو يقول: أسرعني إلى محمد فقد ذهباً به، ولما وصلت إليه رأيت نوراً يسطع منه نحو السماء، فتناولته بيدي أقبله وقلت: ماذا جرى لك؟.

قال: أماه لا تحزن إن الله معنا. وفاحت منه رائحة أطيب من المسك.

(١) بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٣٤٥ و ٣٤٦.

وقال ابن عباس: كانوا إذا أحضروا الطعام للأطفال تنازعوا فيما بينهم، أما هو فكان لا يمد إليه يداً، وكانوا إذا استيقظوا من النوم غمضت عيونهم، بينما يستيقظ هو بوجه نظيف ورائحة زكية.

س٥٧: / كيف كانت علاقته  مع جده ومع أمه وهو عند حليمة السعدية؟!

ج: / روي بسنده معتبر أنه بينما كان عبد المطلب يجلس يوماً قرب الكعبة، نادى مناد يقول: إنّ ولدًا حليمة يدعى محمدًا قد اخترق، فغضب عبد المطلب وراح يصيح: أي بنى هاشم، أي بنى غالب اركبوا، فمحمد  قد فقد، وأقسم أنه لن يترجّل عن فرسه ما لم يأت بمحمد، أو يقتل ألف أعرابي ومئة قريشي، وراح يطوف حول الكعبة ويقول:

بَارْبُ رَدَ رَاكِبِيْ مُحَمَّدًا رَدًا إِلَيْ وَاتَّخَذَ عَنْدِي بِدًا
بَارْبُ إِنَّ مُحَمَّدًا مُوْجَدًا فَجَمِعَ قَوْمِي كُلُّهُمْ تَبَدَّرَا

فسمع نداء يقول: إنّ الحق تبارك وتعالى لن يضيع محمدًا، فسأل: وأين هو؟ فوصل النداء: إنه في الوادي الفلاني تحت شجرة أم غيلان الشوكية، ولما قدمنا ذلك الوادي رأيناه يتناول من شجرة الشوك رطباً غنيّة بالماء وياكلها، وإلى جانبه يقف شابان ابتعدا لما اقتربنا، وكان جبرئيل وميكائيل، فسألناه من أنت؟ فأجاب: أنا ابن عبد الله بن عبد

المطلب، فرفعه عبد المطلب فوق كتفه وعادوا به، ثم طاف به سبعة أشواط حول الكعبة، واجتمع عند آمنة كثير من النساء مواساة لها، ولما قدم به إلى البيت انطلق إلى أمّه دون أن يلتفت إلى الآخريات.

س ٥٨: / كم بقي رسول الله ﷺ مع حليمة السعدية؟!

ج: / قالت حليمة: قمت بتربية ﷺ خمس سنوات و يومين.

س ٥٩: / عرفنا أن رسول الله ﷺ أمضى خمسة أعوام و يومين في قبيلة بني سعد، كم مرّة أخذته حليمة خلال هذه الفترة إلى أمّه؟!

ج: / خلال هذه المدة أخذته «حليمة» إلى أمّه مرتين أو ثلاثة، وقد سلمته إلى أمّه في آخر مرّة.

س ٦٠: / لم تأخذه أمّه في المرة الأولى؟! و متى كانت هذه المرة؟!

ج: / كانت المرة الأولى من تلك المرات عند فطامه، ولهذا السبب أتت به ﷺ حليمة إلى مكة ولكنها عادت به إلى الصحراء بإصرار منها، وكان السبب وراء هذا الإصرار على اصطحابها معها إلى البادية هو أن هذه الوليد قد أصبح مبعث خير ورخاء، وبركة في منطقتها، وقد دفع شيوخ مرض الوباء في مكة إلى أن تقبل أمّه الكريمة بهذا الطلب^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٤٠١.

س ٦١: / لم تأخذه أمه في المرة الثانية؟ ومتى كانت هذه المرة؟! .

ج: / كانت عندما قدم جماعة من نصارى الحبشة إلى الحجاز، فوقع نظرهم على محمد ﷺ في بني سعد، ووجدوا فيه جميع العلام المذكورة في الكتب السماوية للنبي الذي سيأتي بعد عيسى المسيح ﷺ، وهذا عزموا على أخذه غيلة إلى بلادهم لما عرفوا أن له شأنًا عظيمًا، لينالوا شرف احتضانه ويدهبا بفخرة^(١) .

س ٦٢: / حين دخول رسول الله ﷺ على أمه من اعتنی به ورعاه؟!

ج: / حين دخول رسول الله ﷺ على أمه انصرفت إليه أم أيمن الحبشية تعتنی به وترعاه، وكانت جارية لعبد الله، ثم انتقلت بالميراث إلى النبي ﷺ، وكانت إذا لم ترها شكت الجوع والعطش، فإذا شربت شربة من زمزم، كفتها حتى وقت العشاء، وكثيراً ما كان يقدم لها الطعام فلا تأكله.

س ٦٣: / كم كان عمر رسول الله ﷺ عندما تُوفيت أمه؟!

ج: / ماتت أمّة آمنة ﷺ وهو ابن أربع سنين. وقيل: بعد أن أتم السادسة من عمره الشريف.

(١) السيرة النبوية: ج ١، ص ١٦٧ .

س ٦٤ : / نفهم من جواب السؤال السابق أنه ﷺ بقي عند حليمة بعد وفاة والدته بستين ونيف؟!

ج : / نعم، ذلك صحيح . . . هذا على الرأي الأول، أما على الرأي الثاني وهو الصحيح يكون فارق حليمة وعاشر مع أمها ما يقارب السنة.

س ٦٥ - س ٦٦ : / هل عاشت السيدة آمنة مع ولدها في مكة أم غادرت إلى المدينة؟! وكيف كانت وفاتها وأين؟

ج : / يقول الراوي : . . . فقد قدمت آمنة إلى عبد المطلب تسأله أن يأذن لها بالرحيل إلى المدينة حيث يسكن أخوها من بني عدي بن النجار، وأن تصحب معها ابنها محمدًا ﷺ كي يرمه، فأذن لها، فحملته واتجهت إلى المدينة برفة حاضنته أم أيمن، ونزلت في دار النابغة حيث دفن عبد الله أبو النبي ﷺ، وهناك اجتمعت بأهلهما، وبعد شهر قفت راجعة إلى مكة، وفي الطريق إليها، في الأبواء، وتقع بين مكة والمدينة، ساءت صحتها وفارقت الحياة، ودفنت هناك.

س ٦٧ : / أين يوجد قبر السيدة آمنة ﷺ الآن؟! مع وجود قبر لها في مكة؟!

ج : / أما عن قبرها الذي يقوم في مكة هذه الأيام فيقال إن جسدها المبارك قد نقل إلى مكة من الأبواء.

س ٦٨ : / هل يذكر رسول الله ﷺ موقف مع أمّه السيدة آمنة ؟ !

ج : / روي إنها ؓ خرجت مع النبي ﷺ وهو ابن حسن أو ست سنين ونزلت بالمدينة تزور أخوال جده وهم بنو عدي بن النجار ومعها أم أيمن «بركة» الحبشية، فأقامت عندهم، وكان الرسول بعد الهجرة يذكر أموراً حدثت في مقامه ويقول : «إن أمي نزلت في تلك الدار، وكان قوم من اليهود مختلفون وينظرون إلى فنظر إلى رجلٍ من اليهود فقال : يا غلام ما اسمك؟»

فقلت : أحمد، فنظر إلى ظهري، وسمعته يقول : هذا نبي هذه الأمة، ثم راح إلى أخوانه فأخبرهم، فخافت أمي علىٰ فخرجنا من المدينة، فلما كانت الأبواء توفيت ودُفنت فيها . . .

س ٦٩ : / بعدهما فارق رسول الله ﷺ حليمة السعدية كيف كانت معاملته معها ؟ !

ج : كان رسول الله ﷺ يعاملها بلطف واحترام ، ففي سنين الجدب والقطط التي كانت تضرب مكة وضواحيها بين الحين والآخر ربما قدمت حليمة السعدية مكة لتزور ولدتها الرضاعي محمد فكان النبي ﷺ يكرّمها ويحترّمها ، ويفرش رداءه تحت أقدامها ، ويصغّي لكلامها بعناية ولطف ، وفاء بجميلها ، وعرفاناً لعواطفها وأمومتها .

فقد روي أن حليمة قدّمت على رسول الله ﷺ مكّة بعد تزوجه خديجة، فشكّت إليه جدب البلاد وهلاك المواشي فكلّم رسول الله ﷺ خديجة فأعطتها بعيراً وأربعين شاة، وانصرفت إلى أهلها موفورة، مسروقة.

وروي أيضاً أنه استأذنت حليمة عليه ذات مرة فلما دخلت عليه قال: «أمّي أمّي» وعمد إلى ردائها فبسطه لها فقدت عليه^(١).

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٠٣.

«صفاته وشمائله»

س ٧٠ : هل يمكنكم ذكر شمائل رسول الله ﷺ؟

ج : / أعلم أنه ﷺ «كان فخماً مفخماً، يتلاؤ وجهه تلاؤ القمر ليلة البدر، أطول من المريون، وأقصر من المشتب، عظيم الهامة، رَجُل الشعر، إذا انفرقت عقرفته فرق، وإنّا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وقره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزجّ الحاجبين، سواعغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحبسه من لم يتأمله أشّم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم أشتب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادئاً متماسكاً، سواه البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرّد، موصول ما بين اللبة والسترة بشعر يجري كالححط، عاري الثديين والبطن وما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزنددين، رحب الراحة، شتن الكفين والقدمين سائل الأطراف، سبط العصب، خصان الأخصان، فسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعاً، يخطو تكتيّاً ويعشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأغاً ينحط من

صَبَبْ، وَإِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَيِّعًا، خَافِضُ الْطَّرْفِ، نَظَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلَّ نَظَرَهُ الْمَلَاهَظَةِ، يَبْدُرُ مِنْ لَقِيهِ بِالسَّلَامِ».

س ٧١: / هل لديكم ذكر بعض معاني الكلمات التي اشرنا إليها في السؤال السابق؟!

ج: / نعم، يمكن ذلك:

- ١ - المشذب: البائن الطول في خفافة، الحسن المخلق.
- ٢ - الشعر الرجل: ما كان بين الجمودة والاستسال.
- ٣ - أرجح الحاجب: رقيقه في طول.
- ٤ - القرن: الطرف الشاخص من كل شيء.
- ٥ - العبرنين: الأنف، وقني الأنف: ارتفع وسط قصبه وضاق منخراه، فهو أقنى.
- ٦ - ضليع الفم: عظيمة قوية.
- ٧ - المفلج من الأسنان: المفرج.
- ٨ - المسربة: مجرى الدم.
- ٩ - الكراديس: جمع كردوسة وهي كل عظم تكردوس اللحم عليه،

أو كلّ عظمين التقايا في مفصل .

١٠ - الشش: من كان غليظ اللحم .

١١ - الأخص: وسط القدم، وخصان: ضامر، والمعنى أنّ قدميه ضامرتا والوسط غير مسطحتين .

١٢ - يقال: ذرع في المشي إذا حرك ذراعيه .

١٣ - الصبب: ما انحدر من الأرض أو الطريق .

س ٧٢: / ذكرتم في ذكر شمائله... «إلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وقره...» أي كان شعره طويل إلا يعتبر ذلك مستقبحاً؟!

ج: / أقول: كان حلق الشعر في ذلك العهد مستقبحاً، ولا يحسن أن يصدر عن النبي ﷺ والإمام ما يستقبحه النظر، ولما جبّ الإسلام ذلك، صار الأئمة ﷺ يحلقون رؤوسهم .

س ٧٣: / هل يمكنكم ذكر موجز عن صفاته ﷺ؟!

ج: / كان ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكره ليست له راحة، ولا يتكلّم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلّم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه، ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافى ولا بالمهين ،

تعظم عنده النعمة وإن دقّت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه كان لا يذم ذواقاً ولا يدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعطى الحق لم يعرف أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى يتصر له، وإذا أشار وأشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدّث قارب يده اليمين من اليسرى، فضرب بإبهام اليمين راحة اليسرى وإذا غضب أعرض بوجهه وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، وجعل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي ﷺ قال: «... ولقد قرئ الله به عليه السلام من لدن كان فطيناً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه أتباع الفضيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، يأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بمراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيته واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله عليه السلام وخدجية وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة^(١)».

س ٧٤: كيف كانت سيرته عليه السلام في الأمة؟!

ج: كان من سيرته في الأمة إثارة أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم

(١) نهج البلاغة: ص ٣٠٠.

ذو الحوائج، فيتشاغل ويشغلهم في ما أصلحهم وأصلاح الأمة، من مسأله عنهم، وإخبارهم بالذى ينبغي، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته... يدخلون رواداً ولا يفترقون إلاّ عن ذوق، وينحرجون أدلة فقهاء. كان ﷺ يخزن لسانه إلاّ عما يعنيه، ويؤلفهم ولا يتفرّهم، ويكرم كريم كلّ قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، ولا يقصر عن الحق، ولا يجوزه الذين يلونه من الناس، خيارهم أفضلهم عنده، وأعمّهم نصيحة للMuslimين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

كان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر، ولا يوطن - أي يتخدنه له وطنًا - الأماكن وينهى عن إيطانها.

س ٧٥: كيف كان مجلسه ﷺ؟!

ج: / كان ﷺ إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كلاماً من جلساته نصيحاً، حتى لا يحسب أحد من جلساته أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه صابرٌ حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأل حاجة لم يرجع إلاّ بها أو بمبادرته من القول، قد وسع الناس منه خلقه، وصار لهم أباً رحيمًا، وصاروا عنده في الحق سواء.

مجلس مجلس حلم وحياة وصدق وأمانة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن^(١) فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير، ويرحون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

٧٦: / كيف كان ﷺ مع أصحابه؟

ج: / كان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش ولا عياب، ولا مزاح ولا مذاح، يتغافل عما لا يشتهي فلا يؤيس منه، ولا يُخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاثة، المرأة والإكثار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاثة: كان لا يذم أحداً ولا يعتره ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساً كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، وإذا تكلم أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه، يصحح مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المسألة والمنطق، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيت طالب حاجة يطلبه فأرفوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام.

(١) ابن شيه: عابه واتهمه به.

س ٧٧: / ذكرتم أنه يصبر على الجفوة في المسألة والمنطق، فهل يمكنكم ذكر حادثة لذلك؟!

ج: / نعم، روي أنّ شاباً قدم إلى رسول الله ﷺ وقال: هل ترخص لي بالزن؟!. فاندفع الصحابة ينهرونه، لكن النبي ﷺ قال: أدن متى.

تقدّم الشاب منه، فقال له: أتحب أن يزني أحد بأمرك، أو بأختك وأبنتك، أو بعماتك وخالاتك وذوات قرباك، وهل تأذن بذلك؟

قال الشاب: لا، لا أرضي بذلك.

قال ﷺ: فجميع عباد الله كذلك.

ثم وضع يده المباركة على صدره وقال: «اللهم أغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه». فلم يُرّ بعدها مع أجنبية فقط.

س ٧٨: / كيف كانت سيرته ﷺ مع الكفار؟!

ج: / يروى نقاً عن سيرة ابن هشام أنّ رسول الله ﷺ بعث بسرية إلى بني طيء، وتم لهم الفتح، وعادوا إلى المدينة بالأسرى، وكانت فيهم ابنة حاتم الطائي، فما أن بصرت برسول الله ﷺ حتى بادرت بالقول:

«يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فأمن علىَّ، من الله عليك».

ومرادها أن أباها حاتماً قد مات، وأن أخيها عدياً بن حاتم قد فر إلى الشام.

لكن النبي ﷺ أمسك عن الجواب، حتى مضى اليوم الأول والثاني، وفي اليوم الثالث أمر بإحضارها، فأشار إليها أمير المؤمنين عـ بن أبي قحافة بأن تكرر عرض شكياتها، ففعلت وأعادت قولها، فأجابها الرسول الأكرم بأنه رصد وصول قافلة مأمونة ليعيدها إلى قومها، وعفا عنها.

وذلك كانت سيرتة مع الكفار.

س ٧٩: / يروي أرباب السير في سيرته ﷺ أنه كان إذا بعث بالجند أو صاحم ووعظهم، فهل يمكنكم ذكر وصية أو موعظة؟!
ج: / نعم، كان ﷺ يقول: «اذهبوا على اسم الله، واستقيموا بالله، وجاهدوا الله وعلى ملة رسول الله.

أيها الناس، اجتنبوا المكر، ولا تستحلوا السرقة في الغنائم، ولا تقتلوا بمن يقتل من الكفار، فلا تسللوا علينا، ولا تقطعوا أذناً أو عضواً، ولا تؤذوا شيئاً أو امرأة أو طفلاً، ولا تقتلوا راهباً سكن في كهف أو غار، ولا تقطعوا شجرة من أصلها إلا لضرورة، ولا تحرقوا نخلة، ولا تغرقوا بالماء زرعاً، ولا تقلعوا شجرة مشمرة، ولا تحرقوا الحرش والزرع، فأنتم له محتاجون، ولا تهلكوا حيواناً حلّ حمه، إلا

ما كان نصيباً للقوت، ولا تسموا ماء المشركين أبداً، ولا تلجموا إلى الحيلة».

س٨٠: كيف كان رسول الله ﷺ مع القرآن؟!

ج: جاء في رواية معتبرة: أنه سئل عما أسرع بالشيب إلى فوديه، فقال: شبيتي هود، والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، ففيها أخبار القيمة، وعذاب الأمم الغابرة.

س٨١: كيف كان زهد رسول الله ﷺ؟!

ج: قال الإمام الرضا ع: ما شبع النبي ﷺ من خبز بـ ثلاثة أيام حتى مضى لسبيله وعن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كان يأكل على الأرض، ويقبض على اللحم بيده، وإذا دعاه غلام إلى خبز الشعير في بيته أجابه.

س٨٢: هل يمكنكم أن تذكروا لنا حادثة تبين لنا جوابكم في السؤال السابق؟!

ج: نعم يمكن ذلك، قال علي بن أبي طالب ع: «كنا مع النبي ﷺ في حفر الخندق، إذ جاءته فاطمة ومعها كسيرة من خبز، فدفعتها إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ (عليه الصلاة والسلام): ما هذه الكسيرة؟، قالت: قرص خبزته للحسن والحسين جثتك منه بهذه

الكسيرة، فقال النبي ﷺ: يا فاطمة أما إنه أول الطعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث». .

س٨٣: / كيف كان تواضعه ﷺ؟ نرجوا بيان ذلك بقصة؟!

ج: / نعم يمكن ذلك، قال الإمام الصادق ع: أفتر رسول الله ﷺ عشيّة خميس في مسجد قباء، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أبوس بن خولي الأنصاري بعسّ مخipس بعسل، فلما وضّعه على فيه نحّاه ثم قال: «شرابان يُكتفى بأحدّهما من صاحبه، لا أشربه ولا أحّرمه، ولكن أتواضع لله، فإنّ من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر حفظه الله، ومن اقتصر في معيشته رزقه الله، ومن بدأ حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحّبه الله». .

ويقول الشيخ الطبرسي إن تواضعه ﷺ بلغ حدّاً أنه في خير ويوم بني قريظة وبني النضير كان على حمار مخطوم بجمل من ليف تحته إكاف من ليف، وكان يسلم على النساء والأطفال.

وقال ابن مسعود: أتى النبي ﷺ رجل يكلّمه فأرعد، فقال ﷺ: «هون عليك، فلستُ بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القدّ».

س٨٤: / كيف كانت عبادته ﷺ بصورة مختصرة؟!

ج: / أفضل ما يجاذب عن هذا السؤال هذه الرواية، قال الإمام

الصادق عليه السلام: كان رسول الله ﷺ أول ما بُعث يصوم حتى يقال: ما يفطر، ويفطر حتى يقال: ما يصوم، ثم ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً، وهو صوم داود عليه السلام، ثم ترك ذلك وصام ثلاثة الأيام الغر «البيض»، ثم ترك ذلك وفرقها في كل عشرة يوماً: «خميسين بينهما أربعة، فتقبض (عليه وآلـه السلام) وهو يفعل ذلك».

وكان عليه السلام يصوم شعبان كلـه، ويقول: شعبان شهرـي.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: أنـ رسول الله ﷺ كان يحمد الله في كل يوم ثلاثة وستين مرة، عدد عروق الجسد، يقول: «الحمد لله رب العالمين كثيراً على كلـ حال».

وعن الجلـسي أنه كان لا يقوم من مجلس - وإن خـفـ - حتى يستغفر الله - عـزـ وجلـ - خـسـاً وعشرين مرـة.

وكان عليه السلام يستغفر للـله - عـزـ وجلـ - كلـ يوم سبعين مرـة، ويـتـوب إـلـيـه سـبـعين مرـة.

س ٨٥: / كيف كان رسول الله ﷺ مع أصحابـه، صغارـاً وكبارـاً في الحـضـر وفي السـفـر؟!

ج: / نذكر ذلك في قصة فقد روي أنه عليه السلام كان في سـفـرـ، فأمر بإصلاح شـاءـ، فقال رـجـلـ: يا رسول الله، عـلـيـ ذـبـخـهاـ، وقال الآخر: عـلـيـ سـلـخـهاـ. وقال آخر: عـلـيـ طـبـخـهاـ، فقال عليه السلام: وعلـيـ جـمـعـ الحـطـبـ

قالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك.

قال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أغتير عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه. وقام فجمع الحطب.

وروي أيضاً: كان خدم المدينة يأتون رسول الله ﷺ - إذا صلّى الغداة - بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها، وربما كان ذلك في الغداة الباردة، يريدون به التبرّك.

وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوه له، أو يسميه، فإذا أخذه فيوضعه في حجره تكرمة لأهله، فربما بالصبي عليه، فيصبح بعض من رأه حين بال، فيقول: «لا ترزموا الصبي».

فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته، فيبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنه يتآذى ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد.

س: ٨٦ / كيف كان ﷺ مع خادمه؟!

ج: يجيب على هذا السؤال أنس حيث قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، مما قال لي أَفْ قَطْ وما قال لشيء صنعته، لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته.

وقال أيضاً: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، مما قال لي قَطْ: هلا

فعلت كذا وكذا ، ولا عاب على شيئاً قط . وشمت العطر كلّه فلم أشمْ نكهة أطيب من نكحته . وما أخرج ركبته بين جليس له قط .

س ٨٧ : هل يمكن توثيق ما ذُكر في السؤال السابق بقصة؟

ج / نعم ، قال أنس : كانت لرسول الله ﷺ شربة يفطر عليها ، وشربة للسحر ، وربما كانت واحدة ، وربما كانت لينا ، وربما كانت الشربة خبزاً يُمَاتَ ، فهياًتها له ﷺ ذات ليلة ، فاحتبس النبي ﷺ وظلتْ أنَّ بعض أصحابه دعاها ، فشربها حين احتبس ، فجاء ﷺ بعد العشاء بساعة ، فسألت بعض من كان معه : هل كان النبي ﷺ أفتر في مكان ، أو دعا أحد؟ ، فقال : لا .

«فبت ليلة لا يعلمها إلا الله من غم [خوف] أن يطلبها متنى النبي ﷺ ولا يجدها ، فيبيت جائعاً فأصبح صائمًا ، وما سألني عنها ، ولا ذكرها حتى الساعة» .

س ٨٨ : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ لَعَنَ حُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟

ج / روي أن أعرابي أدركه ﷺ فأخذ بردائه فجذبه جبنة شديدة ، حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبه ، ثم قال له : يا محمد ، مزلي من مال الله الذي عندك .

فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك، وأمر له بعطاء، فنزل قوله تعالى:
 ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ خُلُقَ عَظِيمٍ﴾ ﴿١﴾.

س٨٩: / كيف كان ينظر رسول الله ﷺ إلى سوء الخلق والبخل؟!

ج: / عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «أنا أديب الله، وعلى أبيبي، أمرني ربى بالسخاء والبر، ونهاني عن البخل والجفاء، وما شيء أغض إلى الله عز وجل من البخل وسوء الخلق...».

س٩٠: / كيف كانت شجاعة رسول الله ﷺ؟!

ج: / لقد بلغت شجاعته ﷺ حداً جعل أسد الله الغالب يقول: «كتا إذا احمرَّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه».

س٩١: / هل كان رسول الله ﷺ يمزح؟!

ج: / نعم لقد روي أنه ﷺ كان يمزح، ولا يقول إلا حقاً.

س٩٢: / هل يمكنكم ذكر قصة أو أكثر تبين لنا مزح رسول الله ﷺ مع الرجال؟!

ج: / نعم نذكر عدد منها: -

١ - يقول المطري: كان لأنس بن مالك أخ لأمه يقال له «أبو عمير»، وذات يوم رأه النبي ﷺ وهو مغموم، فسأله عما به، فقال: مات نُعَيْرُ! «وهو فرخ دجاج كان عنده فمات» فأجابه ﷺ مازحاً: «يا أبو عمير، ما فعل النغير».

٢ - ويروى أنه استدبر رجلاً من ورائه، وأخذ بعضه وقال: من يشتري هذا العبد؟ يعني أنه عبد الله.

س ٩٣: هل يمكنكم ذكر قصة أو أكثر تبين لنا مزح رسول الله ﷺ مع النساء؟

ج: / نعم نذكر منها:

١ - قال لامرأة ذكرت زوجها: أهذا الذي في عينيه بياض؟
قالت: لا، ما في عينيه بياض. وحكت لزوجها فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها.

٢ - قالت عجوز من الأنصار للنبي ﷺ: أدع لي بالجنة، فقال ﷺ: إن الجنة لا يدخلها العجز، فبكت المرأة، فضحك النبي ﷺ وقال: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنثَانَهُنَّ إِنَّهُمْ بَعَثْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾^(١)؟

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٣٥-٣٦.

س ٩٤: / هناك بعض الآداب الشريفة والأخلاق الكريمة لحافظ الرسالة ﷺ يذكرها ابن شهرآشوب، فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج: / نعم، يقول ابن شهرآشوب رضي الله عنه: يظهر من الأخبار المترفة أنه ﷺ كان أحكم الناس وأحلهم وأشجعهم وأعد لهم وأعطفهم، لم تمس يده امرأة لا تخل، وأسخى الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يعطيه - ويحيطه الليل - لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما أتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه، حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء.

وكان يجلس على الأرض، وينام عليها، ويأكل عليها، وكان ينحصف النعل، ويرفع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويعقل البعير فيحلبها، ويطحن مع الخادم إذا أعيما، ويضع طهوره بالليل بيده، ولا يتقدمه مطرق «أي كان أكثر الناس إطرافاً إلى الأرض حباء»، ولا يجلس متكتئاً، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم. وإذا جلس على الطعام جلس محقرأ، وكان يلطم أصابعه «يلعقها ويغضها»، ولم يتجرضاً قط.

ويحيب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع، يقبل الهدية - ولو أنها جرعة لبن، ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، لا يثبت بصره في وجه

أحد، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر، ولا يردد ما وجد، لا يلبس ثوبين، يلبس بُرداً حبرة يمنية، وشلة جبة صوف.. والغليظ من القطن والكتان، وأكثر ثيابه البياض، ويلبس العمامة، ويلبس القميص من قبل ميامنه، وكان له ثوب لل الجمعة خاصة، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً، وكان له عباء يفرش له حيثما ينفل يثنى ثنيتين، يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن.

يحب البطيخ، ويكره الريح الرديئة، ويستاك عند الوضوء، يردد خلفه عده أو غيره، يركب ما أمكنه من فرس أو بغلة أو حمار.

وقال: كان ﷺ يشيّع الجنائز، ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين ويناوهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف على أهل الشرق بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعذر إليه، وكان أكثر الناس تبسمًا مالم ينزل عليه قرآن أولم تغير عظة، وربما ضحك من غير فقهه، لا يرتفع على عبيده وإمامه في مأكل ولا ملبس، ما شتم أحداً بشتمة، ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة، ولا لاموا أحداً إلا قال: دعوه، ولا يأتيه أحد - حر أو عبد أو أمة - إلا قام معه في حاجته، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفر ويصفح.

يبدأ من لقيه بالسلام، ومن رامه بحاجة صابرَةٌ حتى يكون هو المنصرف، ما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها، وإذا لقى مسلماً بدأه بالمصافحة، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلِّي - إلا خفف صلاته، وأقبل عليه وقال: أللَّهُ يجلس حيث ينتهي به المجلس، وكان أكثر ما يجلس مستقبلاً القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخِل بالوسادة التي تحته، وكان في الرضى والغضب لا يقول إلا حقاً.

كان يأكل الفتاء بالرطب والملح، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب، وأكثر طعامه الماء والتمر، وكان يتمتعج «يأكل جماعاً» اللبن بالتمر ويسمّيهما الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه اللحم، وأيأكل الثريد باللحم، وكان يحب القرع، وكان يأكل لحم الصيد ولا يصيده، وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف، ومن القدر «الحساء» القرع، ومن الصياغ «الإدام» الخل، ومن التمر العجوة، ومن البقول الهندباء والباذروج «من البقول»، وبالقلة اللينة.

س ٩٥: / هناك أبيات شعر قد نسبت للسيدة خديجة ؓ في مدحه ووصفه فهل يمكنكم ذكرها لنا؟ !

ج: / نعم، لقد اشتهر عن السيدة خديجة في مدحه قولها:
 جاء الحبيب الذي أهواه من سفر والشمس قد أثرت في وجهه أثرا

عجبت للشمس من تقليل وجنته والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

كما ينسب إليها من قبل البعض قوله :

نواحي زلبيخا لو رأين جبينه لأنرن بالقطع القلوب على الأيدي
ولو سمعوا في مصر أوصاف وجهه لما بذلوا في سوم يوسف من نقِّب

س ٩٦ : / ما هو رأيكم في كل ما ذكر في وصفه وصفاته وشمائله
وأخلاقه ﷺ؟

ج : أقول : إذا تدبر العاقل وتتأمل ما ذُكر من حسن أخلاق
الرسول ﷺ وحميد خصاله ، علم يقيناً أنه نبي بالحق ، وأن هذه
الأخلاق الشريفة ليست إلا إعجازاً ، ذلك أنه ﷺ نشا وترعرع بين
قوم تحرّدوا عن كل خلق حسن ، تدور عاداتهم حول العصبية والعناد
والتنازع والتغایر والتحاسد والفساد ، فتراهم في الحج يطوفون حول
الكعبة ويتقافزون عراة يصفرون ويصرخون ، كما حكى عنهم الحق
تعالى بقوله :

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنَّدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءَةٌ وَتَصْدِيمٌ﴾^(١).

فمن كانت عبادتهم على هذه الشاكلة ، عُلم كيف تكون سائر
أحوالهم ، والحال أنه بعد مضي ما ينوف عن ألف وثلاثمائة عام على

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٥.

بعثه ﷺ، وما أتتهم به الشريعة المقدسة - طوعاً وكرهاً - من إصلاح، فمن يراهم يدرك أي مرتبة من الإنسانية قد بلغوا، وفي أي مرحلة من الأدمية هم حيث كانوا يؤدون النساء الضعيفات، ورسول الله ﷺ نشأ بين ظهراني قوم كهؤلاء الأعراب، وقد اتصف بكل خلق حميد من علم وحلم وكرم، وعفة وشجاعة وجود، ومروءة وغيرها من صفات الكمال التي دبّج العلماء في تعدادها ووصفها المؤلفات، فلم يحيطوا بعشر أушارها معترفين بعجزهم عن بلوغ شاؤها، والله هو العالم.

«معاجزه ﷺ»

س ٩٧ : ما هي المعجزة وما هو تعريفها؟!

ج : لقد عرَّف علماء العقيدة المعجزة بتعاريف مختلفة أتقنها وأكملها هو : أن المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرُون بالدعوى، والتحدي، مع عدم المعارضة، ومطابقة الدعوى.

س ٩٨ : هل يمكنكم توضيح التعريف السابق - تعريف المعجزة -؟!

ج : أقول يعني الشرط الأول «أي كون المعجزة أمراً خارقاً للعادة» أن كل ظاهرة من الطواهر الطبيعية الحادثة مرتبطة بعلة حتماً، فلا يمكن صدورها من دون علة، وهذا الكون مشحون بالعلل التي يكشفها البشر شيئاً فشيئاً وتدرِّجاً عبر وسائله العادية أو العلمية، ولكن المعجزة مع كونها ظاهرة واقعية وهذا فهي كغيرها مرتبطة بعلة، بيد أنها تختلف عن غيرها من الطواهر في أنَّ من غير الممكن كشف عللها من الطريق العاديه أو بواسطة التجارب والتحقيقات العلمية، ولا يمكن تفسيرها وتبريرها بالعلل العاديه أو بما يكتشفه العلم من

العلل مثل هذه الحوادث، والمقصود من خرق العادة هو أن تقع المعجزة على خلاف ما عهdenا عليه في الظواهر الأخرى وعللها ، مثل إشفاء المرضى من دون علاج ودواء كما هو المعهود، وإخراج الماء من صخرة صماء من دون حفر أو تنقيب كما هو المأثور ، وتحويل العصا إلى أفعى من دون تبييض وتفريخ وتتوالد وتتناسل ، بل بمسح من يد ، أو بعبارة من لسان ، أو بضرب من عصا !!

من هنا نكتشف أن كل ظاهرة يقف الناس العاديون بالطرق العادية أو العلماء خاصة بالطرق العلمية على عللها وأسبابها لا تكون معجزة لأنّه في هذه الصورة لم يقع أي شيء على خلاف العادة ، والمأثور ليدل على مزية في الأنبياء .

فإن مثل هذه الظاهرة التي يكون لها علة عادية يعرفها جميع الناس ، أو سبب علمي خاص يعرفها علماء ومتخصصوا ذلك العلم يمكن أن يقوم بإيجاد أمثلها جميع الناس ، فلا يكون حينئذ معجزة .

ولا يعني هذا أنّ المعجزة لا تنتهي إلى آية علة ، أصلًا بل هي تستند إلى علة غير متعارفة وغير عادية . . .

والمقصود من «كون الإعجاز مقرورناً بالدعوى» أن يدعى صاحب المعجزة النبوة والسفارة من جانب الله تعالى ، ويأتي بالمعجزة دليلاً على صحة دعواه هذه ، إذ في هذه الصورة لا يكون الأمرُ الخارق للعادة معجزة بل يُطلق عليه في الاصطلاح الديني لفظ «الكرامة» كما كان

لريم بنت عمران التي كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً فإذا سألهما من أين لها ذلك؟ ، قالت: هو من عند الله .

ويعني الشرط الثالث أن يكون الإعجاز مفروضاً بدعوة الناس إلى الإتيان بمثله ، وعجز الناس عن هذه المعارضة ، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله مطلقاً إذ في هذه الصورة يتضح أن النبي يعتمد على قوة إلهية غير متناهية ، قوة خارجة عن حوزة البشر العادي .

وأما الشرط الرابع فيعني أن الأمر الخارق للعادة إنما يكون عملاً إعجازياً ، ويستحق وصف المعجزة الدالة على ارتباط الآتي بها بالمقام الإلهي ، إذا وافق الأمر الواقع ما يدعي أنه قادر على الإتيان به .

فلو قال: سأجعل هذا البئر الجاف الفارغ من الماء ، يفيض بالماء بإشارة إعجازية ، ثم يقع ما قاله كان هذا الأمر معجزة حقاً ، وأما إذا قال: سأجعل هذا الماء القليل الموجود في البئر يفيض ماء ، بالإعجاز ، ولكن جفَّ ذلك البئر على عكس ما قال ، لم يكن ذلك إعجازاً ، بل كان تكذيباً لمدعها .

س ٩٩ : / إن صفحات التاريخ مليئة بذكر من أدعوا النبوة خداعاً وكذباً ، واستثماراً للناس ، مستغلين سذاجة الأغلبية الساحقة من جانب ، وإنجذابهم الفطري إلى قضايا التوحيد واليمان من جانب آخر .

فكيف وبماذا يُميّز النبي الصادق عن مدّعي النبوة؟؟ .

ج: / إنَّ المعجزة هي إحدى الطرق التي تدل على صحة إدعاء النبوة . وإنما تدلُّ المعجزة على صدق ادعاء النبوة، وارتباط النبي بالمقام الربوبي لأنَّ الله الحكيم لا يمكن أن يزورَ الكاذب في دعوى النبوة بالمعجزة، لأنَّ في تزويد الكاذب تغريراً للناس الذين يعتبرون العمل الخارق دليلاً على ارتباط الآتي بها بالمقام الربوبي .

وإلى هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله في جواب من سأله عن علة إعطاء الله المعجزة لأنبيائه ورسله: «ليكون دليلاً على صدق من أتى به، والمعجزة علامَةُ الله لا يعطيها إلاَّ أنبياءه ورسله وحججه، ليعرفَ به صدق الصادق مِنْ كذب الكاذب»^(١) .

س ١٠٠: / لا شكَّ في أنَّ السحرة والمرتاضين يقومون بأفعال خارقة للعادة مثيرة للعجب والدهشة حتى أنَّ البسطاء ربما يذهب بهم الاندهاش إلى حدَّ الاعتقاد بأنَّ القائمين بهذه الخوارق مزوَّدون بقوىٍ غامضةٍ غيبيةٍ لا يتوصَّلُ إليها البشر - فكيف يمكن إذن أنْ يُميّز بين المعاجز وتلك الخوارق والعجبات؟! .

ج: / هناك فوارق بين المعجزة وغير المعجزة من الأعمال الخارقة للعادة، كأعمال السحرة والمرتاضين ونظائرهم، وهذه الفوارق هي

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ١٢٢ .

عبارة عن الأمور التالية :

- ١ - القوة الغامضة لدى السحرة والمرتاضين ناشئة من التعلم والتحصيل عند أساتذة تلك العلوم، وذلك طيلة سنين عديدة بعكس الإعجاز فلا يرتبط بالتعلم والتحصيل أبداً.
- ٢ - أفعال السحرة قابلة للمعارضة والمقابلة بأمثالها، وربما بما هو أقوى منها، على عكس الإعجاز، فالمعجزات غير قابلة لأن تعارض وتقابل بمثلها أبداً.
- ٣ - أفعال السحرة والمرتاضين الخارقة للعادة أمور محدودة ومقتصرة على ما تعلّموها وتمرنوا عليها، بينما لا تكون معاجز الأنبياء والرسل مقتصرة على أمور خاصة، فهم لا يعجزون عن شيء إلا أن يكون محال عقلاً كرؤيه الله . . .
- ٤ - إن أصحاب المعاجز يقصدون من معاجزهم دائمًا دعوة الناس إلى أهداف إنسانية عالية وغايات إلهية سامية وبالتالي هداية المجتمع البشري إلى المبدأ والمعاد، والأخلاق الفاضلة فيما لا يهدف المرتاضون والسحرة إلا تحقيق مأرب دنيوية حقيرة، ونيل مكاسب مادية رخيصة.
- ٥ - اختلاف الأنبياء والرسل عن السحرة والمرتاضين في نفسيتهم العالية، وأخلاقهم الفاضلة وتاريخهم المشرق، وصفاتهم النبيلة على العكس من السحرة والمرتاضين . . .

س ١٠١ : / هل كانت هُنَاك معاجز لرسول الله ﷺ ؟

ج : / نعم، اعلم أنه كانت لرسول الله ﷺ معجزات لم تكن لغيره من الأنبياء، في حين ظهرت على يديه معجزات تماثل ما ظهر على أيديهم جميعاً.

ويذكر ابن شهر آشوب أن معجزاته ﷺ هي أربعة آلاف وأربعمائة وأربعون معجزة، ذكر منها ثلاثة آلاف فقط.

س ١٠٢ - س ١٠٣ : / ما هي أقوى المعجزات وأهمها عند رسول الله ؟ ولماذا ؟

ج : / إن من الظاهر والبين عند المقلعين أن أقوى المعجزات كافة وأيقاها هو القرآن المجيد الذي عجز أهل الفصاحة والبلاغة مجتمعين عن الإتيان بمثله، مسلمين مقررين بعجزهم، وكل من لفَّ كلمات حاول بها مضاهاة القرآن انقلب خاسئاً وقد افتضح وانكشف، أمثال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وغيرهما . . .

فمعجزة القرآن المجيد هي أنه يفضح - ببلاغته وفصاحته - هذه الكلمات الجافية لمسيلمة والأسود، سيما وها يدعيان أن كلامهما وحي منزل، ويقرأونه أمام كثيرين، ذلك أن مسيلمة والأسود عريان، وما من عربي يقول كلاماً قبيحاً ككلامهم، وإن قاله فهو يعلم بقبحه، فلا يقرأه على أحد.

س١٠٤: هل يمكنكم ذكر مجموعة من الكلام الملتف لرسالة مسيحية والأسود؟!

ج: / نعم، يمكن ذلك، فمن كلام مسيحية الذي يعارض به سورة الذاريات قوله: «والذارعات زرعا، فالحاصلات حصدا، فالطاحنات طعنا، فالخابزات حُبزا، فالآكلات أكلا». .

وفي معارضة سورة الكوثر قوله: «إنا أعطيناك الظاهر، فصل لربك وهاجر، إن شائقك هو الكافر». .

ومن كلام الأسود في معارضه سورة البروج قوله: «والسماء ذات البروج، والأرض ذات المروج، والنساء ذات الفروج، والخيل ذات السروج، ونحن عليها توج، فوق اليلوى والفلوج». .

ومن كلامه أيضاً قوله: «يا ضفدع بين ضفدعين، نقى نقى كم تتقى، لا الشارب تمنعن، ولا الماء تقدرین، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين». .

س١٠٥: / نريد منكم أن تذكروا بعض معاجز رسول الله ﷺ، ولكن بشكل مقسم فكيف ذلك؟!

ج: / نعم، سنذكرها على أقسام:

- ١ - القسم الأول: المتعلقة بالأجرام السماوية وسنذكر منها مثل:
أ - شق القمر. ب - ردة الشمس. ج - نزول المطر. د - نزول فاكهة من فواكه الجنة.
- ٢ - القسم الثاني: المعجزات التي ظهرت منه في الجمادات والنباتات. وسنذكر منها مثل:
أ - حنين جذع التخلة. ب - تحرك الشجرة بأمره. ج - تخضير الشجرة بركته. د - سوط الطفيل كالقتيل.
- ٣ - القسم الثالث: المعجزات التي ظهرت في البهائم: وسنذكر منها مثل:
أ - قصة الضبيبة. ب - قصة البعير. ج - قصة الطائر.
- ٤ - القسم الرابع: معجزاته ﷺ في إحياء الموتى وشفاء المرضى، والمعجزات التي ظهرت من أعضائه الشريفة، سنذكر مجموعة منها إن شاء الله.
- ٥ - القسم الخامس: المعجزات التي ظهرت في كفاية شر الأعداء، كذلك سنذكر مجموعة منها.
- ٦ - القسم السادس: معجزاته ﷺ في استيلائه على الجن والشياطين، وإيمان بعض الجن به، وسنكتفي بالإشارة إلى شطر منها.

٧ - القسم السابع: معجزاته في إخباره بالغيتات.

س ١٠٦: / ذكرتم في جوابكم سؤال السابق معجزة شق القمر في
القسم الأول فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج: / نعم، قال تعالى: ﴿أَقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ ⑩ وَلَذِكْرًا
إِيمَانَهُ يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا يَسْعِرُ شَسْمَرٌ ⑪﴾^(١) يروي أكثر المفسرين من الخاصة
والعامة أن هذه الآيات نزلت حين طلبت قريش معجزة من النبي ﷺ،
فأشار إلى القمر فانشق نصفين بقدرة الحق تعالى، وفي بعض الروايات
أن هذا كان ليلة الرابع عشر من ذي الحجة.

س ١٠٧: / ذكرتم في جوابكم للسؤال رقم «١٠٥» معجزة رد
الشمس في القسم الأول فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج: / نعم، يروي أكثر المفسرين من الخاصة والعامة بأسناد كثيرة
عن أسماء بنت عميس وغيرها أن رسول الله ﷺ بعث أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمُبَارَكَاتُ
في حاجة في غزوة حنين، وقد صلَّى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ العصر ولم يصلتها علىَّ،
فلما رجع وضع رأسه في حجر علىَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أوحى الله إليه، فجلَّله
 بشوبه، فلم يزل كذلك حتى كادت الشمس تغيب، ثم إنَّه سرَّى عن
النبي ﷺ فقال: أصلَّيت يا علىَّ؟، قال: لا. فقال النبي ﷺ: اللهم ردَّ

(١) سورة القمر، الآيات: ١ - ٢.

على عليّ الشمس، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد، قالت أسماء: وذلك بالصهباء.

وهكذا رجع وقت صلاة العصر، وصلاها أمير المؤمنين عليه السلام ثم غربت الشمس.

س ١٠٨: / ما هي قصة «نزول المطر» في القسم الأول من «س ١٠٥»؟

ج: / نعم، روى الخاصة والعامّة، أنه عندما ائتمر الأعراب على أذية رسول الله صلوات الله عليه وسلم، دعا عليهم بالعذاب ونزول الفحط بهم كالقطح في زمان يوسف صلوات الله عليه وسلم، فاحتبس المطر عنهم سبع سنين حتى بلغ الفحط يثرب، فأتى قوم رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إن بلادنا قد قحطت، وتواتت السنون علينا، فادع الله تبارك وتعالى يرسل السماء علينا.

فأمر رسول الله صلوات الله عليه وسلم، بالمنبر فأخرج، واجتمع الناس، فصعد رسول الله صلوات الله عليه وسلم ودعا، وأمر الناس أن يؤمّنوا، ونزل المطر والرسول صلوات الله عليه وسلم يدعوا، واستمر نزوله أسبوعاً، حتى جاء أولئك النفر بآعينهم إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، ادع الله لنا أن يكتف السماء عنا، فإننا كدنا أن نغرق.

فاجتمع الناس، ودعا النبي صلوات الله عليه وسلم وأمر الناس أن يؤمّنوا على دعائه،

فقال له رجل من الناس : يا رسول الله اسمعنا ، فإن كلّ ما تقول ليس نسمع ، فقال : قولوا : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم حبها في بطون الأودية ، وفي نبات الشجر ، وحيث يرعى أهل الوير ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً .

. وهكذا سالت المياه في الأودية و حول المدينة شهراً ، وقال ﷺ : الله در أبي طالب ، لو كان حيّاً لقررت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟

فقام علي بن أبي طالب ﷺ فقال : كأنك أردت يا رسول الله وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمّال البتمامي عصمة للأراملِ
فقال : أجل .

س ١٠٩ : / ما هي قصة نزول فاكهة من فواكه الجنة في القسم الأول من س « ١٠٥ » !؟

ج : / نعم ، روی بسنده معتبر عن أم سلمة أنّ فاطمة عليها السلام جاءت إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه حاملة حسناً وحسيناً ، وفخاراً فيه حويرة ، فقال : أدعى ابن عمك ، وأجلس أحدهما على فخذه اليمنى والآخر على فخذه اليسرى ، وعليها فاطمة أحدهما بين يديه ، والآخر خلفه ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قال لها ثلاثة .

تقول أم سلمة : وأنا عند عتبة الباب ، فقلت : وأنا منهم ؟ فقال : أنت إلى خير . وما في البيت غير هؤلاء وجبرائيل . ثمّ أعدّ عليهم

كساء خيرياً، فجللهم به وهو معهم، ثم أتاه جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب، فأكل النبي ﷺ فسبح العنب والرمان، ثم أكل الحسن والحسين، فتناولوا، فسبح العنب والرمان في أيديهما، ثم دخل «أكل» على، فتناول منه، فسبح أيضاً، ثم دخل رجل من الصحابة، وأراد أن يتناول، فقال جبرئيل: إنما يأكل من هذانبي، أو ولدنبي، أو وصينبي.

س ١١٠: / ذكرتم في س ١٠٥ في القسم الثاني قصة «حنين جذع النخلة» فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج: / يروى الخاصة والعامة بأسناد كثيرة أن رسول الله ﷺ كان يخطب بالمدينة على جذع نخلة في صحن مسجدها، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، إن الناس قد كثروا، وإنهم يحبون النظر إليك إذا خطبتي، فلو أذنت أن نعمل لك منبراً له مراقي ترقاها فيراك الناس إذا خطبتي، فأذن في ذلك فلما كان يوم الجمعة مرّ بالجذع فتجاوزه إلى المنبر فصعده، فلما استوى عليه حنّ ذلك الجذع حنين الثقل، وأن أنين الحبل... فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك نزل عن المنبر، وأن الجذع فاحتضنه، ومسح عليه يده... فهذا حنينه وأنينه، وعاد رسول الله ﷺ إلى منبره، ثم قال: معاشر المسلمين، هذا الجذع يحن إلى رسول رب العالمين، ويحزن لبعده عنه... ولو لا أني احتضنت هذا الجذع ومسحت يدي عليه ما هدا حنينه إلى يوم القيمة.

واشتهرت هذه الشجرة بـ «الحنانة»، وبقيت حتى خراب المسجد وتجديده بنائه في عهد بنى أمية، فتم اقتلاعها.

وجاء في رواية أخرى أنه ﷺ أمر باقتلاعها ثم دفنه تحت المنبر.

س ١١١: / ذكرتم في (س ١٠٥) القسم الثاني قصة «تحريك الشجرة بأمره» فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج: / نعم، يمكن ذلك، حيث ورد في نهج البلاغة وغيره عن أمير المؤمنين ع في خطبته المسماة بالقاصعة آنَّه قال:

ولقد كنت معه لما أتاه الملاً من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد أدعى عظيماً لم يدعه أبا ذئب ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأربتنا علمتنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال ﷺ: وما تسائلون؟ .

قالوا: تدعونا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك.

قال ﷺ: إن الله على كل شيء قادر، فإن فعل الله لكم ذلك، أؤمنون وتشهدون بالحق؟!

قالوا: نعم. قال: فإني سأريكم ما طلبون، وإن لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يُطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب.

ثم قال ﷺ: يا أيتها الشجرة، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أنّي رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تتفقى بين يديّ بإذن الله.

فوالذي بعثه بالحق، لا نقلعت بعروقها، وجاءت ولها دويّ شديد وقصف كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرففة، وألقت بغضنها الأعلى على رسول الله ﷺ وببعض أعضائها على منكبي، وكنت عن يمينه ﷺ.

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّاً واستكباراً: فمُرّها فليأتوك نصفها ويبيّن نصفها، فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً، فكادت تلتف برسول الله ﷺ، فقالوا كفراً وعنتواً: فمُرّ هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره ﷺ فرجع.

فقلت أنا: لا إله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت - بأمر الله تعالى - تصديقاً بنبوتك، وإن جلاً لكلمتك.

فقال القوم كلّهم: بل ساحر كاذب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلاّ مثل هذا! «يعني».

س ١١٢: ذكرتم في «س ١٠٥» قصة تخضير الشجرة ببركة ﷺ فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج: / نعم، روی عن الصادق ع علیه السلام أن رسول الله ﷺ أقبل إلى

الجعرانة «اسم موضع» فقسم فيها الأموال «من غنائم موقعه حنين»، وجعل الناس يسألونه فيعطيهم، حتى أجلأوه إلى شجرة، فأخذت بُرده، وخدشت ظهره، حتى جلوه عنها وهم يسألونه، فقال: أيها الناس، ردوا عليّ بردبي، والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم، ثم ما أفيتمني جباناً ولا بخيلاً. ثم خرج من الجعرانة في ذي القعدة. قال: فما رأيت تلك الشجرة إلا خضراء كأنما يرشّ عليها الماء. «وذلك عن بركة ظهره».

س ١١٣: / ما هي قصة «سوط الطفيل كالقنديل» في القسم الثاني من «س ١٠٥»؟!

ج: / يروي ابن شهرآشوب أن الطفيلي بن عمرو نهته قريش عن قرب النبي ﷺ، فحشاً أذنيه بكرسف «قطن» لكيلاً يسمع صوته، فكان يسمع، فأسلم.

ثم قال: يا رسول الله، إني امرؤ مطاع في قومي، فأدع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً على ما أدعوههم إلى الإسلام، فقال ﷺ: اللهم اجعل له آية، فانصرف إلى قومه إذ رأى نوراً في طرف سوطه كالقنديل.

س ١١٤: / ما هي قصة «الضبية» في القسم الثالث من «س ١٠٥»؟!

ج: / قالت أم سلمة: كان النبي ﷺ يمشي في الباية، فناداه مناد:

يا رسول الله، مرتين، فاللتفت فلم ير أحداً، ثم ناداه، فاللتفت فإذا هو بظبية موثقة، «قال: ما حاجتك؟»؟

فقالت: إنَّ هذا الأعرابي صادني، ولي خشfan^(١) في ذلك الجبل، أطلقني حتى أذهب وأرضعهما وأرجع، فقال: وتتعلين؟، قالت: نعم، إنْ لم أفعل عذبني الله عذاب العشار، فأطلقها، فذهبت فارضعت خشفيها ثم رجعت، فأوثقها، فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله أطلقها، فأطلقها فخرجت تعدو وتقوله:أشهد أن لا إله إلا الله، وإنك رسول الله.

وفي رواية ابن شهر آشوب: أن تلك الظبية كانت قد صادها يهودي، وأنها لما ذهبت إلى خشفيها قال لها: إن رسول الله قد ضمنك، وهو في انتظارك، فلن نوضع حتى نذهب إليه، فخرجت مع خشفيها إلى رسول الله ﷺ وأثنت عليه، وجعلوا يمسحون رؤوسهم به، فجعل اليهودي يبكي، ثم أسلم، ثم أطلق الظبية، واتخذ مسجداً في ذلك الموضع، ثم طوق رسول الله ﷺ وأعناقها بالسلسل كعلامة وقال: لقد حرمت لحومكم على الصيادين.

س ١١٥: ما هي قصة «البعير» في القسم الثالث من «س ١٠٥»؟!
ج: قال الصادق ع: كان رسول الله ﷺ ذات يوم قاعداً إذ مرّ

(١) الخشف: ولد الظبي أول ما يولده.

به بغير، فبرك بين يديه ورغا، فقال عمر: يا رسول الله، أيسجد لك هذا الجمل؟ فإن سجد لك فنحن أحق أن نفعل، فقال: لا، بل اسجدوا لله، إنَّ هذا الجمل يشكو أربابه، ويزعم أنهم أنتجوه صغيراً واعتملوه، فلما كبر وصار أعور كبيراً معييناً أرادوا نحره. ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

وفي رواية أنه ﷺ أرسل إلى صاحب البعير، فلما جاء قال له: إنَّ هذا يزعم أنه كان لكم شاباً حتى هرم، وأنه قد نفعكم، وأنكم أردتم نحره، فقال: صدق، لنا وليمة فأردنا أن نحره، فقال رسول الله ﷺ: لا تنحروه ودعوه، قال: فتركتوه.

س ١١٦: / ما هي قصة الطائر في القسم الثالث من س ١٠٥ !

ج: / يروي المحدثون أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد حاجة أبعد في المishi، فأئ يوماً وادياً لحاجة، فنزع خفه وقضى حاجته، ثم توضأ وأراد لبس خفه، فجاء طائر أخضر «كان يقال له أخضر قبا»، فحمل الخفت فارتفع به، ثم طرحة فخرج منه أسود.

وفي رواية أخرى أن الطائر أخذ الحياة من خفه وارتفع بها، وهذا السبب نهى ﷺ عن صيده.

س ١١٧: / ذكرتم في القسم الرابع معجزاته ﷺ في إحياء الموق،

فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج: / يروي الرواوندي أنه كان لبعض الأنصار عناق^(١). فذجها، وقال لأهله: أطبخوا بعضاً، واشروا بعضاً، فلعل رسولنا يشرّفنا ويحضر بيتنا ويفطر عندنا، وخرج إلى المسجد.

وكان له ابنان صغيران، وكان يربان أباهما يذبح العناق. فقال أحدهما الآخر: تعال حتى أذبك، فأخذ السكين وذبحه، فلما رأتهما الوالدة صاحت، فعدا الذابح فهرب، فوقع من الغرفة فمات، فسترتهما، وطبخت وهياط الطعام.

فلما دخل النبي ﷺ دار الأنصاري نزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا رسول الله، استحضر ولديه، فخرج أبوهما يطلبهما، فقالت والدتهما ليسا حاضرين، فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بغيتهما، فقال: لا بد من إحضارهما، فخرج إلى أمهما فأطلعته على حالمها، فأخذهما إلى مجلس النبي ﷺ، فدعاه الله فأحياهما، وعاشَا سنتين.

س ١١٨: / هل هناك قصة أخرى يجيئ بها رسول الله ﷺ ميتاً؟!

ج: / نعم، ففي خبر عن سلمان أَنَّه لَمَّا نَزَلَ ﷺ دَارَ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ سُوَى جَدِّي وَصَاعَ مِنْ شَعِيرٍ، فَذَبَحَ لَهُ الْجَدِّي

(١) العناق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة.

وشواه، وطحن الشعير وعجنه وخبزه، وقدّم بين يدي النبي ﷺ، فأمر بأن ينادي: ألا من أراد الزاد فليأت إلى دار أبي أيوب، فجعل أبو أيوب ينادي والناس يهرعون كالسيل، حتى امتلأ الدار. فأكل الناس بأجمعهم والطعام لم يتغير، فقال النبي ﷺ: اجعوا العظام، فجمعوها، فوضعها في إهابها ثم قال: قومي بإذن الله تعالى، فقام الجدي، فضّح الناس بالشهادتين.

س ١١٩: / ذكرت في القسم الرابع من س ١٠٥ شفاء للمرضى فهل يمكنكم ذكر قصة؟!

ج: / نعم، يروي الراوندي والطبرسي وغيرهما أن امرأة أتته بصبي لها ترجو بركته بأن يمسه ويدعوه له، وكان برأسه عاهة... ففسح بيده على رأسه فاستوى شعره وبرئ داؤه، فبلغ ذلك أهل اليمامة، فأتوا مسلمة بصبي فسألوه، فمسح شعره فصلع، وبقي نسه إلى يومنا هذا صلعاً.

س ١٢٠: / هل هناك قصة أخرى تبين لنا شفاء للمرضى؟!

ج: / نعم، يروي الشيخ الطبرسي والراوندي وأخرون أن أبي براء، ملاعب الأستة، كان به استسقاء، فبعث إلى النبي ﷺ لبيد بن ربيعة، وأهدى له فرسين ونجائب، فقال ﷺ: لا أقبل هدية ومن شرك، قال لبيد: ما كنت لأرى أن رجلاً من نضر يرث هدية أبي براء!

قال ﷺ: لو كنت قابلاً هدية من مشرك قبلتها، قال: فإنه يستشفيك من علة أصابته في بطنه فأخذ حتوة من الأرض فضل عليها، ثم أعطاه فقال: دُخْها بماء، ثم اسقها إياها، فأخذها متعجباً يرى أنه قد استهزئ بها، فأتاها فشربها، وأطلق من مرضه، كأنما أنشط من عقال.

س ١٢١: / ما هي قصة قتادة بن النعمان، وقصة عينه؟

ج: / يروى أن قتادة بن النعمان، حال أبي سعيد الخدري، وممن شهدوا وقع بيدر وأحد، حيث أصيب بإحدى عينيه فسألت حتى وقعت على خده، فأنقذ رسول الله ﷺ مستغيثاً يقول: إن لي زوجة حسناء أحبها وتحبني، ولم تمض على زواجنا أيام، ولشدّ ما أكره أن تراني بهذه العين المت Dellية، فأخذها فرداًها إلى مكانها، وقال: «اللهم اكسه الجمال»، فازداد حسناً على حسن - وكانت عينه الأخرى تؤله أحياناً، أما هذه فلا .

ويروى أن ولداً لقتادة قدم إلى عمر بن عبد العزيز يوماً، فسأل: من الرجل؟ فأجابه:

أنا الذي سالت على الخد عينه فرداًت بكف المصطفى أحسن الرد فعادت كما كانت لأول مرة فيها حسن ما عين ويا حسن ماردة

س ١٢٢: / ذكرتم في القسم الخامس «س ١٠٥» في كفاية شر

الأعداء، فهل يمكنكم ذكر معجزة لنا في ذلك؟!

ج: / نعم، فعن عليّ بن إبراهيم وآخرين أن النبي ﷺ قام يصلي «عند الكعبة»، وقد حلف أبو جهل لمن رأه يصلي ليدفعه، فجاءه ومعه حجر، والنبي ﷺ قائم يصلي، فجعل كلما رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه، ولا يدور الحجر بيده، فلما رجع إلى أصحابه سقط الحجر من يده. «وفي رواية أخرى أنه تضرع إلى النبي ﷺ فدعا له الله فأطلق يده».

ثم قام رجل آخر من رهطه فقال: أنا أقتله، فلما دنا منه فجعل يسمع قراءة رسول الله ﷺ فأرعب، فرجع إلى أصحابه فقال: حال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه، فخفت أن أتقدم.

س ١٢٣: / ما معنى قوله تعالى: ﴿فَاصْنَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَيْنَاكُمْ سُتْرَءِينَ﴾؟

ج: / نعم، يروي علماء التفسير: أنه بعد أن تبع رسول الله ﷺ كان أول من أسلم علي بن أبي طالب ﷺ، ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبي ﷺ، ثم دخل أبو طالب إلى النبي ﷺ وهو يصلي، وعلى بجنبه، وكان مع أبي طالب جعفر، فقال له أبو طالب: «صل جناح ابن عمك». فوقف جعفر على يسار رسول الله ﷺ فبشر رسول الله من بينهما، فكان يصلي رسول الله ﷺ وعلى ﷺ وجعفر وزيد بن

حارثة، وخدجية، فلما أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه «فاصدح بما تؤمر وأعرض عن المشركين». إننا كفيتكم لمستهزئين». وكان المستهزئون برسول الله ﷺ خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن طلاطلة الخزائى، «ويقول بعضهم: إنهم كانوا ستة، ويضيفون إلى الحارث بن قيس».

فمن الوليد بن المغيرة برسول الله ﷺ ومعه جبرئيل، فقال جبرئيل: يا محمد، هذا الوليد بن المغيرة، وهو من المستهزئين بك، قال: نعم.

وقد كان مرّ برجل من خزاعة على باب المسجد، وهو يريش نبالاً له، فوطئ على بعضها، فأصاب أسفل عقبه قطعة من ذلك، فدميت.

فلما مرّ الوليد بجبرئيل أشار إلى ذلك الموضع، فرجع الوليد إلى منزله، ونام على سريره، وكانت ابنته نائمة أسفل منه، فانفجر الموضع الذي أشار إليه جبرئيل أسفل عقبه، فسال منه الدم حتى صار إلى فراش ابنته، فانتبهت ابنته، فقالت للجارية: اخلّ وكاء «رباط» القرية، قال الوليد: ما هذا وكاء القرية، ولكنه دم أبيك! فاجمعي لي ولدي وولد أخي، فإني ميت، «فجمعتهم فأوصاهم والتحق بجهنم».

ومر العاص بن وائل، فأشار جبرئيل إلى رجله، فدخل عود في أحص قدمه وخرج من ظاهره، ومات. وبرواية أخرى أن شوكة دخلت في أحص قدمه، فجعل يحكّها حتى هلك.

ومر الأسود بن المطلب، فأشار إلى بصره فعمي، وجعل يضرب رأسه بالحائط حتى هلك.

وبرواية أخرى أنه أشار إلى بطنه، فلم يزل يستسقي حتى انشق بطنه.

ومر الأسود بن عبد يغوث، فدعا عليه رسول الله ﷺ وقال: «اللهم أعم بصره، وأنكمله بولده»، فلما كان في ذلك اليوم أناه جبريل بورقة خضراء، فضرب بها وجهه فعمي، وبقي حتى أنكله الله عز وجل بولده يوم بدر، ثم مات».

وأما الحارث بن طلاطلة فيقال إن ثعباناً لدغه فمات، وقيل إنه خرج من بيته في السموم، فتحول حبشيأ، فرجع إلى أهله فأنكروه فقتلواه.

وأما الحارث بن قيس فإنه أكل حوتاً مالحاً، فأصابه العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات.

س ١٢٤: / ما هي قصة رسول الله ﷺ وأم جميل أخت أبي سفيان امرأة أبي هتب؟!

ج: / قال أبو جعفر ع: صل رسول الله ﷺ في بعض الليالي فقرأ: **﴿تَبَّتْ يَدَآيِ لَهُبٍ وَتَبَّ﴾** (١)، فقيل لأم جميل: إنَّ مُحَمَّداً لم يزل البارحة يهتف بك ويزوجك في صلاته، ويقنت عليكم، فخرجت

تطلب وهي تقول: لئن رأيته لأسمعته، وتنشد: من أحسن لي محمداً؟ حق انتهت إلى رسول الله وأبو بكر جالس معه، فقال أبو بكر: يا رسول الله لو انتحيت، فإن أم جميل قد أقبلت، وأنا خائف أن تسمعك شيئاً، فقال: إنها لم ترني.

فجاءت حتى قامت عليه، وقالت: يا أبو بكر، أرأيت محمداً؟ قال: لا، فمضت راجعة إلى بيتها. قال أبو جعفر ع: ضرب الله بينهما حجاباً أصفر، وكان يقول له ﷺ: مدّم، وكذا قريش كلّهم، فقال النبي: «إن الله أنساهم أسمى وهم يعلمون، يسمون مدّماً وأنا محمداً».

س١٢٥: / عرفنا في السؤال السابق قصة أم جميل، فهل هناك قصة لزوجها أبي هلب؟!

ج: / نعم، يروي ابن شهر آشوب وكثير من المؤرخين أنه لما رجع مشركو قريش من موقعة بدر، سأله أبو هلب أبا سفيان عن قصة بدر، فقال: إننا لقيناهم فمنحناهم أكتافنا، فجعلوا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وایم الله مع ذلك ما لمن الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، لا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع لأم الفضل زوجة العباس: تلك الملائكة! فسمعه أبو هلب فجعل يضربه، فضربته أم الفضل على رأسه بعمود الخيمة، ففلقت

رأسه شجة منكرة، فعاش «بعدها» سبع ليالٍ، وقد رماه الله بالعدسة^(١)، ولقد تركه ابناء ثلاثة لا يدفناه، وكانت قريش تتقى العدسة، فدفنوه بأعلى مكة على جدار، وقدفوا عليه الحجارة حتى واروه.

س ١٢٦ : / ذكرت في القسم السادس من «س ١٠٥» إيمان بعض الجن به ~~فهل يمكنكم ذكر قصة عن ذلك؟!~~

ج : / نعم، يروي علي بن ابراهيم أنَّ رسول الله ﷺ خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام، فلم يجد أحد، ولم يجد من يقبله، ثمَّ رجع إلى مكة، فلما بلغ موضعًا يقال له وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمرَّ به نفر من الجن، فلما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ استمعوا له، فلما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض : «انصتوا، فلما قضي» أي فرغ رسول الله ﷺ من القراءة «ولوا إلى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا إنَّا سمعنا كتاباً أُنزِلَ من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه، يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم. يا قومنا أجيئوا الله وأمنوا به». . . . إلى قوله : «أولئك في ضلال مبين».

فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وأمنوا، وعلّمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، فأنزل الله على نبيه : «قل أوحى إليَّ أنه استمع نفر من

(١) العدسة: برة تخرج في الجسد، وهي من الطاعون تقتل صاحبها.

الجَنُّ» السورة كلها، فحَكَى الله قوْلُهُمْ، وَوَلَى رَسُولُ الله عَلِيهِمْ مِنْهُمْ، وَكَانُوا يَعْرُدُونَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَأَمَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ) أَنْ يَعْلَمُهُمْ وَيَفْقَهُهُمْ، فَمِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ وَكَافِرُونَ وَنَاصِبُونَ، وَيَهُودٌ وَنَصَارَىٰ، وَمُجْوسٌ وَهُمْ وَلَدُ الْجَنَّ.

س ١٢٧ : / هل هُنَاكَ قَصَّةً أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِالْقَسْمِ السَّادِسِ مِنْ
س ١٠٥ !؟

ج : / نَعَمْ، يَرْوِي ابْنُ شَهْرَآشُوبَ أَنْ تَقِيمَا الدَّارِيَ قَالَ : أَدْرَكَنِي
اللَّيلُ فِي بَعْضِ طَرَقَاتِ الشَّامِ، فَلَمَّا أَخْذَتِ مَضْجُعيَ قَلَتْ : أَنَا الْلَّيْلُ
فِي جَوَارِ هَذَا الْوَادِيِ^(١)، إِنَّمَا يَقُولُ : عُذْ بِاللهِ، فَإِنَّ الْجَنَّ لَا تَغْيِيرُ
أَحَدًا عَلَى اللهِ، قَدْ بُعْثَتْ نَبِيَّ الْأَمَيَّنِ رَسُولُ اللهِ، وَقَدْ صَلَّيْنَا خَلْفَهُ
بِالْحَجَّوْنَ، وَذَهَبَ كَيْدُ الشَّيَاطِينِ، وَرَمِيتَ بِالشَّهَبِ، فَانْطَلَقَ إِلَى مُحَمَّدٍ
رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

س ١٢٨ : / ذَكَرْتُمْ فِي الْقَسْمِ السَّابِعِ فِي «س ١٠٥» مَعْجَزَاتَهِ
إِخْبَارَهِ بِالْمَغَيَّبَاتِ فَهَلْ يَمْكُنُكُمْ ذَكْرُ قَصَّةٍ عَنْ ذَلِكِ؟!

ج : / نَعَمْ، قَالَ الْإِمامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ أَبِي : كَانَ النَّبِيُّ
مِنَ الْعَبَّاسِ يَوْمَ بَدْرِ دَنَانِيرَ كَانَتْ مَعَهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَنِي

(١) تَلَكْ عَادَةُ جَاهِلِيَّةٍ، إِذَا نَزَلُوا فِي مَوْضِعٍ يَسْتَعِذُونَ بِالْجَنِّ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمَكَانِ.

غيرها ، فقال : أين الذي استخبيته عند أم الفضل؟ ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، إنك رسول الله ، ما كان معها أحد حين استخبيتها . فأنزل الله تعالى : «يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم» .

فكان العباس يقول : صدق الله وصدق رسوله ، فإنه كان معه عشرون أوقية ، فأخذت ، فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً كلَّ منهم يضرب^(١) بمال كثير ، أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم .

س ١٢٩ : هل هناك قصة أخرى تبين لنا أخبار النبي ﷺ عن الغيب؟!

ج : / نعم ، قال أبو سعيد الخدري : كنا نخرج في غزوات مترافقين تسعة وعشرة ، فنقسم العمل ، فيقعد بعضاً في الرجال ، وبعضاً نعمل لأصحابه ويستقي ركائبهم ويصنع طعامهم . . . فاتفق في رفقتنا رجل يعمل عمل ثلاثة نفر ، يخيط ويستقي ويصنع طعاماً ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : ذلك رجل من أهل النار ، فلقينا العدو وقاتلناهم ، فجُرِحَ الرجل وأخذ سهماً فقتل به نفسه ، فقال ﷺ : [حين أخبرناه الخبر] : أشهد أني رسول الله وعبده .

(١) يضرب بالمال : يتجر به لحسابه .

س ١٣٠ : / نرجو ذكر قصة أخيرة عن معجزات رسول الله ﷺ !

ج : / نعم، يروي الرواوندي أن رجلاً جاء إلى النبي فقال: ما طعمت طعاماً منذ يومين، فقال: عليك بالسوق، فلما كان من الغد دخل فقال: يا رسول الله، لقد أتيت السوق أمس فلم أصب شيئاً، فبَتَ بغير عشاء .

قال: فعليك بالسوق، فأتى بعد ذلك أيضاً فقال ﷺ: عليك بالسوق، فانطلق إليها فإذا غير قد جاءت عليها متاع، فباعوه ففضل دينار، فأخذه الرجل، وجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: ما أصبت شيئاً.

قال ﷺ: هل أصبت من غير آل فلان شيئاً؟، قال: لا ، قال: بل ، ضرب لك فيها بسهم خرجت منها بدينار! قال: نعم، قال: مما حملك على أن تكذب؟ قال: أشهد أنك صادق، ودعاني إلى ذلك إرادة أن أعلم أتعلم ما يعمل الناس، وإن ازداد إلى خير، فقال له النبي ﷺ: صدقت، من استغنى أغناه الله، ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح عليه سبعين باباً من الفقر، لا يسد أدناها شيء، فما رُئي سائلاً بعد ذلك اليوم .

س ١٣١ : / ما يقول المؤلف في خاتمة هذا الفصل؟!

ج : / يقول ما قاله المرحوم عباس القمي رحمه الله عندما قال: ... فالعقل إذا تفكّر، وحَكَمَ عقله وتدبره، وجد أن كلَّ حديث

من أحاديثه صلوة وأحاديث أهل بيته، وكلّ كلمة من كلماتهم اللطيفة، وكلّ حكم من أحكام الشريعة المقدسة إنما هي معجزة شافية، وخارقة للعادة.

هل من عاقل يحكم بجواز أنّ بمقدور فرد واحد من بني الإنسان - من دون وحي وإلهام من الحق الأقدس سبحانه - أن يوجد شريعة إذا عمل بها انتظمت أمور المعاش والمعاد للخلق طرّاً؟ وسدّت بها صدوع الفتن والتزاع والفساد؟ وأن كلّ فتنه وفساد إنما ينشأ عن مخالفه قوانينها الحقة؟ وأنها قررت - على الخصوص - كلّ واقعة من بيوع وتجارات ومضاربات ومعاملات ومنازعات ومواريث، وكيفية معاشرة الآباء والأبناء، والأزواج والزوجات، والسادة والعبيد، ومعاشرة المرأة لأهل بيته وأهل بلده، والعلاقة بين الأماء والرعايا، وسائر الأمور القانونية، مما لا يمكن تخيل ما يفضلها؟

ووضعت من الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة في كلّ حديث وخطاب أضعاف ما اشتملت عليه أفكار الحكماء في آلاف السنين.

وبيّنت من المعارف الربانية ومن غوامض المعاني في مدة الرسالة الوجيزة، ومع ما أضعافه وأفسده طلاب حطام الدنيا، فإنّ ما وصل منها إلى الناس إنما يعجز فحول العلماء عن الوصول إلى سرّ من مائة ألف من أسرارها، ولو أعملوا فيه أفكارهم حتّى قيام الساعة.

رسول الله ﷺ
مع جده وعمه

س ١٣٢ : / بعد رحيل السيدة آمنة ؓ ما الذي حل بسيدنا
محمد ؓ !؟

ج : / بعد رحيل السيدة آمنة ؓ قفت أم أيمن عائدة بمحمد ؓ^ﷺ
إلى جده في مكة، حيث أخذته في كفالته، وعاش في كنفه . . .

س ١٣٣ : / كيف كان عبد المطلب مع حفيده محمد ؓ !؟

ج : / كان لا يقرب خواناً أو يعده يده إلى طعام دونه، ويوده
كثيراً . . .

س ١٣٤ : / هل هناك واقعة تبين لنا ذلك الود والعطف من عبد
المطلب لـ محمد ؓ !؟

ج : / نعم، هناك وقائع كثيرة نذكر منها هذه الواقعة، يُقال: إن
واسادة كانت تبسط لعبد المطلب يومياً في ظل الكعبة، فإذا خرج

توسدها، دون أن يجرؤ أحد من عشيرته على فعل ذلك، بل كانوا يفترشون الأرض بعيداً عنها، أما محمد ﷺ فكان إذا خرج إلى الكعبة توجه إلى الوسادة رأساً، فيحتضنه جده ويقبله ويقول: ما رأيت قبلة أطيب منه ولا جسداً ألين منه.

س ١٣٥: متى توفي عبد المطلب رضي الله عنه؟

ج: / توفي عبد المطلب، بعد أن أكمل محمد ﷺ الثامنة من عمره المبارك.

س ١٣٦: هل أوصى عبد المطلب رضي الله عنه بمواليد محمد ﷺ أم لا؟

ج: / نعم، يروى أنه لما أحسن هذا الرجل الكبير بدنو أجله دعا إليه أبي طالب، وأوصاه برعاية محمد ﷺ، ومشدداً عليه أن يحافظ عليه وينصره باليد والمال واللسان، حتى يصبح سيد قومه، ثم أخذ بيده يد أبي طالب وأخذ عليه عهداً بذلك، وعندما قال: الآن يهون عليّ الموت، ثم ضم محمد ﷺ إلى صدره وراح يبكي، وطلب إلى بناته أن يبكينه ويرثينه ليسمع رثاء قبل موته، فراحت كل واحدة من بناته الست تنشد مرثيتها، وعلى هذا الواقع فارق الحياة.

س ١٣٧: كم كان عمر عبد المطلب رضي الله عنه عندما فارق الحياة؟

ج: / كان له من العمر مئة وعشرون سنة.

س ١٣٨ : / هل كان عبد المطلب رضي الله عنه موحداً؟

ج: يروى أنه لم يقرب المقامرة بالأزلام، ولم يعبد صنماً، ولم يأكل لحم ذبيحة قدمت لصنم، وكان يقول: إني على دين أبي إبراهيم مقيم، والروايات في مدحه كثيرة، ويروى أنه سيبعث يوم القيمة بحسن الملوك وسيماء الأنبياء.

س ١٣٩ : / كيف كان خوف عبد المطلب رضي الله عنه على النبي ﷺ؟

ج: أفضل ما يجيب على هذا السؤال هذه القصة:

قالت أم أيمن (رضي الله عنها): كنت أحضر النبي ﷺ - أي أقوم بتربية وحفظه -، فغفلت عنه يوماً فلم أدر إلا بعد المطلب قائماً على رأسه يقول «يا بركة».

قلت: ليك.

قال: أتدرين أين وجدت ابني؟

قلت: لا أدرى.

قال: وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، لا تغفلي عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبي هذه الأمة، وأنا لا آمن عليه منهم^(١).

(١) سيرة زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ١، ص ٦٤.

س ١٤٠ : / يروى أن لعبد المطلب سنن خمس قد سنها في الجاهلية وأجرها الحق تعالى في الإسلام فهل يمكنكم ذكرها لنا؟!

ج : / نعم، الأولى: حرمة نساء الآباء على الأبناء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا مَا نَكَحَ مَآبَأَتُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١).

الثانية: الحصول على الغنائم، وإنفاق ثمنها في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ مُحْمَدٌ﴾^(٢).

الثالثة: لما حضرت بئر زمزم اتخذ طريقة سقاية الحاج، قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَاءَةَ الْحَاجَةِ﴾^(٣).

الرابعة: تقريره أن دية المقتول مئة من الإبل، وقد أجرى الإسلام هذا الحكم.

الخامسة: أنه قرر تحديد الطواف بسبعة أشواط، بعد أن كان الطواف عند قريش دون تحديد، وقد أجرى الإسلام هذه السنة.

س ١٤١ : / من هو أبو طالب ؓ؟

ج : / هو من أعمام رسول الله ﷺ وشقيق أبيه وكان أبو طالب

(١) سورة النساء، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٩.

والحمزة أفضل أعمام الرسول ﷺ، وأبو طالب اسمه عبد مناف وكنية أبو طالب، وفيه يقول أبوه عبد المطلب:

وصنيت من كثيبي بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب
وكان هذا الرجل الكبير سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، وقبلة القبيلة، وكان شيخاً جسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء.

يروى أنه قيل لأكتم بن صيفي حكيم العرب: ممن تعلمت الحكمة والرئاسة والحلم والسيادة؟

قال: من حليف العلم والأدب، سيد العجم والعرب، أبي طالب بن عبد المطلب.

س ١٤٢: / كيف كانت خدمات أبي طالب ﷺ للدين ولمحمد ﷺ؟

ج: / إجمالاً فإن خدمات أبي طالب للدين ونصرته لسيد المسلمين (صلوات الله عليه وآله وسلم) قد تجاوزت البيان، ويكتفي في هذا المقام قول النبي ﷺ بما مضمونه: ما زالت قريش في جبن وخوف حتى توفي أبو طالب.

وقال ابن أبي الحديد:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخص فقاما
فذاك بمحنة آوى وحاصى وذاك بيشرب جس الحماما

س ١٤٣ : / هل كان أبو طالب من المؤمنين؟!

ج : / أن لم يكن أبو طالب من المؤمنين فمن يكون، فقد وردت روايات كثيرة أنَّ مثله مثل أصحاب الكهف، أخفى إيمانه كي يكون بمقدوره نصرة النبي ﷺ، ودفع شرّ كفار قريش عنه، وكان أبو طالب مستودع وصايا وأثار الأنبياء، وقد ردَّها للنبي ﷺ. وفي الخبر أنَّ نوره يطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار «هي نور محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين». ولئن وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى يظهر رجحان إيمان أبي طالب على إيمانهم، وكان أمير المؤمنين عَلِيُّهُ أَعْلَمُ بِحُكْمِ الْأَوْلَادِ يحب رواية أشعار أبي طالب وتذوينها ويقول: تعلّموها وعلّموها أولادكم، ذلك أنه كان على دين الله، وفي أشعاره علم كثير . . .

س ١٤٤ : / هناك شعر لأبي طالب يبحث به التجاشي على نصرة رسول الله ﷺ فهل يمكنكم ذكره لنا؟!

ج : / نعم، يقول عَلِيُّهُ أَعْلَمُ بِحُكْمِ الْأَوْلَادِ :

تعلم مليك الحبس أنَّ محمداً نبيًّا كموسى والمسيح ابن مرريم أتى بهدىٌ مثل الذي أتيا به فكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصي

وإئكُمْ تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث المرجم
وإنك ما يأتيك مثاعصابة بفضلك إلا أعاودوا بالتكريم
فلا تجعلوا الله نذًا وأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

س ١٤٥ - س ١٤٦ : / ما هي قصة رحلة الشام؟ ومتى كانت؟!

ج : عندما مضى من عمره الشريف رسول الله أثنتا عشرة سنة وشهرين ويومان، عزم أبو طالب على السفر إلى الشام في تجارة، ويروى أن رسول الله رسول الله تثبت بزمام ناقته وقال : أي عم، لمن تركني وأنا لا أب ولا أم؟، فبكى أبو طالب وأخذه معه . وفي الطريق كان كلما اشتد الحر ظهرت غمامه فأظلته من بين القوم، حتى مرروا بصومعة راهب يقال له مجيرا ، وكان على شريعة عيسى رسول الله ذا علم و شأن، لا يفارق صومعته، فلما رأى الغمامه تظلّ رسول الله رسول الله نزل من صومعته، ودعا الركب إلى طعام أعدّ لهم، فتوّجه الجميع إلى الصومعة وخلّفو حمداً رسول الله عند متابعهم، فسألهم الراهب إن كان أحد منهم قد تخلف عن دعوته، فأجابوه بالنفي، غير طفل لهم تركوه عند المتابع، فقال الراهب : أدعوه، فلا يليق أن يتخلف أحد عن طعامي ، فلما انطلقا إليه وأحضروه إلى الصومعة تحركت الغمامه معه، فسأل : من يكون هذا الطفل؟

قالوا : إنه ابن أبي طالب ، فاستدار إلى أبي طالب وقال له : ما هذا الغلام منك؟ أهو ابنك؟ قال : هو ابن أخي . قال : فما فعل أبوه؟

قال: مات وأمه حبلى به. قال: صدقت، ارجع به إلى بلده واحذر عليه من اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليغين به شرًا، فإنه كائن له شأن عظيم، وهو نبي هذه الأمة وسيخرج بالسيف.

س ١٤٧: / بعد كلام الراهب بجيرا ماذا فعل أبو طالب ؓ؟!
ج: / أقول: في الأمر هنا اختلاف، فمن قائل إن أبو طالب خرج به سريعاً حتى أقدمه مكة، وقائل: إنه بعث به إلى مكة، وتتابع هو سفره إلى الشام، والله هو العالم.

وربما قيل أنه تابع - بحذر شديد - سفراً إلى الشام مع ابن أخيه «محمد».

س ١٤٨: / قال بعض المستشرقين: أنَّ ما أظهره رسول الله ﷺ من تعاليم رفيعة سامية بعد «٢٨» عاماً، واستطاع بها أنْ يُحيي بها تلك الأمة الميتة قد تلقاها من الراهب «بجيرا» في هذه السفرة. ويقولون: إن «محمدًا» بما تمنع به من قوة ذاكرة، وصفاء نفس ودقة فكر، وعظمة روح وهبته إليها يد القدر، أخذ من الراهب «بجيرا» في لقائه به، قصص الأنبياء السالفين والأقوام البائدة مثل عاد وثمود، وكثيراً من تعاليمه الحيوية، فما رأيكم بهذا الكلام؟!

ج: / أقول أن هذا الكلام ليس سوى تصور خيالي وأكاذيب

وضعت من قبل أناس معاصرين وذلك لعدة أسباب منها :

- ١ - مدة لقاء النبي ﷺ بـ«البحيرة» لم تدم إلا سويعات معدودة فلم تعلم منه ودرس عنده.
- ٢ - لو كان ما يقال صحيح لأشتهر ذلك في أوساط قريش وأصبح على كل لسان بأن محمد قديس عند راهب بصرى ولم يذكر ذلك أبداً.
- ٣ - إن قصص الأنبياء في القرآن الكريم تعارض وتنافي مع ما جاء في التوراة والإنجيل ففي القرآن ينزع الأنبياء وفيهما التوراة والإنجيل يذكران الأنبياء بصورة مشينة جداً.

س ١٤٩ : / متى توفي أبو طالب ؓ؟

ج : / كانت وفاته في السادس والعشرين من رجب في ختام السنة العاشرة للبعثة ، وفي نفس العام توفيت خديجة ؓ وسي عاشه هذا عام الحزن .

س ١٥٠ : / كيف كان موقف رسول الله ﷺ عند فقده عمه أبي طالب ؓ؟

ج : / بكاه رسول الله ﷺ وحزن عليه كثيراً ، ولزم بيته ، وقلما كان يغادره ، وسي عاشه بعام الحزن . . .

وروي أنه لما حملوا جثمانه تقدمه وهو يقول: يا عم، لقد وصلت رحماً، ولم تخذلني في أمري، فجزاك الله عني خيراً.

س ١٥١: / هُنَاكِ أَبْيَاتٌ شِعْرٌ قَالَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي رَثَاءِ هَذِينِ الْعَظِيمِينِ، خَدِيجَةَ وَأَبْوَ طَالِبٍ فَهُلْ يُمْكِنُكُمْ ذِكْرُهَا لَنَا؟!

ج: / نعم، يقول ﷺ:

أعْيَنِي جُودًا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ كَمَا عَلَى هَالِكِينَ مَا تَرَى لَهُمَا مُثْلاً
عَلَى سِيدِ الْبَطْحَاءِ وَابْنِ رَئِيسِهَا
وَسِيدِ النَّسَوَانِ أُولُو مِنْ صَلَى
مَصَابِهِمَا أَرْجُى لِي الْجُوَزَ وَالْهَوَا
لَقَدْ نَصَرَ فِي اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ عَلَى مَنْ بَغَى فِي الدِّينِ قَدْ رَعَيَا إِلَّا

وَقَالَ أَيْضًا فِي رَثَاءِ أَبِي طَالِبٍ:

أَبَا طَالِبٍ عَصْمَةَ الْمُسْتَجَبِ رَوْغِيْثَ الْمُحَوْلَ وَنُورَ الظُّلْمِ
لَقَدْ هَذَفَ قَدْكَ أَهْلَ الْحَفَا ظَفَّالِي عَلَيْكَ وَلَيَ النَّعْمِ
وَلَشَّاكَ رِئَكَ رَضْوَانِهِ فَقَدْ كُنْتَ لِلْطَّهْرِ مِنْ خَبِيرِ عَمْ

س ١٥٢: / ما هي وصيّة أبي طالب ﷺ عند وفاته؟! - أي هل
وصى بِمُحَمَّدٍ ﷺ -؟!

ج: / نعم، عند وفاته قال لأولاده:

«أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشتآن، وأيم الله لكياني انظر إلى صعاليك العرب، وأهل البر في الأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاً لها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده...».

ثم ختم وصيته هذه بقوله:

«يا معاشر قريش كونوا له ولاءً، ولزبه حماة، والله لا يسلك أحدكم سبيلاً إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه الأسعد»^(١).

س ١٥٣: / ما الذي فعله رسول الله ﷺ عند وفاة أبي طالب ؟!

ج: / لما مات أبو طالب جاء عليه ﷺ إلى رسول الله ﷺ فآذنه بمותו، فتوجع توجعاً عظيماً، وحزن حزناً شديداً، ثم قال له: امض فتول غسله فإذا رفعته على سريره فاعلمني، ففعل فاعتراضه رسول الله ﷺ وهو محمل على رؤوس الرجال: قال: «وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآذرت كبيراً».

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٣٥١، ٣٥٢.

ثم تبعه إلى حضرته، فوقف عليه فقال: «أما والله لاستغفرن لك،
ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان»^(١).

س ١٥٤ : ما قصة الشعر الذي يقول:
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثم اليتامى عصمة للأراميل؟!
ج: روي أنه قد أصاب مكة قحط شديد في سنة من السنين
فطلبت قريش من أبي طالب أن يستسقى لها فخرج ومعه غلام - وهو
رسول الله ﷺ - كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله
أغيمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكتبة، ولاذ الغلام بأصبهعه
«أي أشار بها إلى السماء» وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ها
هناوها هنا، وأغدق، وأغدو دق وانفجر له الوادي، وأخصب الباقي
والنادي.

ففي ذلك يقول أبو طالب - في مدح رسول الله -:
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثم اليتامى عصمة للأراميل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفوائل
وميزان عدل لا يخيب شعيرة وزان صدق وزنه غير هائل^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤، ص ٧٦.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٢٥.

س ١٥٧ : / كيف كان موقف المشركين من الرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب؟

ج : / بعد وفاة أبي طالب رفع المشركون من وتيرة الخصومة مع محمد ﷺ، وطمعوا في زيادة مضائقته، فقد قام أحد سفهاء القوم يوماً - بتحريض من تلك الجماعة - بقذف حفنة من التراب على رأسه المبارك، فلم يكن بمقدوره إلا الصبر .

«حرب الفجّار وحلف الفضول»

س ١٥٦ - س ١٥٧ : / ما هي حرب الفجّار، ولماذا سميت بهذا الاسم؟ وهل شارك فيها النبي ﷺ أم لا؟!، وإن كان قد شارك كم كان عمره؟! .

ج : كانت العرب تقضي عامها كلها بالقتال والإغارة، وقد تسبب هذا الوضع في احتلال حياتهم، واضطراب أمرورهم، ولأجل هذا كانوا يحرّمون القتال ويتوقفون عنه في أربعة أشهر من كل عام «هي شهر رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم». ليتسنى لهم - في هذه المدة - أن يقيموا أسواقهم، ويستغلواها بالكسب والتجارة والبيع والشراء.

ولكن هذه الحرمة قد هُتّكت أربع مرات في تاريخ العرب، وتقاتلـت القبائلـ العربية فيما بينها في هذه الأشهر الحرم، وهذا سميت تلك الحروب بحروب «الفجّار»، - الفجّار الأول، الثاني، والثالث، والرابع - أي سميت بالفجّار لأن بدايتها وافقت الأشهر الحرم لا أنها وقعت بتمامها في الأشهر الحرم وما يهمنا في المقام «الفجّار الرابع»:

وهي الحرب التي - قيل أنه - شارك فيها النبي الكريم ﷺ.

ولقد أذعى البعض أنه ﷺ كان يومذاك في الخامسة عشرة، أو الرابعة عشرة من عمره.

وقال بعضُ : أنه كان في العشرين من عمره وحيث أن هذه الحرب قد استمرت أربع سنوات . لهذا يمكن أن تكون جميع هذه الأقوال صحيحة .

س ١٥٨: / ما هو سبب حرب الفجّار الرابع؟!

ج : / قيل في سبيه : أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام بضاعة في جوار رجل شريف من أشراف العرب ، يُجبرها له حتى تباع هناك ، ويشتري بثمنها من أقمشة الطائف الجميلة المزركشة مما يحتاج إليه ، فأجارها عروة الرجال الهوازن في تلك السنة ، ولكن «البراض بن قيس الكناني» ازعج مبادرة «عروة» إلى ذلك ، فشكاه عند «النعمان بن المنذر» ولم يجد اعترافه وشكواه ، فحسد على عروة حسداً شديداً ، فتربيص به حتى غدر به في أثناء الطريق ، وبذلك لطخ يده بدم هوازن . وكانت قريش يومذاك حليف كنانة ، وقد اتفق وقوع هذا الأمر يوم كانت العرب مشغولة بالكسب والتجارة في سوق عكاظ ، فأُخبر رجل قريشاً بمقتل الهوازن على يد الكنانة ، وهذا عرفت قريش وحليفتها بنو كنانة بالأمر قبل هوازن ،

وأسرعوا في الخروج من عكاظ وتوجهوا نحو الحرم «والحرم هو أربعة فراسخ من كل جانب من مكة، وكانت العرب تحرّم القتال في هذه المنطقة» ولكن هوازن علمت بذلك فلاحقت قريشاً وحليفتها فوراً، وأدركتهم قبل الدخول في الحرم فوقع بينهم قتال، ولما جنّ الليل كفوا عن الحرب فاغتنمت قريش وحليفتها فرصة الليل، وواصلت حركتها باتجاه الحرم المكي وبذلك نجت من خطر العدو ومنذ ذلك اليوم كانت تخرج قريش وحليفتها من الحرم بين الفنية والأخرى وتقاتل هوازن، وقد شارك النبي ﷺ في بعض تلك الأيام مع أعمامه - ولعلها لم تكن أيام أشهر الحرم -.

وقد استمرّ الأمر على هذه الحال مدة أربع سنوات، حتى إنّ وضعث نهاية هذه الحرب الطويلة بدفع قريش لهوازن دية القتلى الذين كانوا يزيدون على قتلى قريش على يد هوازن^(١).

س ١٥٩ : / نحن نعلم بأنّ تحرير القتال في الأشهر الحرم كانت له جذورٌ دينية، حيث يُستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشَّهْرُوْرِ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرَبَعَةَ حَرَمٍ﴾^(٢)، حيث كانت العرب في الجاهلية تحترم هذه

(١) راجع سيرة ابن هشام: ج ١، ص ١٨٤ - ١٨٧ ، والأغاني: ج ٢٢، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) سورة التوبه، الآية: ٣٦ .

الأشهر اتباعاً لسُنَّة «إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ»، فما هو الوجه في مشاركة الرسول ﷺ في هذه الحرب؟!

ج: / نعم صحيح ما يُقال لكن حيث أن حرب «الفجار» استمرت أربع سنوات فيمكن أن يكون لمشاركة النبي ﷺ فيها وجهها وجيبها وهو الدفاع، خاصة أنه لما سُئل ﷺ عن مشهده يومئذ فقال: ما سرني أني أشهدكم، إنَّمَا تدعوا على قومي عرضوا «أَيْ قَرِيشَ» عليهم «أَيْ عَلَى هَوَازِنَ» وأن يدفعوا إليهم البرادص صاحبهم «أَيْ الَّذِي قُتِلَ عَرُوهَةُ فَأَبُوهُ»^(١).

ويحتمل أن تكون مشاركته ﷺ في غير الأشهر الحرم بناء على استمرار هذه الحروب مدة أربعة أعوام.

س ١٦٠ - س ١٦١: / ما هو حلف الفضول؟ ولماذا سمى بهذا الاسم؟!

ج: / لقد كان في ما مضى ميثاقٌ وحلفٌ بين الجرheimين يدعى بحلف «الفضول»، وكان هذا الحلف يهدف إلى الدفاع عن حقوق المظلومين، وكان المؤسسون لهذا الحلف هم جماعة كانت أسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، وأسماؤهم - كما نقلها المؤرخ «عماد الدين بن كثير» - وهي عبارة عن: «فضل بن فضالة»، و«فضل بن الحارث» و«فضل بن

(١) الأغاني: ج ٢٢، ص ٧٣.

وداعه»^(١)، وحيث أن الحلف الذي عقده جماعة من قريش فيما بينها كان متهدداً في المهدف «وهو الدفاع عن حقوق المظلومين» مع حلف الفضول لذلك سمي هذا الاتفاق وهذا الحلف بحلف الفضول أيضاً.

س ١٦٢: / ما هو سبب هذا الحلف - حلف الفضول -؟!

ج: / قبلبعثة النبيّة الشريفة بعشرين عاماً دخل رجلٌ من زيد في مكة في شهر ذي القعدة، وعرض بضاعة له للبيع فاشترتها منه «العاشر بن وايل»، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي قريشاً، وطلب عنهم أن ينصروه على العاشر، وقريش آنذاك في أندائهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والشَّرْف
ومُحرِّم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لِمَن كرامته ولا حرام لِشوب الفاجر القدر

فأثارت هذه الأبيات العاطفية مشاعر رجال من قريش، وهيجت غيرتهم، فقام الزبير بن عبد المطلب وعزم على نصرته، وأيداه في ذلك آخرون، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جذعان، وتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكوننَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدّي إليه حقه ما أمكنهم ذلك ثمَّ مَشوّا إلى العاشر بن وايل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

(١) البداية والنهاية: ج ١، ص ٢٩٠.

وقد أنسد الزبير بن عبد المطلب في ذلك شعراً فقال:
 إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم ببطن مكة ظالم
 أمر علىه تعاقدوا وتواطئوا فالجهاز والمعتبر فيهم سالم

س ١٦٣ - س ١٦٤ : / هل شارك رسول الله ﷺ في هذا الحلف؟
 وهل نقل على لسانه ﷺ ذكر هذا الحلف - حلف الفضول -؟ !

ج : / نعم، لقد شارك ﷺ في هذا الحلف الذي ضمن حقوق المظلومين وحياتهم. وقد نُقلت عنه عبارات كثيرة يشيد فيها بذلك الحلف ويُعزى فيها بمشاركته فيه منها : قال ﷺ : «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيت به في الإسلام أجبت» .

كما أن ابن هشام نقل في سيرته أن النبي ﷺ كان يقول في ما بعد عن هذا الحلف : «ما أحب أن أَلِي به حُمْرَ النَّعْمَ» .

«تجارة الرسول ﷺ»

س ١٦٥ : / ما هو أول عمل مارسه رسول الله ﷺ؟!
ج : / أول عمل قيل هو رعي الغنم في الصحاري والقفاري.

س ١٦٦ : / ما هو السبب الذي جعل النبي ﷺ أن يرعى الغنم في
عهد أبي طالب؟!
ج : / هناك أسباب عديدة منها :

١ - إن إدارة المجتمع البشري من أصعب الأمور التي تواجه القادة، ورجال الإصلاح، والمقدرة على الإدارة هذه لا تسنح ولا تتهيأ لأحد إلا بعد مزاولة الأمور الصعبة، وممارسة الأعمال الشاقة، وربما يكون قيام النبي ﷺ برعي الغنم من هذا الباب، ولهذا جاء في الحديث : «ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعِيه الغنم ليُعلّمه بذلك رعيَة الناس»^(١).

وينقل كثير من أرباب السير والمؤرخين هذه العبارة عن ﷺ : «ما

(١) سفينة البحار : مادة نبا.

منْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنْمَ» قيل: وأنت يا رسول الله؟، فقال: أنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط^(١).

٢ - لو لاحظنا متى كان ﷺ يزاول هذا العمل، كان قبلبعثة، وكان رسول الله ﷺ مأمور بالسكت والانتظار، ومن الصعب أن يرى رسول الله ﷺ كل ما يجري في قريش من ظلم وفساد ويقرر عليه فقرار بالعزلة عنهم بعيداً أفضل من اتخاذه موقف اللامبالاة تجاه تلك الأوضاع المنحرفة.

س ١٦٧ - س ١٦٨: / ما هو اقتراح أبي طالب ﷺ على النبي ﷺ؟ ولماذا؟ وما الذي حديث؟!

ج: / لقد دفع وضع «محمد» المعishi الصعب «أبا طالب» سيد قريش وزعيمها الذي كان معروفاً بالسخاء وموصوفاً بالشهامة، وعلو الطبع، وإباء النفس إلى أن يفكر في عمل لابن أخيه، كيما يخفف عنه وطأة ذلك الوضع. ومن هنا اقترح على ابن أخيه «محمد» العمل والتجارة بأموال «خديجة بنت خويلد» التي كانت امرأة تاجرة، ذات شرف عظيم، ومال كثير، تستأجر الرجال في مالها أو تضاربهم إياه بشيء يجعله لهم منه.

فقد قال أبو طالب للنبي ﷺ: يا ابن أخي هذه خديجة بنت خويلد

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ١٦٦.

قد انتفع بما لها أكثر الناس وهي تبحث عن رجل أمين، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لأسرعت إليك، وفضلتكم على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتكم.

ولكن إباء رسول الله ﷺ وعلو طبعه، منعاه من الإقدام بنفسه على هذا الأمر من دون سابق عهد، ولهذا قال ﷺ لعممه: فلعلها أن ترسل إليّ في ذلك، لأنها تعرف بأنه المعروف بالأمين بين الناس. فبلغ خديجة بنت خويلد، ما دار بين النبي ﷺ وعممه «أبي طالب»، فبعثت إليه فوراً تقول له: إنّي دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك وابعث معك غلامين يأتيران بأمرك في السفر.

فأخبر رسول الله ﷺ عمّه بذلك فقال له أبو طالب: «إنّ هذا رزق ساقه الله إليك»^(١).

س ١٦٩ : / هل عمل النبي ﷺ أجيراً في أموال خديجة، أم أنه قد عمل في تجاراتها بصورة أخرى كالمضاربة، وذلك بأن تعاقد النبي ﷺ مع خديجة على أن يتاجر بأموالها على أن يشاركها في أرباح تلك التجارة؟ ولماذا؟!

ج: / أقول: إنّ مكانة البيت الهاشمي، وإباء النبي الأكرم ﷺ،

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٢.

ومناعة طبعه، كل تلك الأمور والخصال توجب أن يكون عمل النبي في أموال خديجة قد تم بالمضاربة لا على نحو الإجارة... ويفيد هذا المطلب أمور هي:

١ - أنه لا يوجد في اقتراح أبي طالب آية إشارة ولا أي كلام عن الإجارة، بل قد تناول أبو طالب مع إخوته «أعمام النبي» في هذه المسألة من قبل وقال: امضوا بنا إلى دار خديجة بنت خويلد حتى نسألها أن تعطى محمداً مالاً يتجر به^(١).

ثانياً: إن المؤرخ الأقدم المعروف باليعقوبي كتب في تاريخه: إن النبي ما كان أجيراً لأحد فقط^(٢).

ثالثاً: إن الجنابذى صرّح في كتابه «معالم العترة» بأن «خديجة» كانت تضارب الرجال في مالها، بشيء تجعله لهم منه «أي من ذلك المال أو من ربجه»^(٣).

س ١٧٠ : / كيف كانت تجارة رسول الله ﷺ في أموال خديجة،
مرجحة أم لا؟

ج: / عندما تهيأت قافلة قريش التجارية للسفر إلى الشام، وفيها

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢١.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٩.

أموال خديجة أيضاً، في هذه الأثناء جعلت خديجة بعيراً قوياً وشيناً من البضاعة الثمينة تحت تصرف وكيلها «أبي النبي ﷺ» وأمرت غلاميها «ميسرة وناصع» اللذين قررت أن يرافقاه ﷺ، بأن يمثلوا أوامره، ويطيعاه، ويتعاملوا معه بأدب طوال تلك الرحلة ولا يخالفاه في شيء، ففي رواية قالت لهما: أعلمكما أنني قد أرسلت إليكما أميناً على أموالي وأنه أمير قريش وسيدها، فلا يدْ على يده، فإن باع لا يمنع وإن ترك لا يؤمر ول يكن كلامكما له بلطف وأدب ولا يعلو كلامكما على كلامه^(١).

وأخيراً وصلت القافلة إلى مقصدتها واستفاد الجميع في هذه الرحلة التجارية أرباحاً، إلا أن النبي ﷺ ربح أكثر من الجميع، كما أنه اباع أشياء من الشام لبيعها في سوق «تهامة».

ثم عادت تلك القافلة التجارية إلى مكة بعد ذلك المكسب الكبير والحصول على الربح الوفير، وعندما اقتربت قافلة قريش إلى مكة، وصارت عند مشارفها، التفت ميسرة غلام خديجية إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد لقد رجعنا في هذه السفرة ببركتك مالم نربح في أربعين سنة، فاستقبل بخديجية وأبشرها برجتنا . . .

فأخذ النبي باقتراح ميسرة، وسبق القافلة العائدة في الدخول إلى

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٩.

مكة، وتوجه نحو بيت خديجة بينما كانت خديجة جالسة في غرفتها، فلما رأت النبي مقبلاً عليها، نزلت من منظرتها وركضت نحوه واستقبلته، وأدخلته في غرفتها، فخبرها رسول الله ﷺ بما رجعوا، ببيان جيل، وكلام بلغ، فسرت بذلك سروراً عظيماً، ثم قدم ميسرة في الأثر، ودخل عليها، وأخبرها بكل ما رأه وشاهد من النبي ﷺ في تلك السفرة من الكرامة والخير، والخلق العظيم، والخصال الكريمة، ومن الأمور التي كانت برمتها تدل على عظمة شخصيته ﷺ، وسمى خصاله^(١).

س ١٧١: ما الذي حدث به ميسرة السيدة خديجة، في رحلته مع محمد ﷺ إلى الشام؟!

ج: من جملة ما حدثها به، هو أنه لما وقع بين النبي ﷺ وبين رجل تلاح وجداول في بيع قال له ذلك الرجل: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله ﷺ: ما حلفت بهما قط، وإن لأمرٌ فاعرض عنهما^(٢). وجاء في البحار أنه ﷺ قال: إليك عني ثكلتك أمك فما تكلمت العربُ بكلمة أتقل علىَّ من هذه الكلمة^(٣).

(١) الخرایج: ص ١٨٦، وبحار الأنوار: ج ١٦، ص ٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ١٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٨.

وحدثها أيضاً بأنه لما مرّ ببصري نزلا في ظل شجرة ليستريحا فقال راهبٌ كان يعيش هناك لما رأى النبي يستريح في ظل تلك الشجرة: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلاّنبي» سأله عن اسمه، فأخبره ميسرة باسمه فقال: «هونبي وهوآخر الأنبياء، إنه هو هو ومُنزل الإنجيل، وقد قرأت عنه بشائر كثيرة»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٨، والطبقات، والكامل لابن الأثير: ج ٢، ص ٢٤ وص ٢٥.

«الزواج المبارك»

س ١٧٢ : / كيف تمت خطبة خديجة ﷺ من النبي ﷺ ؟ !

ج : / من المسلم به أن اقتراح الزواج جاء من جانب «خديجة» نفسها أولاً، حتى أن ابن هشام نقل في سيرته: أن خديجة لما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: «يا ابن عم إبني قد رغبتُ فيك لقرباتك وسلطتك [أي شرفك ومكانتك] في قومك، وأماتتك وحسن خلقك، وصدق حديثك» ثم اقترحتْ عليه أن يتزوج بها.

ويعتقدُ أكثر المؤرخين أن نفيسة بنت علية بلغت رسالة خديجة إلى النبي ﷺ على النحو التالي:

قالت لرسول الله ﷺ: يا محمدَ ما يمنعك أن تتزوج . . . ولو دُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجib؟

فقال رسول الله ﷺ: فمن هي ؟ .

فقالت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: وكيف لي بذلك ؟ .

فقالت: علىَّ، فذهبت إلى خديجة فأخبرتها، فأرسلت خديجة إلى رسول الله ﷺ بوكيلها عمرو بن أسد لتحديد ساعة من أجل مراسم الخطبة في حضر من الأقارب.

س ١٧٣ : / كيف تمت مراسيم خطبة خديجة من النبي (صلوات الله وسلامه عليهما)!؟

ج: / يروي الشيخ الكليني وغيره أنه لما رغب رسول الله ﷺ في أن يعقد له على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) توجه أبو طالب مع آله وجاءة من قريش إلى ورقة بن نوفل عم خديجة - وال الصحيح ابن عمها -، وخطب فقال: «الحمدُ لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً يجيئ إليه ثرات كل شيء، وجعلنا الحكام على الناس في بلدنا الذي نحن فيه».

ثم إنَّ أخِيَّ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنَ عبدِ المطلبِ لا يوزن بِرَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا رَجَعَ، وَلَا يَقْاسِي أَحَدُهُمْ إِلَّا عَظَمَ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلَّ، فَإِنَّ الْمَالَ رَزْقٌ حَائِلٌ، وَظَلَّ زَائِلٌ، وَلَهُ فِي خَدِيجَةِ رَغْبَةٌ، وَلَهُ فِيهِ رَغْبَةٌ، وَالصَّدَاقُ مَا سَأَلْتَهُ مِنْ مَالٍ».

وشفع قوله بالقسم برب البيت على أنه سيكون ذا شأن رفيع، ومنزلة منيعة، وحظ شامل، ودين شائع، ورأي كامل. ففي رواية قال ورقة: «لا تنكر العشيره فضلكم، ولا يردد أحد من الناس فخركم

وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بمحبكم وشرفكم»^(١).

تمْ أجري عقد النكاح ومهرها النبي ﷺ أربعمائة دينار، وقيل
أصدقها عشرين بكرة^(٢).

وفي رواية: حاول ورقة الردة على أبي طالب، فلم يسعفه الحال،
وكان اضطرابه في الحديث جلياً، فعجز عن الرد ببرة حسن، ولما رأت
خديجة هذه الحال، غالبت حياءها وقالت بلسان فصيح: «أي عمّ،
وإنك وإن كنت الأولى بالكلام في هذا المقام، غير أني بما أختاره
الأولى، فقد زوجت نفسي منك يا محمد، وأما مهري فهو من مالي،
هلّم يا عم فانخر ناقة لوليمة الزفاف».

فقال أبو طالب: أيها الناس، اشهدوا أن خديجة زوجت نفسها من
محمد^ﷺ وأنها ضمنت مهرها.

فقال أحد القرشيين: عجباً، أن يضمن النساء مهورهن للرجال!
فانتقض أبو طالب غاضباً، وكان إذا غضب هابت قريش غضبه،
وحذرت من سطوه، ثم قال: لو كان الأزواج والآخرون مثل ابن
أخي لطلبتهن النساء بأعلى القيم وأعلى المهور، ولو كانوا مثلكم لطلبن
منهم مهراً غالياً.

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٣٩.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٣٩.

ثم إنَّ أبا طالب نصر جزوراً لل المناسبة، وتم عقد زفاف درة الأنبياء على جوهرة خير النساء . . .

س ١٧٤ : / ذكرتم في جواب «س ١٧٢» قول خديجة للنبي ﷺ : . . . رغبت فيك لقرباتك . . . ، فأي قرابة بينهما؟!

ج : / هي خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب، فلتقي مع رسول الله ﷺ في «قصي» . . .

س ١٧٥ : / المعروف المشهور أن خديجة ﷺ تزوجت من رسول الله ﷺ وهي في سنها الأربعين والنبي ﷺ في سن الخامسة والعشرين، وأنها ولدت قبل عام الفيل بخمسة عشر عاماً. وذكر أنها تزوجت قبل النبي ﷺ بـ «برجلين أو لهما» «عنيق بن عائذ» ثم من بعده «أبو هالة التميمي» اللذين توفي كلّ منهما بعيد زواجه بخديجة؟! فما رأيكم بذلك؟!

ج : / هذا الكلام ليس بصحيح فإنها ﷺ كان عمرها يقارب عمر رسول الله ﷺ ولم تكن خديجة ﷺ قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ بأحد وهي التي امتنعت عن كل من خطبها ورام تزويجها من سادات قريش وأشرافها . . .

وقد أشبعنا هذا البحث في كتابنا «حياة السيدة خديجة» فمن أراد فليراجع . . .

س ١٧٦ : / لعل البعض يقول أن العلة من زواج خديجة بمحمد (صلوات الله عليهم) كانت مادية فمحمد رجل فقير وجد امرأة غنية تاجرها رغم فارق السن، وخدبيجة كانت تهمها تجارتها وتنمية ثروتها وهي بحاجة ماسة إلى رجل أمين لذلك كل منهما وجد ضالته في الآخر؟!

ج : / أقول أن التاريخ يثبت لنا أن هناك علل معنوية لا مادية التي أدت لهذا الزواج المبارك وهناك شواهد على ذلك :

١ - عندما سألت خديجة ميسرة عما رأه في رحلته من فتي قريش محمد فخبرها ميسرة بما شاهد ورأى منه في تلك السفرة، وبما سمعه من راهب الشام حوله، أحست خديجة في نفسها بشوق عظيم ورغبة شديدة نحوه كانت نابعة من إعجابها بمعنى محمد ﷺ وكريم خصاله، وعظيم أخلاقه، فقالت من دون إرادتها : «حسبك يا ميسرة، لقد زدتني شوقاً إلى محمد، اذهب فأنت حر لوجه الله، وزوجتك وأولادك ولك عندي مائتا درهم وراحتان» ثم خلعت عليه خلعة سنية^(١).

ثم إنها ذكرت ذلك لابن عمها ورقة بن نوفل فقال لها : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إنَّ محمداً لنبيُّ هذه الأمة^(٢).

(١) بحار الأنوار : ج ١٦ ، ص ٥٢.

(٢) السيرة الحلبية : ج ١ ، ص ١٣٩.

٢ - مرَّ النَّبِيُّ ﷺ يوماً بمنزل خديجة وهي جالسة في ملاً من نسائها وجواريها وخدمتها وكان عندها حبرٌ من أخبار اليهود، فلما مرَّ النبي ﷺ نظر إليه ذلك الحبر وقال: يا خديجة مري مَنْ يأتِ بهذا الشاب، فأرسلت إليه من أتى به، ودخل منزل خديجة، فقال له الحبر: اكشف عنْ ظهرك فلما كشف له قال الحبر: هذا والله خاتم النَّبُوَةِ، فقالت له خديجة: لو رأك عمه وأنت تفتشه لحلَّت عليك منه نازلة البلاء وأنْ أعمامه ليحذرون عليه من أخبار اليهود.

فقال الحبر: ومن يقدر على محمد هذا بسوء، هذا وحق الكليلُ^١ رسول الملك العظيم في آخر الزمان، فطوي لم يكن له بعلاً، وتكون له زوجة وأهلاً فقد حازت شرف الدنيا والآخرة.

فتعجبت خديجة، وانصرف محمد وقد اشتغل قلبُ خديجة بنت خويلد مجبه فقالت: أيها الحبر بم عرفت محمدًا أنه نبي؟!

قال: وجدت صفاتَه في التوراة إنه المبعوث آخر الزمان يموت أبوه وأمه، ويكتفله جده وعمه، وسوف يتزوج بأمرأة من قريش سيدة قومها وأميرة عشيرتها، وأشار بيده إلى خديجة، فلما سمعت خديجة ما نطق به الحبر تعلق قلُّها بالنَّبِيِّ ﷺ فلما خرج من عندها قال: اجتهدي أن لا يفوتك محمدٌ فهو الشرف في الدنيا والآخرة^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٠ - ٢١.

٣ - كان ورقة بن نوفل بن أسد يقول دائمًا: سبعمائة رجلٌ من قريش في آخر الزمان يتزوج بامرأة من قريش تسود قومها «أو تكون سيدة قومها، وأميرة عشيرتها»، وهذا كان يقول لها: يا خديجة سوف تتصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض والسماء^(١).

٤ - بعد البحث والتدقيق وجدنا أنه لا فرق في السن بينهما فخديجة كان عمرها ما يقارب الخامسة والعشرين أو الثامنة والعشرين.

كُل هذه الشواهد تؤكد عن عدم وجود علة مادية بل كانت هناك علة معنوية دالة على رغبة خديجة في الزواج منه ﷺ وهذه الرغبة ناشئة من إعجابها بأخلاقه وبنبله وطهارته

س ١٧٧: / كيف كانت خديجة بنت خويلد مع زوجها رسول الله ﷺ؟

ج: / لقد بلغَ من خصوصيتها لرسول الله ﷺ وحبها له أنها بعد أن تم عقد زواجها به قالت له: «إلى بيتك فيبي بيتك، وأنا جاريتك»^(٢).

ولما دعاها إلى الإيمان أجبت طوعاً ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل أزالت عنه كل تعب، وأنسَتَه من كل وحشة،

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢٤٣.

وهو نتت عليه كل عسيرة، وتميزت أيضاً بأنها لم تسوءه لله الحمد ولم تغاضبه قط، وقد جازها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه مالم تبلغه امرأة قط من زوجاته.

س ١٧٨ : / كيف كان جهاد خديجة مع زوجها ضد الشرك والكفر؟!

ج : / أفضل ما يجتب عن ذلك ما جاء في المنتقى: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عندما أُمِرَّ بأن يصدع بالرسالة صعد على الصفا، وأخبر الناس بما أمره الله به فرمأه أبو جهل قبحة الله بحجر فشحَّ بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أقِمَ الجبل، فسمع علىٌ وخدِيجةً بذلك فراحَا يلتمسانه صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو جائع عطشان مرهق، ومضت خديجة تبحث عنه في كل مكان في الوادي وهي تناديه بحرقة وألم، وت بكى وتنحب، فنظر جبرئيل إلى خديجة تحول في الوادي فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة فقد أبكت لبكائهما ملائكة السماء؟ أدعُها إليك فاقرأها مني السلام وقل لها: إن الله يقرئك السلام، وبيشرها أن لها في الجنة بيته من قصب لا نقب فيه ولا صخْب، فدعاهما النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه والدماء تسيل من وجهه على الأرض وهو يمسحها ويردّها، ويقي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وعلى خديجة هناك حتى جن الليل فانصرفوا جميعاً ودخلت به خديجة منزلها، فأقعدَتْه على الموضع الذي فيه الصخرة وأضلَّته بصخرة من فوق رأسه، وقامت في وجهه تستره ببردها وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا

جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدرانُ الخَيْطَ، وإذا رُمي من بين يديه وقته خديجة (رضي الله عنها) بنفسها، وجعلت تنادي: يا عشر قريش ترمي الْحَرَّةَ في متزها؟ فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه، وأصبح رسول الله ﷺ، وغدا إلى المسجد يُصلِّي^(١).

س ١٧٩ - س ١٨٠ : / هل ذُكرت خديجة بأحاديث النبي ﷺ؟
وكيف كان وفاؤه لها بعد وفاتها؟!

ج : / نعم لقد ذُكرت بأحاديث عديدة منها :

١ - قال ربيعة السعدي : أتيت خديفة بن اليمان وهو في مسجد رسول الله ﷺ فسمعته يقول : قال رسول الله ﷺ : « خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله وبمحمد ﷺ »^(٢).

٢ - قال عروة : قالت عائشة لفاطمة (رضي الله عنها) بنت رسول الله ﷺ : ألا أبشرك أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيدات نساء أهل الجنة أربع : مريم بنت عمران ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وخدية بنت خويلد وأسيمة »^(٣).

(١) بحار الأنوار : ج ١٨ ، ص ٢٤٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(٣) المستدرك على الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

أما وفاته بعد موتها فقد روي:

- ١ - عن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال: «اذهبا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخدية إنها كانت تحب خديجة»^(١).
- ٢ - قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتي وكذبني الناس وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء، قالت عائشة فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة أبداً^(٢).

س ١٨١: / ما هي قصّة الحجر الأسود، وحل التزاع الدامي بين قريش؟!

ج: / لم يكن يعنى على عمر فتى قريش أكثر من «٣٥» عاماً يوم واجه اختلافاً كبيراً بين قريش، فأزال بحكمته ذلك التخاصم، ولقد كشفت هذه الحادثة عن مدى الاحترام الذي كان فتى قريش يحظى به

(١) سفينة البحار: ج ١، ص ٣٨٠ «خديج».

(٢) أسد الغابة: ج ٥، ص ٤٣٨.

لدى قريش، كما وتكتشف عن قوة اعتقادهم بصدقه وأمانته. وإليك تفصيل هذه الحادثة:

انحدر سيلٌ رهيب من جبال مكة المرتفعة نحو بيت الله المعظمة «الكعبة المقدسة» فلم يسلم من هذا السيل بيت في مكة حتى الكعبة المعظمة، التي تصدعت جدرانها تصدعاً كبيراً بفعل ذلك السيل.

فزعت قريشُ على تجديد تلك البنية المعظمة، ولكنها تهبت ذلك، وترددت في هدم الكعبة، فأقدم الوليد بن المغيرة وهدم ركين منها على شيءٍ من الخوف، فانتظر أهلُ مكة أن يحل به أمرٌ، ولكنهم لما رأوا الوليد لم يصبه غضب من الآلهة، اطمأنوا إلى أنه لم يرتكب قبيحاً، وأنه عمل ما فيه رضى آهتم، فأقدموا جميعاً على هدم ما تبقى من الكعبة، واتفق أن تحطم سفينة قادمة من مصر في تجارة لرومٍ عند ميناء جدة بفعل الرياح والعواصف، فعلمت بذلك قريش، وأرسلت رجالاً يتبعون أخشابها ليستخدموها في بناء الكعبة المعظمة، وأوكلوا أمر نجاتها إلى نجار قبطي محترف كان يقطن مكة.

ولما ارتفعت جدران الكعبة إلى قامة الرجل، وأن الأوان لوضع الحجر الأسود في محله من الركن وقع الاختلاف بين زعماء قريش، وتنازعوا في من يتول وضع الحجر الأسود في مكانه.

وتخالفت قبيلة بني عبد الدار مع بني عدي على أن يمنعوا من أن ينال هذا الفخار غيرُهم، وعمدوا إلى إماء مملوء بالدم فوضعوا أيديهم فيه تأكيداً لذلك الميثاق.

من هنا تأخرت عملية البناء وتوقفت خمسة أيام بلياليها، وكاد أن تتشبث بينهم حرب دامية، وربما طويلة، فقد اجتمعت طوائف مختلفة من قريش في المسجد الحرام وهي تنتظر حادثة خطيرة، فعمد - في الأخير - شيخ من شيوخ قريش يدعى «أبو أمية بن مغيرة المخزومي» من زعماء قريش وقال: يا عشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه. فقبلوا برأيه أجمع، فكان أول داخل عليه فتي قريش «محمد» ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد.

فقال ﷺ: هلم إلى ثوباً، فأخذ الحجر ووضعه فيه ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً».

فعملوا حتى إذا بلغوا به موضعه من الركن وضعه ﷺ هو بيده مكانه، وبهذا حال دون وقوع حوادث دامية كادت أن تقع بسبب تنازع قريش، واختلافها، وحلَّ الوفاق محل الشقاوة بعد أن رضي الكلُّ بحكمه....

س ١٨٢: / كيف كفل رسول الله ﷺ علياً؟! وكم كان عمر علي ؟!

ج: / أجدبت مكةُ وضواحيها سنة من السنين، وقل فيها الماء، وأصابت الناس أزمة شديدة، وكان أبو طالب ؓ كثير العيال، فعزم

رسول الله ﷺ على أن يساعد عمه أبا طالب، ويخفف عنه عبء العيال، فانطلق إلى عمه العباس وقال له: «إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً».

فكفل العباسُ جعفرًا، وكفل رسول الله ﷺ عليًّا ﷺ.

يقول أبو الفرج الأصفهاني: وكان رسول الله ﷺ أخذ علياً من أبيه وهو صغير في سنة أصابت قريشاً وقطعت ناحم، وأخذ حزنة جعفرًا وأخذ العباس طالباً ليكفوأ أباهم مؤونتهم ويخففوا عنهم ثقلهم، وأخذ هو «أي أبو طالب» عقيلاً لميله كان إليه فقال رسول الله ﷺ: اخترت من اختار الله لي عليكم: «علياً»^(١). وينقل أنه ﷺ انتقل إلى بيت النبي وهو دون الثامنة... .

س ١٨٣: / ما هو الهدف الأعلى من كفالة محمد ﷺ لعليّ ؟!

ج: / إن هذه الحادثة وإن كانت في ظاهرها تعني أن رسول الله ﷺ أقدم على هذا الأمر ليساعد عمه أبا طالب في تلك الأزمة، لكن الهدف الأعلى والأخير كان أمراً آخر وهو أن: يترقب على ﷺ في حجر النبي، ويغذى من مكارم أخلاقه ويتبعه في كريم أفعاله.

(١) مقاتل الطالبين: ص ٢٦.

ولقد أشار الإمام علي عليه السلام نفسه إلى هذا الموضوع بقوله: «ولقد علمتُ موضعـي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراة القريبة والمنزلة الخصيـصة وضعـني في حجرـه وأنا ولد يضمـني إلى صدرـه ويكتـفـني في فراـشه... ولقد كنتُ أتبعـه اتابعـ الفصـيل أثرـ أمـه يرـفعـ لي في كـلـ يوم من أخـلاقـه عـلـماً ويـأـمـرـي بالـاقـتـداءـ بهـ»^(١).

س ١٨٤: / هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة موحداً؟!

ج: / نعم كان إنساناً مؤمناً موحداً عابداً لله ساجداً قائماً بالفرائض العقلية والشعرية مجتنباً عن المحرمات عالماً بالكتاب ومؤمناً به إجمالاً وراجياً لنزوله إليه إلى أن بعث لإنقاذ البشرية عن الجهل، وسوقها إلى الكمال...

س ١٨٥: / بماذا وبأيّ دين كان يتبعـ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة؟!

ج: / لقد وقع ذلك محظـاً للبحث بين العلمـاء، وحيثـ أنه لا ينطـوي على فـائـدةـ كـبـرىـ، بعدـ أنـ تـبـيـنـ أنهـ كانـ قـبـلـ الـبـعـثـةـ مـؤـمـناـ، موـحـداـ، يـعـبـدـ اللهـ، فإـنهـ يـكـفيـ أنـ نـعـرـفـ أنهـ كانـ يـلتـزمـ بماـ ثـبـتـ لهـ أنـ شـرـعـ اللهـ تـعـالـىـ...ـ وـبـمـاـ يـؤـدـيـ إـلـيـهـ عـقـلـهـ الـفـطـرـيـ السـلـيمـ،ـ وـأـنـهـ بـالـتـالـيـ كانـ مـؤـيـداـ مـسـدـداـ،ـ وـأـنـهـ كـانـ أـفـضـلـ الـخـلـقـ وـأـكـمـلـهـ خـلـقاـ وـخـلـقاـ

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

وعقلاً، وأنه كان يعمل حسب ما يُلهمه سواء أكان مطابقاً لشرع ما قبله أم مخالفًا وأن هاديه وقادته منذ صيامه إلى أن بعث هو نفس هاديه بعد البعثة.

س ١٨٦ - س ١٨٧ : هل **بُعثَتِ النَّبِيُّونَ إِلَى قَوْمٍ قَدْ بُعْثِتُ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ أَمْ لَا؟** وما هو الدليل؟

ج: إن القرآن يكشف إجمالاً عن أنَّ النَّبِيُّونَ بُعثُتُ إِلَى قَوْمٍ لم يُبَعَثْ إِلَيْهَا أحد قبله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ رَّحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ لِتُشَذِّرَ قَوْمًا مَا أَنْذَهُمْ مِّنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَنْذَرُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿أَفَمَا يَقُولُونَ إِنَّهُ لَهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ لِتُشَذِّرَ قَوْمًا مَا أَنْذَهُمْ مِّنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٢).

س ١٨٨ : متى بعث رسول الله ﷺ؟ وكم كان له من العمر؟!

ج: في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب بدأ نزول الوحي - هذا ما اتفق عليه علماء الشيعة - بينما اشتهر عند علماء السنة أن رسول الإسلام قد أُوتِيَ هذا المقام العظيم في شهر رمضان المبارك. وله من العمر أربعون سنة.

(١) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٣.

س ١٨٩ : هل يمكننا معرفة كيفية نزول الوحي؟ !

ج : يروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه لما انقضت أربعون سنة من عمره الشريف . جعل الحق تعالى قلبه أفضل القلوب وأكثرها وأكثرها خشوعاً وإطاعة ، ثم أعطى بصره نوراً آخر ، وأمر أبواب السماء ففتحت ، ونزل الملائكة إلى الأرض أفواجاً ، وقد نظر عليه السلام فشاهدهم واتصلت رحمته من ساق العرش حتى رأسه ، ثم هبط جبريل آخذًا بأطراف السماء والأرض ، وأخذ بعضه فهزه قائلاً : يا محمد أقرأ ، قال : وما أقرأ؟ ، قال :

﴿أَقْرَا إِنَّمَا رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ .. وتتابع نزول وحي ربه إليه .

وفي رواية أخرى : أن جبريل وميكائيل هبطا ومع كلّ منهما سبعون ألف ملك ، وقدمًا إلى النبي ص كرسى العزة والكرامة ، وووضعا تاج النبوة على رأس سلطان سرير الرسالة ، وناولا له لواء الحمد بيده ، وفلا : اصعد على هذا الكرسي واحد ربك .

وفي رواية أخرى أن ذلك الكرسي كان من ياقوت أحمر ، وإحدى قائمتيه من الزبرجد ، والأخرى من اللؤلؤ ولما صعد الملائكة إلى السماء ، ونزل النبي ص من جبل حراء تصحبه أنوار الجلال ، لم يكن بمقدور أحد النظر إليه ، وكان لا يرى بشجر ولا نبات إلا سجد له وقال بصوت فضيحة : السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا رسول الله .

ولما دخل بيت خديجة أشرق البيت بشعاع شمس جalle، فقالت: ما هذا النور الذي أراه منك؟

قال: إنه نور النبوة، قولي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

قالت خديجة، طالما عرفت ذلك، ثم نطقت بالشهادتين وأمنت، فقال ﷺ: إني لأجد بربداً، دثريني، فلما نام أتاه نداء الحق تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْرِسُ ۝ قُرْأَنْتَ ۝ وَرَبُّكَ فَكِيرٌ ۝﴾ فقام ﷺ واضعاً إصبعه في أذنه وقال: الله أكبر، الله أكبر، فكان كل موجود يسمعه ويوافقه.

س ١٩٠: / ما هو غار وجبل حراء وأين يقع؟!

ج: / يقع جبل «حراء» في شمال مكة ويستغرق الصعود إلى غار حراء مدة نصف ساعة من الزمان. ويتألق ظاهر هذا الجبل من قطع صغيرة سوداء، لا يُرى فيها أيُّ أثر للحياة أبداً.

ويوجد في النقطة الشمالية من هذا الجبل غار يمكن للمرء أن يصل إليه ولكن عبر تلك الصخور، ويرتفع سقف هذا الغار قامة رجل، وبينما تضيء الشمس قسماً منه، تغرق نواح أخرى منه في ظلمة دائمة.

س ١٩١: / هنالك بعض الأمور قد ذكرت في كتب معينة، نرجوا بيانها لنا، نذكر منها:

١ - قالوا: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ عندما دخل منزل خديجة، كان يفكّر في

نفسه: لعل بصره خدده، أو أنه كاهن، أو فيه جنون!! .

ولكن لما قالت له خديجة: «إن الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله، إنك تصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتصلُّ الرحم» اطمأنَّ، وزال عنه الشُّكُّ والتردد، وألقى على خديجة نظرَ شكرٍ ومودة، ثم طلب أن يُزْمَلَ، فزُمِّلَ فنام^(١) !!

٢ - يقول الطبرى وغيره من مؤرخي السيرة: إن النبي ﷺ لما سمع نداء يقول: «يا محمد أنت رسول الله» أصابه خوف شديد حتى أنه همَّ بأن يطرح نفسه من أعلى الجبل، فتبدى له ملك الوحي ومنعه عن ذلك!

٣ - ثم إنَّ النبي ﷺ ذهب ليطوف بالکعبة بعد ذلك اليوم، فرأى «ورقة بن نوفل» وشرح لورقة ما جرى له مع جبرئيل، فقال له ورقه: «والذى نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، وقد جاءك الناموسُ الأكبيرُ الذي جاء موسى ولتكذبه، ولتؤذينه ولتخرجهنه ولتقاتله» فأحسَّ محمدَ بأن ورقة يصدقه فاطمان^(٢) !

ج: / أقول أن جميع هذه القصص مختلفة من الأساس، وقد دُسَّت في التاريخ والتفسير عن قصد وهدف، أو دخلت فيهما عن غير ذلك وذلك:

(١) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ١٩٥ ، حياة محمد: هيكل: ص ١٣٤ .

(٢) السيرة النبوية: ج ١، ص ٢٣٨ .

١ - لأننا لقيتم هذه المزاعم يجب أن نلقي نظرة فاحصة إلى تاريخ الأنبياء الماضين وسيرهم. إن القرآن الكريم قصّ علينا قضيّاً لهم، وسيرهم، وقد وردت في هذا المجال روايات وأخبار كثيرة، وإننا لا نجد أيَّ أثرٍ مثل هذه القصص المشينة في حياة أيٍّ واحدٍ منهم.

إن القرآن الكريم يقصّ علينا قصة بدء نزول «الوحى» على «موسى» بشكل كامل ويبيّن جميع التفاصيل في قصته ﷺ ولا يذكر أيَّ شيء من الخوف، والارتعاش، والوحشة والفزع، بحيث يحدث نفسه بالانتحار على أثر سماع الوحي !! مع أنَّ أرضية الخوف والفزع في مجال موسى كانت متوفّرة أكثر، لأنَّه سمع في ليلة ظلماء وهو في صحراء خالية نداء من الشجرة يخبره بأنهنبيٌّ مرسلٌ.

ولكن موسى - كما يصرّح القرآن الكريم، بهذه الحقيقة - حافظ على هدوئه، وسكونه، وعندما خاطبُه الله تعالى بقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَصَاكُمْ﴾ ألقاها من فوره، وكان خوفه من ناحية العصى التي تبدلت إلى ثعبان حنف، لا من جهة الإيحاء إليه.

فهل يمكن أن يجوز لنا أن نقول: كان موسى لحظة الوحي إليه مطمئناً هادئاً ساكناً، ولكن أفضل الأنبياء والمرسلين اضطرب عند سماع كلام الملك، وفزع إلى درجة فكرٍ في طرح نفسه من أعلى الجبل؟! هل هذا كلام معقول؟!

٢ - كيف يمكن أن يطمئن موسى بمجرد سماعه للنداء الإلهي إلى أنه

صادرٌ من جانب الله، فطلبَ من ربِّه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له لأنَّه أفضح منه قولًا بينما لا يطمئن سيد المرسلين وخاتمهم؟!

٣ - لقد كان ورقة مسيحيَاً حتماً، ولكنَّه عندما أراد أن يزيل عن محمد الشك والاضطراب ذكر نبؤة موسى عليه السلام وقال: قد جاءك الناموس الذي جاء موسى.

ألا يدلُّ هذا على أنَّه يداً إسرائيلية وراء هذه الحبكة هي التي صاغت هذه القصة واختلفت بها في غفلةٍ عما كان يدين به ورقة بطلُّ القصة؟!

س ١٩٢: هل حارب أئمَّةُ الْهُدَى عليهما السلام مثل هذه الأساطير والخرافات السابقة في السؤال السابق؟!

ج: / نعم لقد حاربوها بكل قوة، وأبطلوها برمتها، فعندما يسأل زرارة الإمام الصادق عليه السلام مثلاً: كيف لم يخفَ رسول الله عليه السلام فيما يأته من قبل الله أن يكون مما يتزغ به الشيطان؟

قال الإمام عليه السلام: إنَّ الله إذا اخْذَ عبْدًا ورسولاً، أنزل عليه السكينة واللوقار فكان يأتيه من قبل الله عزَّ وجلَّ مثل الذي يراه بعينه^(١).

ويقول العلامة الكبير المرحوم الطبرسي في تفسيره، في هذا

(١) بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢٦٢.

الصدق: «إن الله لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين الظاهرة والآيات البينة الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها ولا يفرغ، ولا يفرق»^(١).

س ١٩٣ : / ذكرتم سابقاً أن الوحي نزل في السابع والعشرين من شهر رجب، وأستدل السنة في شهر رمضان ودليلهم هو تصريح القرآن الكريم نفسه بأن آيات القرآن نزلت في شهر رمضان، وحيث أن يوم بعثة النبي ﷺ كان هو بنفسه يوم بدء نزول الوحي، والقرآن عليه، لهذا يحب القول بأن يوم البعثة الشريفة إنما كان في نفس الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم: أي شهر رمضان المبارك. والآيات التي تدل على ذلك هي :

- ١ - ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٢).
- ٢ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾^(٣) وتلك الليلة هي ليلة القدر التي قال عنها سبحانه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٤) !

ج : / هُنَاكَ أَجْوَاهُ عَدِيدَةٌ مِّنْهَا :

(١) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٣٨٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الدخان، الآيات: ١ - ٣.

(٤) سورة القدر، الآية: ١.

١ - يحتمل أن يكون للقرآن نزولات متعددة إحداها نزول القرآن على رسول الله تدريجياً، والآخر نزوله الدفعي من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور.

أي أن الآيات التي تصرح بنزول القرآن في شهر رمضان في ليلة مباركة «ليلة القدر» لا يمكن أن تدل على أن يوم المبعث الذي نزلت فيه بعض آيات أيضاً كان في ذلك الشهر نفسه، لأنَّ الآيات المذكورة تدل على أن مجموع القرآن لا بعضه قد نزل في ذلك الشهر، في حين لم تنزل في يوم المبعث سوى آيات معدودة كما نعلم.

وفي هذه الصورة يحتمل أن يكون المراد من النزول الجمعي للقرآن هو نزول مجموع الكتاب العزيز في ذلك الشهر من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور.

٢ - أنَّ للقرآن الكريم وجوداً جماعياً علمياً واقعياً وهو الذي نزل على الرسول الكريم ﷺ مرة واحدة في شهر رمضان، وأخر وجوداً تدريجياً كان بدء نزوله على النبي ﷺ في يوم المبعث، واستمرَّ تزلاه، إلى آخر حياته الشريفة على نحو التدريج.

س ١٩٤ : هل أن رسالة النبي ﷺ عامة؟ وهل هو خاتم النبيين؟
بين ذلك في كتاب الله؟!

ج : إن القرآن الكريم صرَّ في آيات عديدة بكون رسول الله

محمد ﷺ خاتم النبّيّن، وشرعيته خاتمة الشرائع، فلا نبيّ بعده، ولا رسالة بعد رسالته، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمَا﴾ [الأحزاب/٤٠].

وكذلك صرّح بأنّ رسالة النبي محمد ﷺ عامة وعالمية وأبدية لأنّه في غير هذه الحالة وفي غير هذه الصورة لن يكوننبياً للناس كافة، وللعلمين جميعاً، وقد صرّح النبي ﷺ بأحاديث كثيرة حيث قال: «أُرْسَلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلَّهُ وَبِي خُنْثُمُ النَّبِيِّنَ»^(١).

ومن الآيات التي تدل على ذلك قوله:

- ١ - ﴿بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نَذِيرًا﴾^(٢).
- ٢ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

مس ١٩٥ : / من أول من آمن بالنبي ﷺ من الرجال والنساء؟!

ج : / من الرجال: «عليّ بن أبي طالب ﷺ». ومن النساء «خدیجہ بنت خویلد».

(١) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ١٢٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٣) سورة سباء، الآية: ٢٨.

جاء في تاريخ الطبرى عن ابن إسحاق قال: كان أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلّى معه وصدق بما جاءه من عند الله «علي بن أبي طالب» عليه السلام وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكان مما أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب ﷺ أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام^(١).

س ١٩٦: / وردت عناوين كثيرة «عليّ وخدیجة يقیمان الصلاة مع النبي» هل يمكنكم بيان ذلك لنا؟

ج: / نعم، يمكن ذلك، قال عفیف الکندي: كنت امرء تاجرًا فقدمت مني أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرء تاجرًا فأتيته أتباع منه وأبيه، قال: فبینما نحن إذ خرج رجلٌ من خباء يصلّى فقام تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي، وخرج غلام يصلّى معه، فقلت: يا عباس ما هذا الدين، إنَّ هذا الدين ما ندرى به؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أنَّ الله أرسله وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستُفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به وهذا الغلام ابن عمّه عليّ بن أبي طالب آمن به، قال عفیف: فلیتني كنت رابعهم^(٢).

س ١٩٧: / هل أن هناك أحاديث وردت على لسان النبي ﷺ تدل

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٥٧.

(٢) الإصابة: ج ٢، ص ٤٨٠.

على أن علي أول الناس إسلاماً؟!

ج: / نعم، كثيرة، نذكر منها:

١ - قال ﷺ: «أولكم وارداً - وروداً - على الحوض أولكم إسلاماً على بن أبي طالب»^(١).

٢ - قال لفاطمة: «زوجتك خير أمّي أعلمهم علمًا، وأفضلهم حلماً وأوّلهم سلماً».

٣ - قال معاذ بن جبل: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع ولا يُجادلك فيه أحدٌ من قريش، أنت أوّلهم يُهانناً بالله، وأوّلهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله»^(٢).

س ١٩٨: / يقول الطبرى: لما أبطأ جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وجزع جزعاً شديداً قالت له خديجة: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فأنزل الله عز وجل قوله:

﴿وَالضَّحْنَ ﴿١﴾ وَأَتَيْلَ إِذَا سَجَنَ ﴿٢﴾ مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا فَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلِلآخرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَغْنَىٰ ﴿٥﴾ أَتَمْ يَعْدَكَ بِتِيمَا

(١) الاستيعاب: ج ٢، ص ٤٥٧.

(٢) حلية الأولياء: ج ١، ص ٦٦.

فَتَأْوِي (٦) وَوَجَدَكَ حَسَالاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَنَا الْتِينَمَ
فَلَا تَنْهَرْ (٩) وَأَنَا أَسَابِيلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَنَا يَنْعَمُ بِرِّبِّكَ فَحَدَثَ (١١) (١).
ولقد أوجد نزول هذه الآيات سروراً عظيماً لدى خديجة رض
وعلمت بأن ما قالته حول رسول الله لا أساس له من
الصحة (٢).؟! فما رأيكم بذلك؟!

ج: / إن ذاكرة التاريخ تحفظ وتتذكر جيداً تاريخ حياة السيدة خديجة، إن خديجة التي كانت أخلاق محمد الفاضلة وخلصاته المجيدة، وأفعاله الحميدة ماثلة أمام عينيها والتي كانت تؤمن بعدل ربها كيف يجوز أن تسيء الظن بالله تعالى وبنبيه الكريم، العظيم الشأن؟ .

إن مقام النبوة ومنصب الرسالة، والسفارة الإلهية لا يعطى إلا لمن يملك طائفة من الصفات النبيلة والخلاص الرفيعة، ومالم يتصرف شخص النبي صل هذه الصفات العليا، ومالم تتوفر فيه مثل هذه الشرائط الخاصة والمواصفات المعينة لم يُمْنَح له ذلك المنصب فقط. وتقع العصمة والسكنية القلبية، والاعتماد والتوكيل في طليعة هذه الخصال والمواصفات، ومع هذه الأوصاف والخلاص يستحيل أن يدور في خلده مثل تلك التصورات الخاطئة. ولقد قال العلماء: إن المسيرة التكاملية عند الأنبياء تبدأ من فترة الطفولة والصبا، فإن الغشاوات

(١) سورة الضحى، الآيات: ١١ - ١٢.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٤٨.

والحجب تبدأ تساقط وتنقشع الواحدة تلو الأخرى من ذلك الوقت، ويستمر ذلك حتى تصل الإحاطة العلمية لديهم حد الكمال فلا يشکون في شيء يروننه أو يسمعونه أبداً، ومن حاز هذه المراتب لا يمكن أن يتطرق الشك والخيالة والتردد إلى قلبه وعقله مطلقاً.

وإن آيات سورة الضحى وخاصة عبارة: ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا فَلَّ﴾ (٣) تفيد فقط بأن هناك من قال مثل هذه العبارة للنبي الأكرم ﷺ، وأما من هو قائلها؟ وكم تركت هذه العبارة من تأثير في نفسية النبي ﷺ وروحه فهي ساكتة عن كل ذلك؟

وذهب بعض المفسرين إلى أن قائلها هم بعض المشركين، ولهذا الاحتمال لا تكون جميع الآيات مرتبطة بيد الوحي، لأنه لا أحد غير علي وخديمة كان يعرف في بدء البعثة بنزل الوحي، ليتسنى له أن يعترض على رسول الله ﷺ، ويعترضه بانقطاع عنه بعد ذلك، فإن أمر المبعث والرسالة بقي خافياً على أكثر المشركين لمدة ثلاثة أعوام تماماً، فهو لم يكن مكلفاً بإبلاغ رسالته إلى عامة الناس، إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنُ﴾ الذي أمره الله فيه بالجهر بأمر رسالته لعامة الناس بلا استثناء.

ويؤيد ذلك إذا كان الوحي قد انقطع بعد حادثة جبل حراء ونزول بعض آيات من سورة العلق إلى أن نزلت سورة الضحى، يتوجب أن تكون سورة الضحى ثانية سورة من حيث الترتيب التاريخي لنزول

السُّور في حين أنَّ تاريخ نزول الآيات والسور القرآنية يفيد أنها السورة الحادِيَّة عشرة من سُور القرآن الكريم لأنَّ فهرس السورة القرآنية حسب نزولها هو كالتالي:

- ١ - العلق.
- ٢ - القلم.
- ٣ - المَّمْلُ.
- ٤ - المَّدْثُرُ.
- ٥ - تَبَّتْ (المَسْدُ).
- ٦ - التَّكْوِيرُ.
- ٧ - الأَعْلَى.
- ٨ - الْأَنْشَارُ.
- ٩ - وَالْعَصْرُ.
- ١٠ - وَالْفَجْرُ.
- ١١ - وَالضَّحْيَ.

نعم إنفرد اليعقوبي من بين المؤلفين باعتبار سورة الضحي السورة الثالثة من حيث تاريخ النزول، وحتى هذا الرأي لا ينسجم مع القصة المذكورة «انقطاع الوحي».

س ١٩٩ - س ٢٠٠ : / كم استمرت الدعوة السرية للنبي ﷺ؟!
ولماذا؟!

ج : / استمرَّ النبي ﷺ يدعو إلى دينه سِرًّا مدة ثلاثة أعوام. فهو في هذه السنوات عَمِدَ إلى بناء الكوادر وإعدادها بدل توجيه الدعوة إلى عامة الناس، فإنَّ اعتبارات معينة في ذلك الوقت كانت توجبُ أنَّ لا يجهر بدعوته ولا يُعلنَ عن رسالته، ويكتفي بالاتصالات الفردية السرية ويدعو أشخاصاً معينين إلى دينه.

وقد كانت هذه الدعوة السرية هي السبب في أن ينجذب إلى الدين الإسلامي جماعة من الناس، وتواجهه دعوته ﷺ منهم بالقبول، وقد

سجّل التاريخ أسماء هؤلاء السابقين الذين آمنوا برسول الله ﷺ، في هذه الفترة من عهد الرسالة، وتاريخ الإسلام

س ١: / هل يمكنكم ذكر بعض الأسماء التي آمنت برسول الله ﷺ في فترة الدعوة السرية؟!

ج: / نعم، وإليك بعضهم: وإن كان عددهم يقارب الأربعين شخصاً خلال تلك الفترة: -

١ - السيدة خديجة بنت خويلد «زوجة النبي».

٢ - علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ - زيد بن حارثة.

٤ - الزبير بن العوام.

٥ - عبد الرحمن بن عوف.

٦ - سعد بن أبي وقاص.

٧ - طلحة بن عبيد الله.

٨ - أبو عبيدة الجراح.

٩ - أبو سلمة.

١٠ - الأرقم بن أبي الأرقم.

- ١١ - عثمان بن مظعون.
- ١٢ - قدامة بن مظعون.
- ١٣ - عبد الله بن مظعون.
- ١٤ - عبيدة بن الحارث.
- ١٥ - سعيد بن زيد.
- ١٦ - خباب بن الأرث.
- ١٧ - أبو بكر بن أبي قحافة.
- ١٨ - عثمان بن عفان.
- ١٩ - عمار بن ياسر.
- ٢٠ - صهيب بن سنان.

وغيرهم من الذين قبلوا دعوة النبي، وأمنوا بنبوته في هذه الفترة

س ٢٠٢ : / كيف كانت حركة رسول الله ﷺ خلال تلك الفترة -
الدعوة السرية -؟

ج : / لقد كان رسول الله ﷺ في هذه السنوات التي تعتبر فترةً صباغة الفرد يخرج مع بعض أتباعه إلى شعاب مكة للصلوة فيها بعيداً عن أنظار قريش . . .

وأتفق أن رأهم بعض المشركين في ما كانوا يصلون في شعب من شعاب مكة، واستنكروا عملهم هذا، وأدى ذلك إلى منازعة عابرة بينهم وبين المشركين جرح على أثرها أحد المشركين على يدي «سعد بن أبي وقاص» أحد المسلمين، ومن هنا قرر رسول الله ﷺ اتخاذ بيت «الأرقم بن أبي الأرقم» محلًّا للعبادة بدل شعاب مكة، ل يستطيع القيام فيه بالتبليغ والعبادة بحرية وأمان، بعيداً عن أعين المشركين. ولقد كان عمّار بن ياسر وصهيب بن سنان الرومي ممن آمنوا برسول الله ﷺ في ذلك البيت، وهذا البيت كان عند جبل الصفا، وكان معروفاً إلى مدة بـ «دار الخيزران» . . .

س ٢٠٣: / كيف واجهت زعماء مكة دعوة النبي في البداية؟!

ج: / لقد كان زعماء قريش منهمكين طوال هذه الأعوام الثلاثة في اللذة والهوى وكان فرعون مكة وطاغيتها: «أبو سفيان» وجماعته كلما سمعوا بالدعوة أطلقوا ضحكة استهزاء وقالوا لأنفسهم: إنها أيام وتنطفئ بعدها شعلة الدعوة هذه فوراً تماماً كما انطفأت من قبل دعوة «ورقة» و«أممية» اللذين أخذوا يجذان إلى العرب التوجّه نحو المسيحية ونبذ الوثنية بعد أن قرءا الإنجيل والتوراة . . . وبالتالي لن يمرّ زمان حتى يُنسى هذا الأمر، ويغدو خبراً بعد أثر، بل لا شيء يُذكر.

بـ «هذا التصور، وبهذه العقلية واجهت زعامة مكة دعوة النبي في البداية، وهذا لم يقم زعماء قريش خلال هذه السنوات الثلاث بأيّ

عملٍ عدائي ضدّ رسول الله ﷺ، بل ظلّوا ينظرون إليه بنظر الاحترام، ويراعون معه قواعد الأدب والسلوك، وكان النبي هو أيضاً لا يتعرض لأصنامهم وألهتهم في هذه الأعوام الثلاثة بسوء ولا يتناولها بالنقد والاعتراض بصورة علنية، بل كان مرتكزاً جهده على الاتصال الشخصي والهدایة إلى دينه الحنيف.

س٤: / كيف دعى رسول الله ﷺ أقربائه؟ !

ج: / كانت طريقة رسول الله ﷺ في دعوة عشيرته الأقربين طريقة حيلة وذكية جداً، فقد تجلّت في ذلك حقيقة أوضحت أسرار هذه الدعوة في ما بعد أكثر فأكثر . . .

فإنَّ المفسرين كتبوا عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَين﴾ ﴿٢٦﴾ وكذا الأغلبية القريبة للإجماع من المؤرخين أنَّ الله أمر نبيه ﷺ بأنَّ ينذر عشيرته الأقربين ويدعوهم إلى دينه ورسالته فأمر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب الذي كان آنذاك في ربيعه الثالث عشر أو الخامس عشر بأن يُعدَّ طعاماً ولبناً، ثم دعا ﷺ خمساً وأربعين رجلاً من سراة بني هاشم ووجوههم، وعزم على أن يروح لضيوفه ويكشف لهم من أمر رسالته في خلال تلك الضيافة إلاَّ أنه ما إن انتهوا من الطعام حتى بادر أبو هلب فتكلَّم بكلمات سخيفة قبل أن يتحدث النبي ﷺ مما جعل الجوَّ غير مناسب لأنَّ يطرح النبي ﷺ موضوع رسالته عليهم، فانقضَّ المجلس دون تحقيق هذا الغرض .

ولما كان من غد أمر النبي عليه ﷺ بإعداد الطعام والتبن ثانية، وكرر دعوة تلك الجماعة، إلى ضيافة أخرى، وبعد أن فرغوا من الطعام تكلّم رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هُو إِنَّ رَسُولَ اللهِ إِلَيْكُمْ خاصَّكُمْ وَإِلَى النَّاسِ عَامَةٌ وَاللهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ وَلَتُبَعَّثُنَّ كَمَا تَسْتَيقظُونَ وَلَتُحَاسَّبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ إِنَّهَا الجنةُ أَبْدًا وَالنَّارُ أَبْدًا».

ثم قال: «يا بني عبد المطلب وإني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إِنَّمَا قد جئتكم بخير الدُّنْيَا والآخرة وقد أمرني الله عزَّ وجلَّ أن أدعُوكم إليه فأيّكم يؤمن بي ويُوازِرُني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفي فيكم؟».

ولما بلغ النبي ﷺ إلى هذه النقطة - وبينما أمسك القوم وسكنُوا عن آخرهم إذ كان كلُّ واحد منهم يفكُّر في ما يقولُ إليه هذا الأمرُ العظيمُ، وما يكتفِّئُ من أخطار - قام عليه ﷺ فجأةً، وهو آنذاك في الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، وقال هو يكسر بكلماته الشجاعة - جدار الصمت والذهول - : «أنا يا رَسُولَ اللهِ أَكُونُ وزيرك على ما بعثك الله».

فقال له رسول الله ﷺ: اجلس، ثم كرر دعوه ثانية وثالثة وفي كل مرة يحجم القوم عن تلبية مطلبه، ويقوم علي ويعلن عن السعادة لوزارة النبي، ويأمره رسول الله بالجلوس حتى إذا كان في المرة الثالثة أخذ

رسول الله بيده والفت إلى الحاضرين من عشيرته الأقربين وقال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم «أو عليكم» فاسمعوا له، وأطعوه».

فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب «قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع وجعله عليك أميراً»^(١).

س٢٠٥: / **الأعلان وصاية علي عليه السلام في بداية الدعوة ماذا تعني؟!**

ج: / إن الإعلان عن وصاية علي عليه السلام وخلافته في مطلع عهد الرسالة وببداية أمر النبوة يفيد - بقوة ووضوح - أن هذين المنصبين ليسا بأمررين منفصلين، ففي اليوم الذي يعلن فيه رسول الله عن رسالته ونبيّه، يعني خليفة ووصيّة من بعده، وهذا يشهد - بجلاء - بأن النبوة والإمامية يشكّلان قاعدة واحدة، وأن هذين المنصبين إنما إلا كحلقتين متصلتين لا يفصل بينهما شيء . . .

س٢٠٦: / **كيف تمت الدعوة العامة بعدما أمر علي عليه السلام بها من قبل الله تعالى؟!**

ج: / هذه المرة دعا علي عليه السلام بصوت عاليٍّ الناس إلى دين التوحيد، فقد وقف ذات يوم على صخرة عند جبل الصفا ونادي بصوت عاليٍّ: يا صاحاه، فلفت نداء النبي عليه السلام هذا نظر الناس

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٦٢ وص ٦٣.

فاجتمع حوله جماعة من أبناء القبائل المختلفة وقالوا له: مالك؟.

قال ﷺ: «أرأيتم إن أخبرتكم أنَّ العدوُّ مُصْبِحُكم أو مُمسِّيكُم ما كنتم تصدّقونني؟».

قالوا: بِلَّا.

قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

ثم قال: «إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يrepid أهله فخشى أن يسبقوه إلى أهله فجعل يهتف: واصباحاه».

ولقد كانت قريش تعرف عن دينه بعض الشيء، قبل هذا ولكنها تملّكتها الحوفُ هذه المرة، وهي تسمعُ ذلك الإنذار القويَّ فبادر أحد قادة الكفر إلى تبديد تلك المخاوف فوراً إذا قال لرسول الله ﷺ: تباً لك، لهذا دعونا؟، وتفرق على أثرها الناس.

س ٢٠٧: / ماذا تعني الكلمة «واصباحاه» في جواب السؤال السابق؟!

ج: / هي كلمةٌ كانت العربُ تطلقها كلما أحستَ بخطرٍ، أو بلغتها نبأً مُرعبٌ فكانت هذه الكلمة بمثابة جرس الخطر.

وقال الجزري في «النهاية: ج ٢، ص ٢١٧»: صعد النبي ﷺ على الصفا وقال: يا صبحاه، هذه الكلمة يقوها المستغيث، وأصلها إذا

صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو.

س٨: / باختصار، ما فعل سادة قريش مع رسول الله ﷺ بعد دعوته العامة؟!

ج: / اتجهوا إلى أبي طالب بصورة جماعية وقالوا له: «يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آهتنا، وعابَ ديننا، وسفَّهَ أحلامنا وضلَّلَ آباءنا، فأماماً أن تكفِّه عنا، وإنما أن تخلي بيننا وبينه».

ولكن أبا طالب قال لهم قوله رضي الله عنه: «رَدَّهُمْ رَدًّا حَكِيمًا فانصرفوا عنه».

س٩: / نحن نعرف أنَّ نفوذ الإسلام وانتشاره كان يتزايد باستمرار، فهل سكت سادة قريش على ذلك أم عادوا مرة ثانية لأبي طالب؟!

ج: / بل عادوا مرة أخرى إلى أبي طالب وقالوا له: «يا أبا طالب، إن لك ستاً، وشرفًا، ومنزلة فينا، وإننا قد استنبهناك من ابن أخيك فلم تنهيه عنا، وإنما والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسيفي أحلامنا، وعيوب آهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين».

فوعدهم بأن يبلغ ابن أخيه كلامهم وذلك لتسكين غضبهم وإطفاء ناثرتهم، فأخبر ابن أخيه بمقالتهم فقال ﷺ: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته».

قال له عمّه: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلنك شيء أبداً . . .

س ٢١٠:/ بعد فشل سادة قريش مع وضع حد معين لرسول الله ﷺ ما فعلوا مع أبي طالب؟!

ج:/ لقد أطلق انتشار الإسلام المتزايد قريشاً، ودفعها إلى التفكير في حيلة، فاجتمع أشرافها وسادتها للتشاور مرة أخرى وقالوا:

لعل كفالة أبي طالب **محمد** هي التي تدفعه إلى الدفاع عنه وحمايته والوقوف إلى جانبه في دعوته، فكيف لو مشوا إليه بأجل فتیان مكة، وطلبوا منه أن يأخذه بدل «**محمد**» ويسلمه إليهم ليروا فيه رأيهم، وهذا مشوا إلى أبي طالب بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له:

يا أبا طالب هذا عماره بن الوليد أنهدْ فتي في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي فرق جماعة قومك، وسفَّه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل !!

فأجابهم أبو طالب وهو مستاء من هذه المساومة الظالمه: «هذا والله ليئس ما تسمونني! أتعطوني ابنتكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً».

فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبي طالب لقد أنصفك قومك، فما أراك تريد أن تقبلَ منهم شيئاً.

فأجابه أبو طالب قائلاً: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعـت خذلاني، ومظاهرـة القوم علىـي فاصـنع ما بـدا لك^(١).

س ٢١١: / هناك عروض قدمت لرسول الله ﷺ حتى يترك هذا الأمر - الإسلام - فهل يمكنكم ذكرها لنا وما فعل رسول الله ﷺ؟!

ج: / لما علمت قريش بأنه لا يمكن إرضاء «أبي طالب» بخزلان ابن أخيه محمد ﷺ، فكروا في خطة أخرى، فمشوا إلى بيت أبي طالب ودخلوا عليه و Muhammad جالس إلى جنبه فتكلّم متكلّمهم وقال: يا محمد إننا بعثنا إليك لنكلمك، فإنما والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعيّبت الدين، وسببت الآلة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة ولم يبق أمر قبيح إلا أتيه فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٦٧ وص ٦٨.

فنحن نسألك ونشرفك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك تابعاً من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طبك.

فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك، يزعمون أنك تشم آهتهم وتقول وتقول؟

فتكلم رسول الله ﷺ وقال: يا عم أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية.

ففرزوا لكلمته، ولقوله فقال القوم كلمة واحدة: نعم وأبيك عشرًا.

قالوا: فما هي، فقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟

قال: «لا إله إلا الله».

فكان هذا الرد مفاجئة قوية لذلك الفريق الذي يأمل في صرف النبي ﷺ عن هدفه، ولهذا قاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: «أجعل الآلة إلهاً واحداً إن هذا الشيء عجائب»^(١).

س ٢١٢: / كثيراً ما نقرأ بأن رسول الله ﷺ أكثر نبي قد أوذى، فهل يمكنكم ذكر نموذج من ذلك؟!

ج: / نعم، لقد رُوي أنَّ النبي ﷺ كان يطوف ذات يوم فشتمه

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٦٥ وص ٦٦

عقبة بن أبي معيط وألقى عمامته في عنقه، وجره من المسجد، فأخذوه من يده، خوفاً منبني هاشم.

س ٢١٣: ما هي قصة أبي جهل وحزة عم النبي، وإيذاءه للنبي؟

ج: / مرّ أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه ببعض ما يُكره من العيب لدینه، والتضييف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاه لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حزة بن عبد المطلب أن أقبل متوضحاً قوسه راجعاً من قص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدى معهم، وكان أعز فتى في قريش، وأشد شكيمة.

فلما مر بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة - وتلك هي كنيته - لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدَ آنفًا من أبي الحكم بن هشام - وتعني أبا جهل - : وجده هنا هنا جالساً فآذاه وسبَّه، وبلغ منه ما يُكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمدَ ﷺ.

فغضب حزة لذلك، فخرج يسعى ولم يقف على أحد مُعدًا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّعه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فرداً ذلك عليًّا إن استطعت فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصرُوا أبا جهل فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني قد سبَّتْ ابن أخيه سبَّاً قبيحاً . . .

وبهذا منع أبو جهل الذي كان ممن يدرك خطورة مثل هذه المواقف من وقوع شجار وقتل.

س ٢١٤: / لا شك أن معارضة أنسباء النبي وأقربائه لدعوته المباركة، وإيذاؤهم إياه كان أكثر إيلاماً لنفسه الشريفة، وأشد وقعاً عليها، حتى أنها نجد القرآن يخص أبا هلب باللعن ويسميه بصورة خاصة فهل يمكنكم ذكر مصدق لذلك؟!

ج: / نعم، لقد تعرض رسول الله ﷺ لأذى لا مثيل له من جانب عمه أبي هلب وزوجته أم جليل وقد كان رسول الله ﷺ يجاورهم، فلم يألوا جهداً في إزعاجه وإيذائه فكم من مرة ومرة ألقوا الرماد والتراب على رأسه الشريف وثيابه، وكم من مرة نشرت أم جليل الشوك على طريقة، أو جعلته خلف باب بيته لئذيه عند الخروج.

س ٢١٥ - س ٢١٦: / هل يمكنكم ذكر طائفة من أعداء النبي ﷺ؟
مع ذكر شيءٍ من خصوصياتهم؟!

ج: / نعم، وهم:

- ١ - أبو هلب: عم النبي ﷺ، وقد كان جاراً له ﷺ، وهو الذي لم يفت لحظة واحدة عن تكذيب رسول الله ﷺ وإيذاء المسلمين.
- ٢ - الأسود بن عبد يغوث: وكان أحد المستهزئين وكان إذا وجد مسلماً فقيراً لا يحميه أحد قال مستهزئاً: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى .
- ٣ - الوليد بن المغيرة: شيخ قريش وحكيمها الذي كان يملك ثروة هائلة .
- ٤ - أميه وأبي ابنا خلف، وقد مثي أبى هذا بعظم رميم إلى رسول الله ﷺ ذات يوم ففته في يده ثم نفخه نحو النبي، وقال: أتزعّم أن ربك يُحيي هذا بعد ما ترى «أو بعد ما رأى»؟ فنزل قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يُحْيِهَا اللَّهُ أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيهُ﴾ . وقد قتل ابنا خلف هذان في بدر.
- ٥ - أبو الحكم بن هشام الذي سماه المسلمون لعناده وتعصّبه الجاهل ضد الإسلام بأبي جهل، وقد قُتل هو الآخر في بدر أيضاً.
- ٦ - العاص بن وائل وهو والد عمرو بن العاص، وهو الذي وصف رسول الله ﷺ بالأبتر .

٧ - عقبة بن أبي معيط الذي كان من ألد أعداء النبي ﷺ، وأشد خصومه بغضاً له ﷺ، وكان لا يألو جهداً في مضايقة المسلمين ولا يترك فرصةً تمر دون إيدائهم.

هؤلاء هم بعض الأعداء لرسول الله ﷺ المبالغين في معاداته، وهناك غيرهم كأبي سفيان ممن ذكر المؤرخون خصوصياتهم كاملة في مؤلفاتهم، وقد أعرضنا عن إدراجهم بأجمعهم هنا رعاية للاختصار.

س ٢١٧: / كلّ ما مرّ هو إيداء لشخص رسول الله ﷺ فهل أُوذى أصحابه من قبل أعدائه ومن هُم؟!

ج: / نعم أُوذى أصحابه من قبل أعدائه ومنهم:

١ - بلال الحبشي. ٢ - آل ياسر. ٣ - عبد الله بن مسعود. ٤ - أبو ذر الغفاري. وغيرهم لا مجال لذكر أسمائهم . . .

س ٢١٩ - س ٢١٩: / من هو بلال الحبشي؟ وكيف أُوذى؟!
ج: / كان أبواه ممن أسروا في الجاهلية وجيء بهم من الحبشه إلى جزيرة العرب ثم إلى مكة.

وكان بلال غلاماً لـ«أميمة بن خلف»، وعندما أسلم بلال عمد أميمة إلى تعذيبه أمام الناس، بأشد أنواع الأذى والتعذيب إنقاًماً وتشفيًّا.

فقد كان يطرح بلاً عارياً على الأحجار والصخور الملتهبة في الهاجرة، ويضع صخرة على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى الموت أو تکفر بمحمد، وتعبد الآلات والعزّى، فيقول وهو في ذلك البلاء والمحنة الشديدة: أحدٌ أحدٌ.

ولقد أثار ثأرُ هذا الغلام الأسود وجلدُه وصبره على أذى سيدِه، إعجاب الآخرين، حتى أن ورقة بن نوفل مرّ عليه وهو يعذب بذلك وهو يقول: أحدُ، أقبل على أمية ومن يصنع به ذلك من بني جع فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حناناً «أي لاجعلن قبره متبرّكاً ومزاراً».

وربما زاد أمية من تعذيبه لبلال فربط حبلًا بعنقه وترك الصبيان يديرون به في الأزقة والسلك. وقد أسر أمية وابنه في معركة بدر وكانا أول من أُسرا من المشركين، ولم يوافق بعض المسلمين على قتلهم ولكن بلال قال: «رأسُ الكفرُ أمية بن خلف لا نجوت إِنْ نجا». وأدى إصرارُ بلال على قتلهم إلى قتل أمية وابنه جزاءً أعملاهما الظالمة.

س ٢٢٠: / نحن نعرف أن القرآن الكريم كان من أكبر وأقوى أسلحة الرسول الأكرم ﷺ بحيث خضع أمام فصاحته البالغة وعباراته أساتذة الفصاحة والبلاغة وأمراء الكلام واعترفوا بأنه يحتل أعلى مكان في الفصاحة والبلاغة، فهل يمكنكم ذكر غوذج يبيّن لنا ذلك؟!

ج: / كان الوليد بن المغيرة من يرجع إليه العرب لحل الكثير من مشاكلها، وكان ذا سنٌّ، وثروة كبيرة فيهم. وعندما واجهت قريش مشكلة ظهور الإسلام وانتشاره في القبائل مishi فريق منهم إلى الوليد يلتمسون منه حلاً لهذا الأمر الذي بات يهدّد كيان الزعامة الملكية الجاهلية، وطلبوه منه أن يبيّن رأيه في القرآن الكريم.

وقالوا: هل هو سِحر أَمْ كِهانة أَمْ حِدْيَة قد حَاكَهُ بِنَفْسِهِ.

فاستنظرهم الوليد ليعطي رأيه فيه بعد أن يسمع شيئاً من القرآن، فأقى إلى الحجر حيث كان يجلس النبي، ويتلوا القرآن، فقال: يا محمد أنشدنا شعرك.

قال النبي ﷺ: ما هو بـشـعـر ، ولـكـنـه كـلـام الله الـذـي بـه بـعـثـ أـنـبـيـاءـه وـرـسـلـه .

فقال: أتُلُّ عَلَيْيِ مِنْهُ، فَقَرأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّحْنُ، أَسْتَهْزأَ فَقَالَ: تَدْعُونِي إِلَى رَجُلٍ بِالْيَمَامَةِ يُسَمَّى
بِالرَّحْنِ؟

قال: لا، ولكنني أدعوا إلى الله وهو الرحمن الرحيم ثم افتح سورة «حم السجدة» فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذِرْنِي صَبِيَّةً مِثْلَ صَبِيَّةِ عَادٍ وَّثَمُودٍ﴾ .

وسمعه الوليد، فاقشعر جلده، وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، ثم قام ومضى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش.

فقالت قريش: يا أبا الحكم صبا أبو عبد شمس إلى دين محمد، أما تراه لم يرجع إلينا وقد قبل قوله، ومضى إلى منزله.

فاغتمت قريش من ذلك غمّاً شديداً وغدا عليه أبو جهل فقال: يا عم نكست رؤوسنا وفضحتنا.

قال: وما ذاك يا ابن أخي؟

قال: صبوبت إلى دين محمد.

قال: ما صبوبت وإني على دين قومي وأبائي، ولكنني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود، فقال أبو جهل: أشعار هو؟

قال: ما هو بشعر. قال: فخطب هي؟

قال: لا وإن الخطب كلام متصل، وهذا كلام منتشر، لا يشبه بعضاً بعضاً، له طلاوة.

قال: فكانه هي؟ قال: لا. قال: فما هي.

قال: دعني أفكر فيه.

فلما كان من الغد، قالوا: يا أبا عبد شمس ما تقول؟، قال: قولوا هو سحر فإنه أخذ بقلوب الناس فأنزل الله سبحانه فيه: ذكرى ومن خلق

وَجِيداً ١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَنْدُودًا ١٢ وَبَيْنَ شُهُودًا ١٣ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهَا
تَسْعَةَ عَشَرَ﴾ ١٤، ١٥ (١)، (٢).

س٢١: هل هُنَاكَ غُوذج آخر كالسابق؟!

ج: / نعم، كان عتبة بن ربيعة من كبراء قريش وأشرافها، ويوم أسلم حزرة وأصبح أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون اغتنمت قريش كلها، وخشي زعماء المشركين أن يتنتشر الإسلام أكثر من هذا فقال عتبة وهو جالس في نادي قريش يوماً، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فتعطيه أيها شاء ويكتف عن؟

فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث ما قد علمت من الشرف في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آهاتهم، ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: قُلْ يا أبا الوليد أسع.

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١١ - ١٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢١١ و ٢١٢.

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما ت يريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت ت يريد به شرفاً سوؤدناك علينا حتى لا ينقطع أمراً دونك، وإن كنت ت يريد به ملكاً ملوكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثىًّا «وهو ما يتراهى للناس من الجن» تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه: حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه قال:

أقد فرغت يا أبا الوليد؟!

قال: نعم، قال: فاسمع متنِي، قال: افعل، قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿١﴾ تَبَرِّلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَيْتَبَ فَصَلَّتْ إِيَّاكُمْ قَرْمَانًا عَرَبَيَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِّيرًا وَنَذِيرًا فَأَغْرَضَ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْتَعِمُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْيَنَةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴿٥﴾ [فصلت / ١ - ٥].

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنشقت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه ويقي على هذه مدة من الزمن صامتاً وكأنه قد سُلِّب قدرة النطق، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه وقد تغيرت ملامحه فقال بعضهم لبعض: مختلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به!! فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟.

قال: ورائي إني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معاشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننَّ لقوله هذا الذي سمعت منه نبأ عظيمٌ، فإن تصبِّهُ العربُ فقد كفيتهم بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكته ملکكم، وعزّهُمْ عزكم، وكتنمْ أسعد الناس به.

فائززعجت قريشٌ من مقالة عتبة هذا وسخرت به وقالت: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه !!

قال: هذارأيي ، فاصنعوا ما بدا لكم^(١).

س ٢٢٢: / لماذا ترى كانت قريش تعارض رسول الله ﷺ أشد المعارضة رغم أنها كانت تعتبره الصادق الأمين ولم تعهد منه انحرافاً أو خطأً قط وكانت تسمع كلامه الفصيح البليغ الذي يأسر القلوب، وربما شاهدوا حدوث بعض الخوارق للعادة الخارجة عن حدود القوانين الطبيعية على يديه؟!

ج: / إن لهذا التمرد والمعارضة علة أو علل عديدة هي:

١ - حسدُهم للنبي ﷺ .

٢ - معارضة الدعوة الإسلامية لشهواتهم .

(١) السيرة النبوية: ج ١، ص ٢٩٣ و ٢٩٤.

٣ - الخوف من عُقوبات اليوم الآخر.

٤ - الخوف من القبائل العربية المشاركة.

س ٢٢٣ : / هل هُنَاكَ نِمَاذِجٌ تَبَيَّنُ لَنَا حَسْدُهُمْ لِلنَّبِيِّ أَدَى
لِعَارضِهِمْ لَهُ؟!

ج : / لقد عارض رسول الله ﷺ وخالفه فريقٌ من عارضه بسبب
حسدهم له، فقد كانوا يؤمنون أن يكونوا هم صاحب هذا المنصب،
وصاحب هذه المنزلة.

فقد قال المفسرون عند قوله تعالى : **﴿وَقَاتَلُوا لَوْلَا تُرِكَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنَ عَظِيمٍ﴾** [الزخرف / ٣١].

إن الوليد بن المغيرة قال : أَيُّنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَتْرَكَ وَأَنَا كَبِيرُ قَرِيشٍ
وَسَيِّدُهَا وَيَتَرَكَ أَبُو مسعود عمرو بن عمير الشفقي سيد ثقيف ونحن
عظيماء القربيتين فأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ الْآيَةَ :

وروى أنه قال : والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني
أكبر منك سنًا وأكثر منك مالاً.

وكان أمية بن أبي الصلت من الذين كانوا يقولون هذا الكلام حول
رسول الله ﷺ وكان يتمنى كثيراً أن ينال هو هذا المقام ويحظى بهذا
المنصب العظيم، ولم يتبع رسول الله ﷺ إلى آخر حياته، وكان يؤلّب
الناس عليه.

وقد سأله الأخنس بن شريف - وهو من أعداء رسول الله - أبا جهل يوماً: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟!

فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبين عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الركب، وكنا كفريسي رهان، قالوا: منا نبي يأتي الوحى من السماء، فمتي تدرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

هذه النماذج وهنالك نماذج أخرى لا مجال لذكرها للاختصار.

س٢٤: / ما معنا قولكم في «س٢٢» الخوف من القبائل العربية المشركة؟!

ج: / قال الحارث بن نوفل بن عبد مناف لرسول الله ﷺ: إننا لنعلم أنّ قولك حقٌ ولكن يعنينا أن تتبع المُهدي ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العربُ من أرضنا «إن تركنا الوثنية التي تدين بها ويعتبروننا سدنة لأوثانها» ولا طاقة لنا بها . فنزل قوله تعالى يرد عليهم: ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعَ الْمُهَدِّيَ مَعَكُمْ تُخْطَفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَماً إِمَّا يَجْعَلَ إِلَيْهِ شَرَاثٌ كُلُّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾^(١)،^(٢).

(١) سورة القصص، الآية: ٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢٣٦.

وهكذا كان تخوف قريش من العرب إن هي تركت ما كان عليه العربُ من الوثنية والشرك أحد الأسباب لمعتوهم وإعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية.

س٢٢٥: / كم هجرة كانت لل المسلمين إلى الحبشة؟!

ج: / كانت هناك هجرتين الأولى، والثانية . . .

س٢٢٦: / متى كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة؟!

ج: / كان في شهر رجب من السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ^(١).

س٢٢٧: / على ماذا تدل هجرة المسلمين - الأولى - إلى الحبشة؟!

ج: / تُعتبر هجرة فريق من المسلمين إلى أرض الحبشة دليلاً بارزاً على إيمانهم وإخلاصهم العميق لدينهم، ولربهم وذلك لأن فريقاً من الرجال والنساء يقررون - ويهدف الحفاظ على عقيدتهم والتخلص من أذى قريش ومضايقتها والحصول على مكان آمن يقيمون فيه شعائرهم بحرية ويعبدون الله الواحد - مغادرة «مكة»، العربية التي ترزع تحت ظلام الوثنية، . . .

(١) بحار الأنوار: ج١٨، ص٤١٢، نقلأً عن مجمع البيان للطبرسي.

س ٢٢٨: / لقد ذكر أرباب السير والتاريخ أن المسلمين طلبوا من رسول الله ﷺ الرحيل، فما السبب الذي جعل رسول الله ﷺ يوافق؟!

ج: / لقد كان رسول الله ﷺ يعرف أوضاع المسلمين المؤلمة جيداً، فقد كان هو يحظى بحمايةبني هاشم، وكان الفتى المهاشميون يحمونه ويحفظونه من كل أذى، ولكن الذين آمنوا به من الإماء والعبيدين، ومن ليست لهم حماية من الأحرار المستضعفين الذي كانوا يشكلون عدداً كبيراً من المسلمين السابقين كانوا يتعرضون لشئ صنوف العذاب والإيذاء والمضايقة من قريش التي لم تأله جهداً، ولم تدخل وسعاً، ولم تفوت فرصة ولا وسيلة لإلحاق العنت والأذى بالمؤمنين برسول الله ﷺ، ولا يستطيعون منعهم من ذلك - وقد كان زعماء كل قبيلة يعمدون - للمنع من نشوب أي صدام بين القبائل - إلى تعذيب من أسلم من أبناء قبيلتهم، وإيذائهم والتنكيل به

س ٢٢٩: / كيف كانت الرحلة إلى الحبشة - الأولى - باختصار؟!

ج: / لقد قام فريق من المسلمين بالهجرة ومن الجدير بالذكر أن أعضاء هذا الفريق المهاجر لم يكونوا من قبيلة واحدة بل كان كل واحد - وهم عشرة - يتبع إلى قبيلة خاصة.

وقد كانت الرحلة بحرية وكانت شاقة جداً وبخاصة برفقة النساء

والأطفال، ولقد كان ميناء جدة آنذاك ميناء تجاريًّا عامرًا كما هو عليه الآن، ومن حسن الاتفاق أن هذه الثلة المهاجرة قد وصلت إلى هذا الميناء في الوقت الذي كانت فيه سفيتان تجاريتان على أهبة الإلقاء، والتوجه نحو الحبشة، فبادر المسلمون إلى ركوبها والسفر عليها دون تلاؤ خشية لحاق قريش بهم والقبض عليهم، لقاء نصف دينار عن كل راكب.

س ٢٣٠ : / لقد تم اختيار الحبشة للهجرة من قبل رسول الله ﷺ فلماذا لم يذكر رسول الله ﷺ للمسلمين مناطق أخرى للهجرة إليها ، وإنما ذكر الحبشة فقط؟

ج : / نلاحظ من كلامه ﷺ عندما طلب أصحابه رأيه في الهجرة من مكة قال في جوابهم بـ «لو خرجمت إلى أرض الحبشة فإنَّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحدٌ وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» .

وسر هذا الاختيار يتضح إذا درسنا أوضاع الجزيرة العربية وغيرها من المناطق آنذاك .

«إن الهجرة إلى المناطق العربية التي كان سكانها من المشركين والوثنيين قاطبة كان أمراً محفوفاً بالخطر ، فإن المشركين كانوا سيمتنعون عن قبول المسلمين في أرضهم إرضاء لقريش أو وفاء وتعصباً لدين الآباء الوثنية» .

وكذلك المناطق التي كان يقطنها المسيحيون أو اليهود من الجزيرة العربية لم تكن تصلح لهجرة المسلمين إليها هي الأخرى لأن تينك الطائفتين كانتا تتقابلان فيما بينهما في صراع مذهبي وطائفي، فلم تكن الأوضاع لتسمح بأن يدخل طرف ثالث في حلبة الصراع، هذا مضافاً إلى أن ذنيك الفريقين «اليهود والنصارى» كانوا يحتقران العنصر العربي أساساً، فكيف يمكن الهجرة إلى مناطقهم والتعايش معهم؟!

س ٢٣١ - س ٢٣٢ : / لماذا لم يوجههم رسول الله ﷺ إلى اليمن؟ أو يوجههم إلى الشام؟!

ج : أما اليمن: فقد كان تحت سيطرة الحكم الإيراني الملكي، ولم تكن السلطات الإيرانية آنذاك لتسمح بإقامة المسلمين في ربوع اليمن، لما عُرف من نعمتها فيما بعد على الدعوة الإسلامية إلى درجة أنه لما وصلت رسالة النبي ﷺ إلى «خسر وبرويز» كتب إلى عامله على اليمن فوراً «أحمل إلى هذا الذي يذكر أنهنبي، وبدأ اسمه قبل اسمي، ودعاني إلى غير ديني !!»^(١).

وكذلك كانت الحيرة تحت الاستعمار والنفوذ الإيراني كاليمن .

٢ - وأما الشام: فقد كانت بعيدة عن مكة المكرمة، هذا مضافاً إلى

(١) بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٣٨٢.

أن اليمن والشام كانتا سوقين لقريش، وكانت تربط قريش بسكان هاتين المنطقتين روابط وعلاقات وثيقة، فإذا كان المسلمون يلتجأون إليها أخرجوا منها بطلب من قريش، تماماً كما طلبت من ملك الحبشة مثل هذا الطلب، ولكنه رفض طلبهم.

س ٢٣٣ : / ما فعل المشركون عندما عرفوا بهجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة؟!

ج : لما عرفوا بهجرة بعض المسلمين أمروا جماعة من رجالهم بمخالفة أولئك المهاجرين وإعادتهم إلى مكة فوراً، ولكن المسلمين المهاجرين كانوا قد غادروا شواطئ «جدة» قبل أن يدركهم الطلب^(١).

س ٢٣٤ : / كيف كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة؟!

ج : لقد تمت الهجرة الثانية في منتهى الحرية، لأن المسلمين المهاجرين استطاعوا في هذه الهجرة أن يصطحبوا معهم نساءهم وأولادهم، بحيث بلغ عدد المسلمين في أرض الحبشة هذه المرة «٨٣».

هذا إذا لم نخص من ولد في أرض الحبشة لهم، وإنما كان العدد أكثر من هذا الرقم . . .

(١) السيرة النبوية: ج ١، ص ٣٢١ - ٣٢٣.

س ٢٣٥ : / كيف وجد المسلمون أرض الحبشة؟

ج : / لقد وجدَ المسلمين المهاجرون أرض الحبشة كما وصفها رسول الله ﷺ لهم : منطقة عامرة . وببيئة آمنة حرّة ، تصلح لأن يُعبد فيها الله تعالى بحرية وأمان .

تقول أم سلمة التي تشرفت بالزواج من رسول الله ﷺ في ما بعد ، عن تلك الأرض ، لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمّنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه .

س ٢٣٦ - س ٢٣٧ : / ما فعلت قريش عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة مرة ثانية واستقروا فيها؟ ولماذا؟

ج : / عندما بلغ قريشاً وزعماء مكة ما أصبح فيه المسلمين المهاجرون من أمن وحرية ، وما حصلوا عليه من حسن الجوار والطمأنينة والراحة في أرض الحبشة ثارت ثائرة الحسد والغيبة في قلوبهم ، وتوجسوا خيفة من نفوذ المسلمين في الحبشة لأن أرض الحبشة قد أصبحت قاعدة قوية للمسلمين ، وكانت الزعامة الملكية تخوفُ من أن يجد أنصارُ الإسلام وأتباعه منفذًا إلى بلاط النجاشي زعيم الأحباش وملكيتهم ، ونُكيلوا قلبه نحو الإسلام ، ويكسبو تأييده للمسلمين ، فيؤول الأمر إلى أن يعيّن جيشاً كبيراً للقضاء على حكومة المشركين الوثنين في شبه الجزيرة العربية ، وعندها تكون الكارثة .

فاجتمع أقطاب دار الندوة مرة أخرى للتشاور في الأمر، فاستقرّ رأيهم على أن يبعثوا إلى البلاط الحبشيّ من يقدم إلى النجاشي ووزرائه وقواده هدايا مناسبة يستمليونهم بها ليسطروا من هذا الطريق التأثير على النجاشي ثم يتستّى لهم بعد ذلك أن يقنعوا بضرورة إخراج المسلمين المهاجرين من أرضه وأن يتهمونهم عنده بالسفاهة والجهل، وابتداع دين جديد منكر، والارتداد عن دين الآباء والأجداد!!

ولكي تتحقق خطتهم هذه على أحسن وجه ويصلوا عن طريقها إلى أفضل النتائج اختاروا من بينهم رجلين ماكرين وهما عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة وقال لهما كبير المؤمنين في ذلك الدار: إدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلّما النجاشي فيهم، ثم قدّما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلّمهم إليكما قبل أن يكلّمهم . . .

من ٢٣٩ - س ٢٣٨: / كيف كان اللقاء بالنّجاشي، وما فعل المسلمون المهاجرون؟ !

ج: / عندما خرج موFDA قريش - عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة - حتى قدما على النجاشي بعد أن تلقّيا ما سبق من التعليمات . . . وهناك في الحبشه دفعا إلى كل بطريق من بطارقة النجاشي وقاده جيشه ووزرائه هديته، وقالا لكل بطريق منهم: «إنه قد ضوى - أي جأ وأقى ليلاً - إلى بلد الملك متى غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إلى

المَلِكُ لَنْ كُلِّمَهُ فِي أَمْرِهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرْدَهُمْ إِلَيْهِمْ فَإِذَا كَلَّمَنَا الْمَلِكُ فِيهِمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنَّ يَسْلِمُهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يَكْلُمُهُمْ، فَإِنْ قَوْمِهِمْ أَبْصَرُهُمْ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابَوْا عَلَيْهِمْ».

حتى جرى ما جرى بين المسلمين بقيادة جعفر بن أبي طالب وملك الحبشة وأقام البراهين والحجج حتى وافق النجاشي بحماية لهم ورفض طلب المشركين . . .

س ٢٤٠ : / هل عاد من المهاجرين الأوائل إلى الحبشة إلى مكة أم لا؟!

ج : / قيل أن المجموعة الأولى من المهاجرين رجعت من الحبشة إلى مكة لأنباء بلغتها عن إسلام قريش عامة وانضوائهما تحت راية الإسلام، حتى إذ دنوا من مكة بلغتهم أن ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلًا. فلم يدخل منهم إلى مكة إلا قليل دخلوها مستخفين أو في جوار الشخصيات القرشية بينما عاد الأكثرون من حيث جاءوا - كعثمان بن مظعون -.

ويقول ابن الأثير : وكان مسيرهم «إلى الحبشة» في رجب سنة خمس من النبوة وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة فأقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا في شوال سنة خمس من النبوة ، وكان سبب قدومهم إلى النبي ﷺ أنه بلغتهم أن قريشاً أسلمت فعاد منهم قومٌ وتختلف قومٌ^(١) .

(١) الكامل في التاريخ : ج ٢ ، ص ٥٢ و ٥٣

س ٢٤١: ذكرتم في جوابكم للسؤال السابق كان عثمان بن مطعمون من الداخلين إلى مكة، فما حديث له بعد ذلك؟!

ج: / نعم، كان ممن دخل مكة بجوار عثمان بن مطعمون الذي دخلها بجوار الوليد بن المغيرة ولكنه كان يشاهد ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، والعقاب وهو يغدو ويروح في أمان فتألم لذلك ولم يطق نفسه تحمل هذا الفرق وقال: والله إن غدوةي وروحاني آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة وردد عليه جواره ليواسي المسلمين ويشاركتهم في آلامهم ومتابعتهم وقال: يا أبا عبد شمس وقت ذمتك، قد رددت إليك جوارك.

قال: لم يابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟

قال: لا ولكنني أرض بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره.

فقال الوليد له: إذن فاردد على جواري علانية كما أجرتُك علانية.

فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد مخاطباً من حضر من قريش: هذا عثمان قد جاء يرد على جواري.

قال: صدق، قد وجدته وفيه كريم الجوار ولكني قد أحببته أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم لم يمض شيء من الوقت حتى دخل المسجد لبيد وكان شاعراً متكلماً بارزاً من شعراء العرب

ومتكلّمها ووقف في مجلس من قريش ينشدهم وعثمان بن مظعون
جالس معهم فقال من جلة ما قال شعراً:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ

فقال عثمان بن مظعون: صدقت، فقال: ليدي:

وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ

قال عثمان: كذبت، نعيمُ الجنة لا يزول، فاستقلَّ ليدي تكذيب
عثمان وتحذّيه له في ذلك الجمع فقال: يا عشر قريش والله ما كان
يؤذِي جليسُكم، فمتى حدث هذا فيكم؟؟

فقال رجلٌ من القوم: إنَّ هذا سفيهٍ في سفهاء معه، قد فارقا ديننا
فلا تجدرن في نفسكَ من قوله.

فرَدَ عليه عثمان حتى تفاقم الأمر بينهما فقام إليه ذلك الرجلُ فلطم
عينه فحضرها «وأصحابها»، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان
فقال: أما والله يا بن أخي إنْ كانت عينُك عما أصحابها لغنيةٌ لقد كنت
في ذمة منيعة «وهو يريد أنك لو بقيت في ذمي وجواري لما أصحابك ما
أصابك».

فقال عثمان راداً عليه: بل والله إنْ عيني الصحيحة لفقيرٌ إلى مثل
ما أصحاب أختها في الله، وإنِّي لفِي جوار من هو أعزُّ منكَ، وأقدرُ يا أبا
عبد شمس.

فقال له الوليد: هلْم يا ابن أخي إن شئت فُعْد إلى جوارك، فقال ابن مطعمون: لا^(١).

س ٢٤٢: / ما فعل أساقفة الحبشة بعد كُل ما جرى بين النجاشي وجعفر الطيار؟!

ج: / نعم، قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، مبعوثين من قبل أساقفتها لتقصي الحقائق بمكة، والتعرف على الإسلام. فوجدوا رسول الله في المسجد، فجلسوا إليه، وتكلمواه وسائله عن مسائل، ورجالٌ من قريش فيهم «أبو جهل» في أندائهم حول الكعبة.

فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ بما أرادوا دعاهم إلى الله عزّ وجلّ وتلا عليهم آيات من القرآن الكريم، فكان لها من التأثير البالغ في نفوسهم بحيث عندما سمعوها فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وأمنوا به وصدقوه، بعدهما عرفوا منه ما كان يوصّف في كتابهم «الإنجيل» من أمره.

فلما قاموا عنه، ورأوا قريش ما نتج عنه ذلك اللقاء استقلّه أبو جهل فقال للنصارى الذين أسلموا معترضاً وموجحاً: خَيَّبُكُمُ الله من ركب بعثتكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتونهم بخبر

(١) السيرة النبوية: ج ١، ص ٣٧٠ و ٣٧١.

الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحقر منكم.

فأجابه أولئك بقولهم: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا من نحن عليه، ولكن ما أنتم عليه، لم نسأل أنفسنا خيراً^(١).

س ٢٤٣: / استخدمت قريش أسلحة عديدة لمحاربة دعوة الإسلام
فهل يمكنكم ذكر مجموعة من تلك الأسلحة؟!

ج: / نعم وهي : ١ - الاتهامات الباطلة.

٢ - فكرة معارضة القرآن.

٣ - تحريم استماع القرآن.

٤ - منع الأشخاص من الإيungan برسول الله.

س ٢٤٤: / ذكرتم في جوابكم عن السؤال السابق سلاح
الاتهامات الباطلة، فكيف ذلك؟!

ج: / نعم، نجد لهم ذهباً في استخدام سلاح الاتهام والتشويش على الشخصية الحمدية والرسالة الإسلامية كل مذهب، فمرة وصفوه

(١) السيرة النبوية: ج ١، ص ٣٩٠ و ٣٩٣ وقد نزلت في هذا الشأن الآيات ٥٢ إلى ٥٥ من سورة القصص.

بأنه كاهن وأخرى بأنه ساحر وثالثة بأنه مسحور، ورابعة بأنه مجنون وخامسة بأنه معلم، وسادسة بأنه كذاب وسابعة بأنه مفترى وثامنة بأنه مفترى أو مجنون على سبيل الترديد، وتاسعة بأنه شاعر، وعاشرة بأن ما يقولوه ما هو إلا أضغاث أحلام.

س٢٤٥ : ذكرت في جوابكم عن سؤال «٢٤٣» سلاح فكرة معارضة القرآن، فكيف ذلك؟!

ج: / نعم، عمدة قريش إلى النضر بن الحارث وكان من شياطين
قريش، وممَّن كان يؤذى رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قد
قضى شطراً من حياته في الحيرة بالعراق وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس
وأحاديث رُstem واسفنديار وقصصهم، وحكاياتهم، وأساطيرهم،
وطلبوا منه أن يجمع الناس ويقص عليهم من تلكم الأساطير
والحكايات يلهي بها الناس عن رسول الله ﷺ، ويصرفهم عن
الإصغاء إلى القرآن الكريم !! فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذَكَر
الناس فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب مَن قبلهم من الأمم من نعمة
الله، خلفه النضر في مجلسه إذا قام ﷺ ثم قال: أنا والله يا معشر قريش
أحسنُ حدِيثاً منه فهلَّمْ إلى، فأنا أَحدِثُكُمْ أَحْسَنَ من حدِيثِه.

ثم يحذّهم عن ملوك الفرس ورستم واسفنديار ثم يقول: بماذا
محمد أحسن حديثاً مني وما حديثه إلاّ أسطير الأولين اكتتبها كما
اكتتبها؟ . . .

وقد كانت هذه اللحظة حقاء جداً إلى درجة أنها لم تدم إلا عدة أيام لا أكثر حتى أن قريشاً سأمت من أحاديث النصر وسرعان ما تفرق عنده.

وقد نزل في هذا الشأن آيات هي : «**وَقَاتُلُوا أَسْطِرَ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْنَاهَا فِيهِ تُمَلَّ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ قُلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ أَتْسِرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۖ**

س٢٤٦ : / ذكرتم في جوابكم عن سؤال «٢٤٣» سلاح تحريم استعمال القرآن، فكيف ذلك؟!

ج : / قال تعالى : «**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَرَّ فِيهِ لَمْكُرٌ تَقْلِيلُونَ ۚ**» [فصلت/٢٦]. لقد كان القرآن أقوى أسلحة النبي ﷺ، فقد ألقى رعباً عجياً في نفوس الأعداء وأقضى مضاجعهم، وقد ذكرنا سابقاً ما جرى على عتبة والوليد بن المغيرة... ولهذا لم يكن أمامهم إلا أن يمنعوا من سماع القرآن منعاً باتاً، وبحرموا التحدث إلى النبي ﷺ تحريمـاً قاطعاً.

ولهذا كان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلوه من القرآن وهو يصلٍ استرق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع.

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٥ - ٦.

ولقد نقضوا القرار قرارهم هم بأنفسهم أكثر من مرّة . . .

س ٢٤٧ : / ذكرتم في جواب السؤال السابق أن واصعوا القرار - تحرير استماع القرآن - ينقضون قرارهم ، كيف ذلك؟ !

ج : / نعم خرج أبو سفيان وأبو جهل والأخنس ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلّي من الليل في بيته، فأخذ كُلّ رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلا وموا، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رأكم بعض سفهائهم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كُلّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك . ثم تفرقوا .

س ٢٤٨ : / ذكرتم في «س ٢٤٥» سلاح منع الأشخاص من الإيمان برسول الله ﷺ كيف ذلك؟ !

ج : / نعم ، بعد جميع ما مرت من خطط وفشلها بدأوا بتنفيذ خطة أخرى وهو منع كل قريب وبعيد ممن رغبوا في الإسلام وقدموا إلى

مكة ليتعرفوا على النبي، وعلى ما أتى به كتاب ودين، من الاتصال بالنبي ﷺ فبشت قريش جواسيسها في الطرق المؤدية إلى مكة ليتصلوا بمن يلقونه من هؤلاء ويبادروا إلى منعه من الاتصال برسول الله ﷺ والإيمان برسالته، بشتى الحيل والأساليب.

س ٢٤٩: / هل يمكنكم ذكر نموذج عما ذكرتموه في جواب السؤال السابق؟!

ج: / نعم، الأعشى كان من شعراء العهد الجاهلي البارزين، وكانت قصائده تتناقلها مجالس السمر القرشية، وتتغنى بها محافل أنفسهم.

وقد بلغ الأعشى في كبره نبأ ما جاء به رسول الله ﷺ من التوحيد ومن تعاليم الإسلام العظيمة، وكان يعيش في منطقة نائية عن مكة، حيث لم تصل إليها أشعة الرسالة الإسلامية على وجه التفصيل بعد، ولكن ما قد سمع به من تعاليم الإسلام على نحو الإجمال قد أوجد في نفسه هياجاً خاصاً وحرّك مشاعره فأنشأ قصيدة مطولة يدح فيها رسول الله ﷺ ثم خرج إلى مكة ليهدّيها إليه ﷺ وهو في نفس الوقت ي يريد الإسلام.

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه جواسيس قريش ورجالها فسألوه عن أمره وقصده فأخبرهم بأنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم،

وحيث أنهم كانوا يعرفون بأن الأعشى رجل يحب النساء والخمر حباً كبيراً لذلك عمدوا إلى الضرب على هذا الوتر لينفروه من الإسلام، فقالوا له: يا أبا بصير إنه يحرم الزنا.

فقال الأعشى: والله ذلك لأمر مالي فيه من راب.

فقالوا له: يا أبا بصير فإنه يحرّم الخمر.

فقال الأعشى - وقد صدّمَ بهذا الخبر - أمّا هذه فواحة في النفس منها لعلالات، ولكنني منصرف فأتّرقي منها عامي هذا، ثم آتّيه فأسلم !! فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يَعُدْ إلى رسول الله ﷺ.

س ٢٥٠ : ما هي قصة الغرانيق؟!

ج: يقولون: إن الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وهم من زعماء قريش وأسيادها قالوا لرسول الله ﷺ: يا محمد هل ملئ قلبك حبّنا؟ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر !!

وقالوا ذلك رفعاً للاختلاف، وتضييقاً لشقة الخلاف فأنزل الله سبحانه سورة الكافرون التي أمر فيها نبيه أن يقول في جوابهم: «لا تَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ». (١)

ومع ذلك كان رسول الله ﷺ يرغب في أن يساوم قريشاً وبخاريهم وكان يقول في نفسه: لبت نزل في ذلك أمر يقربنا من قريش.

و ذات يوم وبينما كان ﷺ يتلو القرآن عند الكعبة ويقرأ سورة النجم فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَرَيْتَ اللَّهَ وَالْمَرْءَ﴾ وَمَنْوَةً أَثَالَةَ الْأُخْرَى﴾ أجرى الشيطان على لسانه الجملتين التاليتين: «تلك الغرانيق العُلُى منها الشفاعة ترجح».

فقرأها من دون اختيار، وقرأ ما بعدها من الآيات، ولما بلغ آية السجدة سجد هو ومن حضر في المسجد من المسلمين والشركين أمام الأصنام، إلا الوليد الذي عامة كبر سنه عن السجود!!.

وفرح المشركون، وارتفع نداءاتهم يقولون: لقد ذكر محمد أهنتنا بخير.

وانشر نبأ هذه المصالحة والتقارب بين رسول الله والشركين - المهاجرين إلى الحبشة، فعاد على أثرها جماعة منهم إلى مكة، ولكنهم ما إن كانوا على مشارف مكة إلا وعرفوا بأن الأمر تغير ثانية، وأن ملك الوحي نزل على النبي وأمره مرة أخرى بمخالفة الأصنام ومجاهدة الكفار والشركين، وأخبره بأن الشيطان هو الذي أجرى تبيك الجملتين على لسانه، وأنه لم يقله وأنه ليس من الوحي في شيء أبداً.

وعندئذ نزلت الآيات من [الحج / ٥٢ - ٥٤] التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّقَنَ الْقَوْمُ شَرِكُهُمْ فَيَسْعُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُنْهِكُمُ اللَّهُ مَا يَنْهِيُهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَشَنَّةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْفَاسِدَةُ قُلُوبُهُمْ﴾

وَلَكُمُ الظَّلَالِيُّونَ لَفِي شَقَاقٍ بَعْدِهِ ٥٦ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَيَّبُ لَهُمْ فَلَوْلَمْ يَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لِهَاوِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى حِرَاطِهِ مُسْتَقِيمٌ ٥٧ .^(١)

س ٢٥٢ - س ٢٥٣ : / ما رأيكم بهذه القصة السابقة؟ ولماذا؟

ج : / أقول هذه أسطورة قد وضعها أصحاب الأساطير، أما لماذا فلعلة أسباب :

الأول : إن العقل يحكم بأن الأنبياء معصومون عن الخطأ، فكيف يكون ذلك الخطأ.

الثاني : العقل يقضي بأن الأنبياء يكونوا صابرين، وهذه القصة تشير إلى أن النبي قد تعب من أداء مهمته التي ألقاها سبحانه عليه، وقد شقّ عليه ابعاد الوثنين عنه فقد عنان الصبر . . .

الثالث : لقد شهد القرآن ببطلان هذه القصة، إذ يعد الله تعالى نبيه الكريم، بأن لا يتربّى إلى القرآن أي شيء من الباطل إذ قال : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطَلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت/٤٢].

كما وعده أيضاً بأن يصونه عبر جميع أدوار البشرية من أي حادث سيء إذ قال سبحانه : ﴿إِنَّا نَخْتَنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الحجر/٩].

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ، ص ٧٦ وص ٨٥ .

الرابع: قال تعالى: ﴿وَمَا يَطِقُ عَنْ أَلْوَهٍ إِلَّا وَهُنَّ يُؤْتَى﴾ [التجم / ٤ - ٣]. فكيف يكون ذلك فأفهم.

س ٢٥٣: / إن ما ذكرتموه في جواب السؤال السابق إنما يفيد من يكون مؤمناً بنبوة محمد ﷺ ورسالته، أما غيرهم فما نقول لهم؟!

ج: / أقول هناك دليل لغوي: يقول العلامة الجليل الشيخ محمد عبده: لم يستعمل لفظ الغرانيق في الآلهة أبداً لا في اللغة ولا في الشعر العربي.

و«غرنيق» و«غرنيق» اللذان جاءا في اللغة استعملا في نوع من طيور الماء أو الشاب الجميل، ولا ينطبق أيُّ واحد من هذه المعاني على الآلهة.

ولو سلمنا بالمعنى وإن النص التاريجي يقول إن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة، وكبار قريش وأكثراً منهم من عمالقة الكلام، وأبطال الفصاحة والبلاغة العربية حضور في المسجد منهم الوليد بن المغيرة، متكلم العرب منطيقها المفوء المعروف بينهم بالذكاء وحصافة العقل والنباهة، وقد سمعوا جميعاً هذه السورة إلى ختامها حيث سجد الجميع بسجدة لها.

فكيف اكتفى هذا الجمع المؤسس للفصاحة والبلاغة الذين كانوا ينقدون كل ما يعرض عليهم نقداً دقيقاً؟

كيف اكتفوا بتبنيك الجملتين اللتين امتدحتا آهتم ، وقد تضمنت الآيات السابقة عليها ، واللاحقة لها على شتم آهتم وتفنيدها ، والازدراء بها بصورة صارخة وصربيحة؟!

ثم هل يسمح إنسان عادي لنفسه أن يكفل عن معاداة نبى هاجم عقائده طيلة عشرة أعوام ، وهدر استقلاله وكيانه ، وجرأ عليه الشقاء بتسفيه أحلامه ، وشتم آهته ، لعبارات متناقضه وكلام خليط من الذم الكبير والمدح العابر . والآيات هي :

﴿أَفَرَبِّيْمُ اللَّهُتَ وَالْعَزِيْزِ ﴿٢٦﴾ وَمَنْزَهَ أَكَائِنَةَ الْأَخْرَىٰ ﴿٢٧﴾ [مكان الجملتين المزعومتين : تلك الغرانيق ... إلى آخرها] ... ﴿أَكْلُمُ الدَّكْرَ وَلَهُ الْأَثْقَىٰ ﴿٢٨﴾ تِلْكَ إِذَا فَتَسَهَّلَ ضَيْرَىٰ ﴿٢٩﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَيَّئَمُونَهَا أَنْشَ وَأَبَاوْفَكْرُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾ .

س ٢٥٤ - س ٢٥٥٧ : / ما هي قصة حصار المسلمين في شعب أبي طالب؟ ولماذا حدث هذا الحصار؟!

ج : / لقد شقّ على قريش انتشار الإسلام المتزايد وأزعجها نفوذه العجيب في القبائل العربية في مدة غير طويلة بالنسبة إلى عمر الدعوة وهذا كانت تفكير باستمرار في حلّ هذه المشكلة .

فإن إسلام شخصيات ذات أهمية ومكانة كبرى مثل حنزة ، وكذا رغبة فتية قريش المفتتحين في الإسلام ، وحرية العمل والتحرك ، التي

اكتسبها المسلمون على أثر الهجرة إلى أرض الحبشة، كل ذلك زاد من حيرة، واضطربت الزعامة الباشالية في مكة، التي زادها حيرة، وانزعاجاً، فشل جميع مخططاتها الإجهاضية ضد الإسلام والمسلمين، وعدم حصولها على أية نتائج تذكر !!

من هنا فكرت في خطة جديدة، وهي أن تفرض حصاراً اقتصادياً قوياً على النبي ﷺ وال المسلمين تقطع به كل الشرايين الحيوية للمسلمين، وبذلك تحدّ من سرعة انتشار الإسلام وتوقف دون نفوذه، وبالتالي تخنق بين كثافة هذا الحصار مؤسس هذه العقيدة التوحيدية، وأنصاره.

ولهذا اجتمع زعماء قريش في دار الندوة ووقعوا ميثاقاً كتبه منصور بن عكرمة وعلقوه في جوف الكعبة، وتحالفوا بأن تلتزم قريش ببنوده حتى الموت.

ونصّ هذا العقد على الأمور التالية:

١ - أن لا يتعاونوا من أنصار النبي ﷺ ولا يبيعوهم شيئاً.

٢ - أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوه.

٣ - أن لا يؤكلوهم ولا يكلّموهم.

٤ - أن يكونوا يداً واحدة على محمد وأنصاره.

وقد وقعت على هذه الصحيفة الظالمه القاطعة كلُّ الشخصيات

البارزة في قريش إلا مطعم بن عدي وأعلنت عن سريان مفعوله بكل قوة وإصرار.

س ٢٥٦: / ما كان موقف أبي طالب من هذا الحصار؟!

ج: / لما علم حامي النبي الأكبر أبو طالب عليه السلام بذلك جع بني هاشم وبني المطلب وحليهم مسؤولية الدفاع عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم والحفاظ على حياته وسلامته، وأمرهم بالخروج من مكة وبدخول شعب كائن بين جبال مكة كان يعرف بشعب أبي طالب فيه بعض البيوت العادية، والسكنى البسيطة جداً والسكنى في ذلك الشعب بعيداً عن المجتمع المكي المشرك.

وعمد إلى بث رجال منهم في نقاط مرتفعة للمراقبة والحراسة تحسباً لأي هجوم مباغت تقوُّم به قريش.

وقيل عندما عرف أبو طالب بأمرها أنشد قصيدة في ذمهم مطلعها: **أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّداً نَبِيًّا كَمُوسِي خُطَّ** في أول الكتب

س ٢٥٧: / متى كتبت هذه الصحيفة الظالمة؟!

ج: / كانت في الليلة الأولى من السنة السابعة للبعثة.

س ٢٥٨: / كم استمر هذا الحصار؟!

ج: / استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة. حتى أن مسألة انتهاء

المحاصرة الاقتصادية قد وقعت في منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة الشريفة.

س ٢٥٩ : / كيف كان وضع المحاصرين من بني هاشم وغيرهم في الشعب بصورة مختصرة؟!

ج : / بلغ الجهدُ بالمحاصرين في الشعب بحيث ارتفع صرخ الأطفال من الجوع والضر، وبلغت هذه الصرخات مسامع قيادة مكة إلا أنها لم تؤثر فيهم قط.

كان الشباب والرجال منهم يعيشون على تمرة واحدة طوال اليوم، وربما تناصف اثنان تمرة واحدة، ولم يمكنهم الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث إلا في الأشهر الحرم حيث يسود الأمن كل أنحاء الجزيرة العربية.

إذا حلَّ الموسمُ كانت بُنُو هاشم تخرج من الشعب فيشترون ويبيعون ثم يعودون إلى الشعب إلى الموسم الثاني. وكان النبي ﷺ يستغلَّ هو أيضاً تلك الم occas في نشر دينه، والدعوة إلى ما أُتي به.

لقد بلغ الجهد والجوع بالمحاصرين في الشعب حدّاً جعلهم يأكلون كل ما تقع عليه أيديهم من الخبط وورق السمر حتى أن سعد بن أبي وقاص يقول: لقد جمعت حتى أني وطئْ ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلغته، وما أدرى ما هو إلى الآن.

س ٢٦٠: / كيف كان فعل قريش في تلك الفترة - فترة الحصارة - مع النبي ﷺ وأنصاره؟!

ج: / كانت عناصر قريش تحاول مضايقة النبي وأنصاره وتمارس الحصار الاقتصادي عليهم بشكل من الأشكال حتى في هذه المواسم - الأشهر الحرم -، فكانوا يخضرون عند موقع البيع والشراء فإذا وجدوا مسلماً يريد أن يبتاع شيئاً اشتراه بثمن أغلى ليمنعوا المسلم منه !!

وكان أبو هب أكثر الناس إصراراً على هذا العمل ، فقد كان ينادي في الأسواق: يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركونكم شيئاً فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع الرجل المسلم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به ، ويغدو التجار على أبي هب فيرجحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس .

وكان الوليد بن المغيرة ينادي: أئمـا رـجـلـهـمـ وـجـدـتـوهـ عـنـ طـعـامـ يـشـتـريـهـ فـزـيـدـواـ عـلـيـهـ فـكـانـتـ قـرـيـشـ تـبـاـكـرـهـ إـلـىـ الـأـسـوـاقـ فـيـشـتـرـوـنـهـ فـيـغـلـونـهـ عـلـيـهـمـ .

هـذـاـ وـقـدـ ثـبـتـ قـرـيـشـ جـوـاسـيـسـهـاـ عـلـىـ الطـرـقـ المـؤـدـيـةـ إـلـىـ الشـعـبـ لـيـمـنـعـوـاـ مـنـ إـيـصـالـ الطـعـامـ إـلـىـ مـنـ فـيـهـ فـلاـ يـصـلـ إـلـيـهـمـ شـيـءـ إـلـاـ سـراـ وـمـسـتـخـفـىـ بـهـ مـمـنـ أـرـادـ صـلـتـهـمـ مـنـ قـرـيـشـ .

وخلاصة القول: أن قريشاً بالغت في تضييق الحصار على رسول الله ﷺ ومن تبعه حتى أن من كان يدخل مكة من العرب، كان لا يجسر على أن يبيع من بني هاشم شيئاً ومن باع منهم شيئاً انتهوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط يخرون إلى الطرق التي تدخل مكة فمن رأوه معه ميرة وطعم نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويخذرون إن باع شيئاً منهم نهبوه ماله، كما وعدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهם واشتد البلاء عليهم، وأبدت قريش لبني عبد المطلب الجفاء.

س ٢٦١: / ذكرتم في جوابكم للسؤال السابق أنه كانت تصل بعض الأطعمة إلى بني هاشم سراً فهل يمكنكم توضيح ذلك لنا؟!

ج: / نعم، روي أن «حكيم بن حزام بن خويلد» - ابن أخ خديجة - و«أبو العاص بن الربيع» و«هشام بن عمرو» كانوا يسرّبون إلى بني هاشم في الشعب سراً وفي أواسط الليل تحت جنح الظلام، فكان الواحد منهم يحمل قمحاً وغراً على بعير ويأتي به إلى باب الشعب ثم يصيّ بها فتدخل الشعب ويأكله بنو هاشم. وربما صادفهم بعض جواسيس قريش، فهمّوا بقتله، أو سبّوا له بعض المتابع.

فقد روي أن حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً إلى عمه خديجة بنت خويلد «زوجة رسول الله ﷺ» وكانت معه في الشعب طيلة أيام الحصار إذ لقيه أبو جهل فقال له: تذهب بالطعام

إلى بني هاشم؟ والله لا تربح أنت ولا طعامك حتى أفضحك عند قريش
بمكة.

فقال له أبو البختري - وكان من أعداء الإسلام هو أيضاً - : تمنعه
أن يرسل إلى عمه بطعام كان لها عنده؟ فأبي أبو جهل أن يدعه إلا أن
يأخذه إلى قريش ، فقام إليه أبو البختري بسوق بعير فضربه ووطأه
شدیداً.

س ٢٦٢ - س ٢٦٣ : / ما فعلت صرخاتُ أطفال بني هاشم في
نفوس المشركين المؤيدين للحصار؟! وما هي قصة الإرضاة؟!

ج : / لقد تركت صرخاتُ أطفال بني هاشم في الشعب من الجوع
والعرى والجهد والضر ، وأوضاعهم المأساوية أثرها في نفوس بعض
المشركين الموقعين على تلك الصحيفة الظالمة ، وذلك الميثاق المشؤوم ،
فنندموا على إيمانهم لتلك المقاطعة بشدة وصاروا يفكرون في نقضها
بشكل من الأشكال .

فمشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبي أمية «وكان من أحفاد عبد
المطلب من جانب بناته» وقال له وهو يجده على نقض الصحيفة : يا
زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ،
وأحوالك حيث قد علمت لا يُباعون ولا يُبتاعون ، ولا يُنكحون
ولا يُنكح إليهم؟

أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم «أبي جهل» ثم دعوته إلى ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً؟

فقال زهير: ويحك يا هشام فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقدمت في نقضها حتى أنقضها.

قال: وجدت رجلاً.

قال: فمن هو؟ قال: أنا.

قال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثاً. فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان منبني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك، موافق لقرיש فيه! أما والله لئن أمكتتموهم من هذه لتجدهم إليها منكم سراعاً؟

قال: ويحك! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانية. قال: من هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثاً. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعاً. فذهب إلى البخاري بن هشام فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟

قال: نعم، قال: من هو؟، قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك.

قال: أبغنا خامساً.

فذهب إلى زمعة بن الأسد بن المطلب فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقّهم فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟

قال: نعم... ثم سئى له القوم الذين وعده بالمساعدة على نقض تلك الصحيفة. فلما أصبحوا غدو إلى مجلس قريش في المسجد الحرام فأقبل زهير بن أبي أمية على الناس وقال: يا أهل مكة أناكل الطعام ونلبس الشاب، وبين هاشم هلكي لا يُباع لهم ولا يُباعُ منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تُشق.

فانتصر زمعة لزهير وردّ على أبي جهل قائلاً: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حيث كتبت.

وقال أبو البخري من ناحية مؤيداً موقف زميله: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقرّ به.

وقال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبراً إلى الله منها، وممّا كتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك.

فأحسن أبو جهل بأنّ ذلك كان أمراً ميئاً مدبراً من قبل فقال: هذا أمرٌ قضيَّ بليل، شُعور فيه بغير هذا المكان.

قصة الأرضة: وفجأة نزل ملك الوحي جبرائيل على رسول الله ﷺ في الشعب، وأخبره بأن الله قد بعث على صحيفتي المشركين القاطعة دابة

الأرض فلحسنت أو أكلت جميع ما فيها من قطعية وظلم وتركت جلة «باسمك اللهم» فأخبر رسول الله أبا طالب بذلك قائلاً يا عم إنَّ ربي الله قد سلط الإرضاة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسمًا هو الله إلا أثبتهُ فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان.

فقال أبو طالب: إذن لا يدخلُ عليك أحدٌ.

ثم قام ولبس ثيابه، ومشى هو ورسول الله وشخص آخر حتى دخلوا المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه، فلما دنا أبو طالب منهم قاموا إليه وعظموه وتبشروا وظنوا أن الحصر والبلاء حل أبا طالب على التخلّي عن موقفه، فقالوا له: قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم «أو قد آن لك أن تسلم إلينا ابن أخيك».

فقال أبو طالب: والله ما جئت لهذا، ولكنَّ ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أنَّ الله تعالى أخبره أنه بعث على صحيفتكم القاطعة دابة فلحسنت جميع ما فيها من قطعية رحم وظلم وجور وترك اسم الله، فهلم صحيفتكم فإن كان حقاً فاتقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم والجور وقطعية الرَّحْم.

وإن كان باطلًا دفعته إليكم فإن شئتم قتلتمنوه، وإن شئتم استعييتموه.

قالوا: رضينا، وتعاقدوا على ذلك.

ثم بعثوا إلى الصحيفة وأنزلوها من الكعبة - وقيل أحضروها من أم جلاس - وعليها أربعون خاتماً. فلما أتوا بها نظر كلُّ رجل منهم إلى خاتمه، ثم فكوهَا فإذا ليس فيها حرفٌ واحدٌ إلَّا «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» كما أخبرهم بذلك رسول الله ﷺ.

ثم إن المطعم بن عدي مزق الصحيفة وقال: إننا نبراً من هذه الصحيفة الظالمة.

إذ ذاك قفل أبو طالب عائداً إلى الشعب، وفي اليوم التالي توجه الرجال الخمسة إلى الشعب يصحبهم رهط من قريش، وعادوا ببني هاشم إلى مكَّة وأقرّوهم في بيوتهم.

س ٢٦٤: / ذكرتم في جواب السؤال السابق في قصة الإرضة أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ: «إذن لا يدخلُ عليك أحدٌ». فما المراد من ذلك الإجراء؟!

ج: / إنما اتخذ مثل هذا الإجراء حتى لا يفشوا بذلك الخبر فيبلغ المشركون فيما تأثروا للصحيفة، ويكتذبوا بذلك خبر النبي ﷺ.

س ٢٦٥: / بعد حصول هذه المعجزة - قصة الإرضة - وخروج رسول الله ﷺ من الشعب، كيف كان المشركون معه؟!

ج: / إن المشركون أصرّوا ما وسعهم على خصامه، وسعوا جهدهم في أذيته بنمو لا يتسع له المقام.

س ٢٦٦ : / هل يمكنكم ذكر لحة من تضحيات ودفاع أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ !؟

ج : / نعم، اجتمع أسياد قريش وأشرافها في بيت أبي طالب والنبي ﷺ حاضر، وتبودلت بين الجانبين أحاديث حول رسول الله ﷺ ودينه وما خلق من مشكلات في مكة، وحاول القرشيون أثناء النبي عن دعوته وعمله ولكن دون جدوى فلما يشوا من الحصول على النتيجة التي كانوا يريدونها نهضوا من مكانهم ليتركوا بيت أبي طالب، قال عقبة بن أبي معيط غاضباً مهدداً : لا نعود إليه أبداً، وما خير من أن نغتال محمدأ !!

فغضب أبو طالب من هذه الكلمة، ولكنه ماذا عساه أن يفعل فهم ضيوفه، وفي بيته .

واتفق أن خرج النبي ﷺ من البيت في ذلك اليوم ولم يعد، وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب، ثم قال وهو يظن أن قريشاً كادت برسول الله ﷺ : ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم، فليجلس إلى عظيم من عظامائهم فيهم ابن الحنظلية - يعني أبو جهل - فإنه لم يغب عن شر إن كان محمد قد قتل، فقال الفتىان : نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبو طالب على تلك الحال فقال : يا زيد أحسست ابن أخي؟ ، قال : نعم كنت معه أنفاً.

فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه.

فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو في بيته عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون فأخبره الخبر، فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي أين كنت؟ أكنتَ في خير؟ قال: نعم.

قال: ادخل بيتك، فدخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح أبو طالب غدى على رسول الله ﷺ فأخذ بيده فوقف على أندية قريش ومعه الفتىان الهاشميون والمطليبيون فقال: يا عشر قريش هل تدرؤن ما همّتُ به؟

قالوا: لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتىان اكتشفوا عما في أيديكم، فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم، فأنكسر القوم وكان أشدّهم انكساراً أبو جهل^(١).

(١) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ١٦٨، الطراف: ص ٨٥.

«الإسراء والمعراج»

س ٢٦٧: / قبل سنة من الإسراء والمعراج ما الذي جرى على رسول الله ﷺ؟

ج: / تزوج رسول الله ﷺ من سُودة بنت زمعة، وهذا هو الزواج الأول له بعد خديجة، إذ لم يتخذ له زوجة أخرى في حياة خديجة.

وفي تلك السنة أيضاً ثُمَّت خطبته لعائشة وكانت إذ ذاك في السادسة، وبنى بها في السنة الأولى للهجرة، وفي تلك السنة أيضاً بدأ دخول الأنصار في الإسلام.

س ٢٦٨: / متى وقعت حادثة الإسراء والمعراج - المعروف -؟

ج: / أعلم أن وقوع المعراج قبل الهجرة متفق عليه، أما إن كان وقوعه في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان أو في الحادية والعشرين منه، لستة شهر قبل الهجرة، أم في شهر ربيع الأول لستينين بعدبعثة نبيكم صلى الله عليه وسلم فقد ادعى البعض أنها وقعت في السنة العاشرة منبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وذهب البعض أنها وقعت في السنة الثانية عشر منبعثة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

وذهب آخرون إلى أنها وقعت في أوائلبعثة، بينما قال فريق رابع: أنها وقعت في أواسطها.

وربما يقال في الجمع بين هذه الأقوال: أنه كان لرسول الله ﷺ معارج متعددة.

ولكتنا نعتقد أن المراجـاج الذي فرضتـ فيـ الصلاـة وقـعت بـعـد وـفـاة أبي طالـب رضـيـ اللهـ عـنـهـ فيـ السـنةـ الـعاـشرـةـ قـطـعاـ.

س ٢٦٩: / ما هو دليلكم على أن المراجـاج التي فـرضـتـ فيـها الصلاـة وقـعت بـقـلـ المـحـرـجـةـ بـسـنـوـاتـ، بـيـنـ لـذـكـ بـوـقـائـعـ تـؤـيدـ قولـكـ؟!

ج: / وذلك لأنـ من مـسـلـمـاتـ الحـدـيـثـ وـالتـارـيـخـ أنـ اللهـ تعـالـىـ أمرـ بيـتهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ فيـ لـيـلـةـ المـراجـاجـ أـنـ تـصـلـيـ أـمـةـ رـسـوـلـ اللهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ كلـ يومـ وـلـيـلـةـ خـمـسـ صـلـواتـ.

كما أنه يستفاد من ثنايا التاريخ أن الصلاة لم تفرض مادام أبو طالـب رضـيـ اللهـ عـنـهـ على قـيدـ الـحـيـاـةـ بلـ فـرـضـتـ بـعـدـ وـفـاتـهـ، لأنـهـ حـضـرـ عنـهـ سـاعـةـ وـفـاتـهـ - سـراـةـ قـرـيشـ وـأـسـيـادـهـ، وـطـلـبـواـ مـنـهـ أـنـ يـبـتـ لـهـمـ فيـ أمرـ ابنـ أـخـيهـ مـحـمـدـ وـيـمـنـهـ مـنـ فـعـلـهـ، فـيـعـطـونـهـ - فـيـ قـبـالـ ذـكـ - ماـ يـرـيدـ فـقـالـ لـهـمـ رـسـوـلـ اللهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ فيـ ذـكـ المـجـلسـ: «نـعـمـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ تعـطـونـيـهاـ: تـقـولـونـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـتـخلـعـونـ مـاـ تـعـبـدـونـ مـنـ دونـهـ».

لقد طلبـ منـهـمـ هـذـاـ الـأـمـرـ وـلـمـ يـطـلـبـ مـنـهـمـ شـيـئـاـ آخرـ كـالـصـلاـةـ

وغيرها من الفروع أبداً، وهذا هو بنفسه يدلّ على أنه لم تجب الصلاة حتى ذلك اليوم، وإنما كان الإيمان المجرد عن العمل، والصلاحة مفروضة، لافائدة فيه هذا مضافاً إلى أن كتاب السيرة ذكرها كيفية إسلام جماعة مثل «الطفيل بن عمرو الدوسي» الذي أسلم قبل الهجرة بأعوام كثيرة ﷺ بالشهادتين، ولم يجر أي حديث عن الصلاة أبداً... .

س ٢٧٠ : / لماذا لم نقل أن المراجعة وقع قبل السنة العاشرة منبعثة؟!

ج : / هذا خطأ كبير لأن النبي ﷺ كان محصوراً في شعب أبي طالب منذ السنة الثامنة وحتى السنة العاشرة، ولم يكن وضع المسلمين ليسمح بفرض تكليف زائد (مثل الصلاة) عليهم.

وأما سنوات ما قبل الحصار فعلاوة على ضغوط قريش على المسلمين والتي كانت هي بنفسها مانعاً من فرض الصلاة على المسلمين، كان المسلمون قلةً معدودين، ولم يكن نور الإيمان، وأصول الإسلام، قد ترسخت في قلوب ذلك العدد القليل بشكل قوي بعد، ولذلك يكون من المستبعد أن يكلفوها بأمر زائد مثل الصلاة في مثل ذلك الظرف... .

س ٢٧١ : / لقد ورد في بعض الأخبار والروايات من أن الإمام

عليه صلّى مع رسول الله قبلبعثة بثلاث سنوات واستمر على ذلك بعدها أيضاً، فما هو رأيكم بذلك؟

ج: / ليس المراد منها الصلوات المحدودة المؤقتة بوقت، المشروطة بشروط خاصة، بل كانت تلك الصلوات عبارة عن عبادة خاصة غير محدودة، أو كان المراد منها الصلوات المندوبة والعبادات غير الواجبة.

ومن أراد أكثر في معرفة تاريخ وجوب الوضوء والصلاحة والأذان فليراجع «الكافي» ج ٣، ص ٤٨٢ - ٤٨٩.

س ٢٧٢: / من أين بدأت هذه الرحلة؟!

ج: / أن هناك اختلافاً في مكان الإسراء وهل كان بيت أم هاني، أم شعب أبي طالب، أم المسجد الحرام؟، والحق تعالى يقول: ﴿شَبَّحَنَ الَّذِي أَسْرَى إِبْرَاهِيمَ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَّكَ حَوْلَهُ لِرُبِّيْرٍ مِنْ مَا يَنْتَنِي إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء/١].

والصحيح ببدأت من بيت أم هاني ابنة أبي طالب، فإن الآية صرحت بأنها تمت من المسجد الحرام، ولعل هذا لأنَّ العرب كانت تعتبر كل مكة حرمًا إلهيًّا، ومن هنا كان كل مكان من مكة يتمتع عندهم بحكم الحرم والمسجد الحرام، فيكون المراد بالمسجد الحرام هنا مكَّة، ومكَّة والحرم كلها مسجد، فصحَّ أن يقول: «من المسجد الحرام».

س ٢٧٣ : / لو لاحظنا الآية الشريفة نجدتها تبين لنا الإسراء فقط
فليس للمراجعة ذكر، فما تقولون في ذلك؟!

ج : / أقول ذلك لا ينافي أن يكون للنبي ﷺ رحلة أخرى إلى العالم العلوي لأن هذه الآية تبين فقط قسمًا من هذه الرحلة، وأما القسم الآخر من برنامج هذه الرحلة فتتعرض لذكره آيات في مطلع سورة النجم (١٢ - ١٨) قال تعالى : ﴿أَقْبَرُواْنِي عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١٧) وَلَقَدْ رَأَاهُ تَرَاهُ أَخْرَىٰ (١٨) ﴿عِنْدَ سَدَرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٩) ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَلَوَىٰ﴾ (٢٠) إِذْ يَقْتَنِي السَّدَرَةُ مَا يَقْتَنِي (٢١) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا كَفَىٰ (٢٢) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ إِيمَانِ رَبِّهِ الْكَبُورَ (٢٣) .

س ٢٧٤ - س ٢٧٥ : / هل كان عروجه ﷺ بالبدن والروح أو بالروح فقط؟ وهل كان في البقظة أو في المنام - أي كان رؤيا -؟

ج : / أقول : إن النبي ﷺ عرج بجسمه وروحه معاً، لا بالروح فقط، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿يَعْبُدُونَ﴾ الذي يستعمل في «الجسم والروح معاً» ولو كان المراجعة بالروح فقط لزم أن يقوله بروحه ولو كان في المنام والرؤيا لما كان لتكتذيب قريش وانزعاجها واستنكارها معنى، إذ لا موجب للنزاع لو كان ﷺ يقول : إني فعلت تلك الأمور، ورأيت كل تلك المشاهد في الرؤيا والمنام، إذ هو على كل حال رؤيا، وكل شيء - حتى الأمور المحالة أو المستبعدة جداً - ممكن في عالم الرؤيا .

إذن العروج كان في اليقظة لا في المنام والرؤيا وكان في الجسم والروح معاً . . .

س ٢٧٦ : ما هو المراد من المعراج الروحاني؟!

ج : / المقصود منه هو التدبر في مخلوقات الله ومصنوعاته، ومشاهدة جلاله وجماله والاستغراق في ذكر الحق ، والتفكير فيه، وبالتالي التخلص من القيود والأغلال المادية ، والعلاقة الدنيوية ، والعبور من المراتب الإمكانية في المراحل الباطنية والقلبية التي يحصل بعد طيئها نوعٌ من القرب الخاص الذي لا يمكن وصفه .

وإذا كان المعراج الروحاني هو التفكير والتدبر . . . فلا يكون ذلك من خصائص النبي ﷺ على حين أن القرآن الكريم يعتبر المعراج من خصائص رسول الله ﷺ ويدركه على أنه نوع من الامتياز الخاص به ﷺ .

س ٢٧٧ : هل كان المعراج دفعة واحدة أو اثنتين أو أكثر؟!

ج : يظهر من الأحاديث المعتبرة أنه وقع على دفعات ، ويمكن حل الاختلاف في أحاديث المعراج على هذا ، ويرى العلماء عن الإمام الصادق عـ أن الله سبحانه وتعالى رفع النبي ﷺ إلى السماء مئة وعشرين مرة ، وكان في كل مرّة يؤكد عليه ويوصيه لولاية أمير المؤمنين عـ وإمامته مع سائر الأئمة الأطهار عـ ، زيادة عن سائر الفرائض .

س ٢٧٨ : / كيف كانت هذه الرحلة بصورة مجملة؟! . . .

ج : / مضى ﷺ ليستريح بعد أن صلى صلاة العتمة، ولكنه فجأةً سمع صوتاً مألوفاً مأносوا له، وكان ذلك هو صوت أمين الوحي جبرئيل وهو يخبره بأن أمامه الليلة سفراً بعيداً ورحلة طويلة، وأنه سيرافقه في هذه الرحلة إلى مختلف نقاط الكون، وسيسافر على متن دابة فضائية تدعى البراق.

لقد بدأ رسول الله ﷺ رحلته الفضائية العظيمة من بيت أخت علي بن أبي طالب «أم هاني»، وتوجه على متن تلك الدابة إلى بيت المقدس في الأردن وفلسطين والذي يسمى المسجد الأقصى أيضاً، وهبط في تلك النقطة بعد مدة قصيرة جداً، وزار مواضع عديدة من ذلك المسجد، وتفقد بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح ومنازل الأنبياء وأثارهم ومحاريبهم، وصلّى عند كل محراب من بعض تلك المحاريب ركعتين . . . ثم بدأ بعد ذلك القسم الثاني من رحلته، حيث عرج من ذلك إلى السماوات العلي، وشاهد النجوم والكواكب، واطلع على نظام العالم العلوي، وتحدث مع أرواح الأنبياء، والملائكة السماوين، واطلع، على مراكز الرحمة والعذاب «الجنة والنار» ورأى درجات أهل الجنة، وأشباح أهل النار عن كثب، وبالتالي تعرف على أسرار الوجود، ورموز الطبيعة، ووقف على سعة الكون، وأثار القدرة الإلهية المطلقة، ثم واصل رحلته حتى بلغ إلى سدرة المنتهى ، فوجدها مسريلة بالعظمة المتناهية والخلال العظيم وعندها انتهى برنامج رحلته ﷺ، فأمر بأن

يعود من حيث أتي، فعاد عليه السلام ومرّ في عودته على بيت المقدس ثانية، ثم توجه منه إلى مكة، ومرّ خلال الطريق على قافلة تجارية لقريش وقد ضلّ بعير لهم في اليداء وكانوا يبحثون عنه، ثم وجد في رحلتهم قعباً مملوءاً من الماء فشرب منه وصبّ بقيته على الأرض أوغطاه كما كان بناء على رواية. وترجل عن مركبته الفضائية العجيبة في بيت أم هاني قبيل طلوع الفجر، وأخبرها بالخبر قبل أي أحد، ثم كشف عن هذا الحادث في أندية قريش صباح نفس تلك الليلة.

س ٢٧٩ - س ٢٨٠ : / ما كان موقف قريش من هذه الرحلة؟ وما جرى بينهم وبينه عليه السلام؟!

ج: / استبعد السامعون قصة المعراج والحركة السريعة هذه، واعتبروه أمراً محالاً وأنكرته، وفشا هذا الخبر في جميع الأوساط وغضب بسببه أشراف قريش وساداتهم أكثر من غيرهم.

وكانوا ينادون قريش إلى تكذيب هذه القصة وقالوا: هذا والله الأمر البين «العجب المنكر» والله إن العير لنطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة، وشهرًا مقبلة، أفيذهب ذلك محمدًا في ليلة واحدة؟ وقالوا: إن صدقت فصف لنا بيت المقدس ، فإن فينا من شاهده.

فلم يصف لهم رسول الله عليه السلام بيت المقدس فحسب بل أخبرهم بكل ما مرّ به وفعله ورأه في طريق عودته من بيت المقدس إلى مكة وقال: وآية

ذلك أتى مررت على بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، وقد ضلّ لهم بعير وقد همّوا في طلبه، وشربت من ماء في آية لهم مغطاة بقطاء وثم غطّيت عليها كما كان، ثم مررت على بعير فلان وقد نفرت لهم ناقة وانكسرت يدها.

قالت قريش: أخبرنا عن عير قريش؟ ! .

قال ﷺ: إنها الآن في التنعيم «وهو مبدأ الحرم» يتقدمها جملة أورق «أبيض مائل إلى السوداء» عليه غاراتان وستدخل الآن مكة.

فغضبت قريش من هذه الأخبار القاطعة وقالت: سنعلم الآن صدقه أو كذبه .

ثم لم تمض لحظات إلا وطلعت العبر عليهم، وحدّثهم أبو سفيان بكل ما أخبرهم به رسول الله ﷺ من ضياع بعير لهم في الطريق وهم في طلبه، وأنهم وضعوا ماء مملوءة فغطوه ولما رجعوا وجدوه مغطى كما غطوه ولكن لم يجدوا فيه ماء .

هذه هي الخلاصة ومن أراد الأكثير فليراجع «بحار الأنوار» ج ١٨ ، ٤١٠ - ٢٨٣ .

س ٢٨١: / ما كان الغرض من المراج؟ !

ج: / لقد بينت الأحاديث - بعد الآيات - الغرض من المراج

وإليك طائفة من هذه الأحاديث:

١ - يقول ثابت بن دينار سألت الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى الله عن ذلك.

قلت: فلم أسرى بنيه محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى السماء؟

قال: ليريه ملوك السموات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه^(١).

٢ - قال يونس بن عبد الرحمن: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: لأي علة عرج الله بنيه إلى السماء ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور وخطبه ونجاجه هناك والله لا يوصف بمكان؟

فقال عليه السلام: إن الله لا يُوصف بمكان ولا يُجري عليه زمان، ولكنه عز وجل أراد أن يُشرف به ملائكته، وسكان سمواته، ويكرّمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هُبوطه، وليس ذلك على ما يَقُولُه المشبهون سبحانه الله وتعالى عَمَّا يصفون^(٢).

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ٥٥.

(٢) علل الشرائع: ج ١، ص ٥٥.

«بعد وفاة»
«أبي طالب ؓ»

س ٢٨٢: / ماذا حدث للنبي ﷺ بعد وفاة أبي طالب - أي ما فعله قريش به -؟!

ج: / لما توفي أبو طالب ؓ نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فثار على رأسه تراباً.

ولما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته - وهي فاطمة ؓ - فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بُنْيَةَ فإنَّ الله مانع أباك.

ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(١)...

(١) إعلام الورى، بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٥.

س ٢٨٣ / ما قصة سفره إلى الطائف بعد وفاة أبي طالب؟ وما هي قصة عداس النصراوي؟!

ج / لأجل تزايد الضغط والكبت هذا قرر النبي ﷺ أن ينتقل من الحيط المكي إلى محيط آخر يتمنى له تبلغ رسالته.

وحيث أنَّ الطائف كانت تعتبر آنذاك مركزاً هاماً، لذلك رأى رسول الله ﷺ أن يسافر لوحده إلى الطائف، ويجري بعض الاتصالات مع زعماء قبيلة ثقيف وساداتها ويعرض دينه عليهم علَّة يحرز نجاحاً ويكسب أنصاراً جديداً لرسالته من هذا الطريق.

ولما اتتهي إلى الطائف عمد إلى نَّفَرٍ من قبيلة ثقيف هم يومنذ سادة ثقيف وأشرافهم، وجلس إليهم، ودعاهم إلى الله، فلم يؤثر فيهم كلام رسول الله ﷺ وقالوا له: لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول لأنَّ أعظم خطرًا من أردَّ عليك الكلام، ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فعرف رسول الله ﷺ من ردِّهم الصياني أنَّهم يحاولون التملُّص من قبول الدعوة واعتناق الإسلام، فقام ﷺ من عندهم بعد أن طلب منهم أن يكتموا ما جرى في هذا اللقاء خشية أن يعرف سفهاءُ ثقيف فيتجرواً عليه ويتخذوا ذلك ذريعة لاستغلال غربته ووحدته، ومن ثم إيذائه، فوعدوه بالكتمان، ولكنهم - وللأسف - لم يحترموا وعدهم هذا الذي أعطوه لرسول الله ﷺ وأغرروه به سفهاءُهم وعيدهم،

وفجأة وجد رسول الله ﷺ نفسه محاطاً بجموع كبير من أولئك السفهاء يسبّونه ويطيحون به حتى اجتمع الناس، وأجلأوا إلى بستان لعنة وشيبة أبني ربيعة وهما فيه في تلك الساعة، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظلِّ فجلس فيه وهو يتصرف عرقاً، وقد ألحقوه الأذى بمواضع عديدة من بدنـه الشريف ورجالـه تسيلان من الدماء، وابنا ربيعة ينظـران إلـيه، ويرـيان ما لـقـي من سـفـهـاء أـهـلـ الطـائـفـ، وقد كان من أثـرـيـاء قـريـشـ، يومـذـ.

فلما اطمأن رسول الله ﷺ توجه إلى ربه وناجاه قائلاً: «اللهمَّ إـلـيـكـ أـشـكـوـ ضـعـفـ قـوـتـيـ، وـقـلـةـ حـيـلـتـيـ، وـهـوـافـيـ عـلـىـ النـاسـ، يـاـ أـرـحـمـ الرـاحـيـنـ، أـنـتـ رـبـ الـمـسـتـضـعـفـيـنـ، وـأـنـتـ رـبـيـ، إـلـىـ مـنـ تـكـلـيـ، إـلـىـ بـعـيـدـ يـتـجـهـمـيـ؟ أـمـ إـلـىـ عـدـوـ مـلـكـتـهـ أـمـرـيـ؟ إـنـ لـمـ يـكـنـ بـكـ عـلـيـ غـضـبـ فـلـاـ أـبـالـيـ، وـلـكـنـ عـاـفـيـتـكـ هـيـ أـوـسـعـ لـيـ. أـعـوـدـ بـنـورـ وـجـهـكـ الـذـيـ أـشـرـقـتـ لـهـ الـظـلـمـاتـ، وـصـلـحـ عـلـيـهـ أـمـرـ الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ مـنـ أـنـ يـنـزـلـ بـيـ غـضـبـكـ، أـوـ يـحـلـ عـلـيـ سـخـطـكـ. لـكـ الـعـتـبـ حـتـىـ تـنـصـ، وـلـاـ حـوـلـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـكـ».

قصة عداس: فلما رأه ابنـا ربيـعةـ عـتـبـةـ وـشـيـبةـ وـكـانـاـ مـنـ الـوـثـنـيـنـ وـمـنـ أـعـدـاءـ الـإـسـلـامـ، وـشـاهـدـواـ مـاـ لـقـيـ لـيـ مـنـ الـأـذـىـ وـالـعـذـابـ، رـقـاـ لـهـ فـدـعـواـ غـلامـاـ لـهـمـاـ نـصـرـانـيـاـ مـنـ أـهـلـ نـينـوـيـ يـقـالـ لـهـ «ـعـدـاسـ» فـقـالـاـ لـهـ: خـذـ قـطـفـاـ مـنـ الـعـنـبـ وـضـعـهـ فـيـ هـذـاـ الطـبـقـ ثـمـ اـذـهـبـ بـهـ إـلـىـ هـذـاـ الرـجـلـ فـقـلـ لـهـ يـأـكـلـ مـنـهـ، فـفـعـلـ عـدـاسـ، ثـمـ أـقـبـلـ بـالـعـنـبـ حـتـىـ وـضـعـهـ بـيـنـ يـدـيـ رـسـولـ

الله ﷺ ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: «بسم الله الرحمن الرحيم». .

فتعجب عداس من ذلك بشدة وقال: والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله ﷺ ومن أهل أي البلاد أنت وما دينك؟
قال: أنا نصراوي، من أهل نينوى.

قال ﷺ: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى.

فقال ﷺ: ذاك أخي كاننبياً وأنانبي، أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى.

فأكَّ عداس على رسول الله ﷺ وقد رأى في كلماته علام الصدق وأيات الحق، وجعل يقبل رأسه ويديه، وقدميه، وهو تسيلان من الدماء، وأمن به، ثم عاد بعد الاستئذان منه إلى صاحبيه في البستان.

فتعجب ابنا ربيعة لما رأياه في غلامهما عداس من الانقلاب الروحي العجيب، وسألاه قائلين: ويلك يا عداس مالك قبلت رأس هذا الرجل، ويديه وقدميه وماذا قال لك؟!

فأجابهما الغلام قائلاً: يا سيدَ ما في الأرض شيءٌ خيرٌ من هذا، هذا رجلٌ صالحٌ لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلاَّنبي.

فشقَّ كلامُ عداسٍ على ابني ربيعة، وقالا له بنبرة الناصح له:
ويحك يا عداس، لا يصرفنك هذا الرجل وعن دينك، فإن دينك خير
من دينه.

س ٢٨٥ : / ما كان يفعل رسول الله ﷺ في مواسم الحج، بينما لنا ذلك بقصة؟!

ج : / كان رسول الله ﷺ يلتقي في مواسم الحج في «عكاظ والجنة وذى المجاز» برؤساء القبائل العربية وأشرافها، ويقف على منازلهم متزلاً متزلاً، ويعرض دينه عليهم، ويدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسلاً. وربما مثى خلفه عمُّه أبو هلب فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا به قال أبو هلب فوراً للناس: يا بني قلان إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا الالات والعزى من أعناقكم، إلى ما جاء به من البدعة والضلال، ولا تطیعوه ولا تسمعوا منه.

القصة: وقد قدمت جماعة من بني عامر إلى مكة فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وعرض عليهم نفسه، فقبلوا أن يعتنقوا الإسلام إلا أنهم اشترطوا عليه أن يكون إليهم خلافته من بعده إذ قالوا: أرأيْت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمرُ من بعدك؟

فقال رسول الله ﷺ: الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء.

رفضوا اعتناق الإسلام والإيمان بالله ورسوله.

ثم لما عادوا إلى أوطانهم رجعوا إلى شيخ لهم طاعن في السن لم يقدر أن يحجّ معهم وكان ذا بصيرة وفهم فحديثه بما جرى بينهم وبين رسول الله عليه السلام وقالوا: جاءنا فتى من قريش من بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه - أي نحْمِيه - ونقوم معه.

فوضع الشيخ بيده على رأسه ووجّههم على رفضهم لدعوة الرسول وقال: يا بني عامر والذي نفس فلان بيده ما تقولوا إسماعيلٌ فقط - أي ما أدعى النبوة كاذباً أحداً من بني إسماعيل - وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم^(١).

س ٢٨٦:/ ماذا تعني القصة في جوابكم للسؤال السابق؟!

ج:/ تعني أن مسألة الخلافة والإمامية بعد رسول الله عليه السلام أمر تنصيصي، تعيني، لا انتخابي، أي أن تعين الخليفة بعد رسول الله عليه السلام يعود إلى الله تعالى، ولا خيار للناس فيه، وإنما عليهم الطاعة والرضا.

س ٢٨٧:/ ما هي علة هجرة الرسول الأكرم عليه السلام إلى يثرب؟!

ج:/ لقد تم بين رسول الله عليه السلام وبين جماعات من أهل يثرب

(١) السيرة النبوية: ج ١، ص ٤٢٤ وص ٤٢٥.

لقاءات واتصالات في السنة الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة منبعثة ومن هذه اللقاءات نذكر :

١ - كان رسول الله ﷺ كلما سمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف تصدى له، ودعاه إلى الإسلام وعرض عليه ما عنده.

وقد قدم مرة سويد بن الصامت فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به دعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي.

فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟!

فقال: مجلة لقمان يعني حكمة لقمان.

فقال رسول الله ﷺ: اعرضها علي فعرضها عليه. فقال له: إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا. قرآن أنزله الله علىّ هو هدى ونور.

ثم تلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام، فقال سويد إن هذا قول حسن وأمن برسول الله ﷺ فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخزرج فيما كان يتلفظ الشهادتين، وكان قتله قبل يوم بعاث.

س ٢٨٨: / ما هي وقعة بعاث؟!

ج: / كانت وقعة بعاث من الحروب التاريخية بين الأوس

والخزرج، ففي هذه الواقعة انتصر الأوسيون على منافسיהם، وأحرقوا نخيل الخزرجيين، ثم وقعت بعد ذلك حروب ومصالحات بينهم.

ولم يشترك عبدالله بن أبي وهو من أشراف الخزرج في هذه الواقعة فكان موضع احترام بينهما، وعندما رغبوا بال和睦 أصرت القبيلتان على عبدالله بن أبي بأن يقبل قيادة عملية الصلح، بل وأعدوا له تاجاً يتوجونه به، حتى يصبح أميراً في وقت معين ولكن هذا المشروع تعرض للانهيار والسقوط وواجهت الفشل على أثر اعتناق جماعة من الخزرج الإسلام، ففي هذا الوقت بالذات التقى رسول الله ﷺ بمكة بستة أشخاص من رجال الخزرج ودعاهم إلى الإسلام فآمنوا به، ولبوا دعوته.

نعم ففي هذه الواقعة هرب الأوسيون إلى نجد، فغيرهم الخزرجيون بذلك، فغضب الحضير سيد الأوس لذلك غضباً شديداً، فطعن فخذه برمحه لشدة ازعاجه وغضبه، وترجل عن فرسه وصاح بقومه قائلاً: والله لا أقوم من مكاني هذا حتى أقتل !! فأوقف صمود الحضير وثباته نار الحمية والغيرة وأشعل روح الشهامة والبسالة في قومه، فقرروا الدفاع عن حقهم مهما كلفهم الأمر، فقاتلوا أعدائهم مستميتين فانتصر الأوسيون المغلوبون، هذه المرة، وهزموا الخزرج هزيمة نكراء وأحرقت مزارعهم ونزل بهم ما نزل على يد الأوسين . . .

وهكذا كانت الحرب بين الأوس والخزرج والخسائر

مستمرة . . .

س ٢٨٩ - س ٢٩٠ : ما هي بيعة العقبة الأولى؟ وكيف ثبتت؟!

ج: خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلّ موسم في بينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الأنصار وكانوا ستة أنفار من الخزرج فقال لهم: أئن موالي اليهود؟ وهل لكم حلف معهم.

قالوا: نعم. قال: أفلأ تجلسون أكلمُكم؟ قالوا: بل.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فأحدثت كلمات النبي ﷺ في نفوسهم أثراً عجيباً، وقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقونكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إننا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك.

لقد أثرت دعوة هؤلاء الستة، الجادة في يثرب تأثيراً حسناً حيث سبّبت في إسلام فريق من أهل يثرب واعتناقهم عقيدة التوحيد.

فلما كان العام الم قبل «أي السنة الثانية عشرة منبعثة» قدم مكة اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب، فلقوه رسول الله ﷺ بالعقبة، وانعقدت هناك أول بيعة إسلامية.

وأبرز هؤلاء الرجال هُم: أسعد بن زرارة، وعبادة بن الصامت، وكان نص هذه البيعة - بعد الاعتراف - بالإسلام والإيمان بالله ورسوله هو:

«بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِي، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِ بِبَهْتَانٍ نُفْرِيَهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ».

فقال لهم رسول الله ﷺ: «إِنْ وَفِيتُمْ، فَلَكُمُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُمْرِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَذَابٌ، وَإِنْ شَاءَ غَفْرًا».

ثم بعد ذلك كتبوا إليه - بعد عودتهم إلى يثرب - أن يرسل لهم من يعلمهم الإسلام والقرآن لنشر الإسلام فبعث لهم «مصعب بن عمر» فكان يسمى المقرئ بالمدينة.

س ٢٩١ - س ٢٩٢: / ما هي بيعة العقبة الثانية؟ وكيف تمت بالتفصيل؟

ج: / لقد أحدث تقدم الإسلام في يثرب هيجاناً كبيراً وشوقاً عجيباً في نفوس المسلمين من أهلها، فكانوا يتظرون بفارغ الصبر حلول موسم الحجّ، ليقدموا مكة، ويلتقوا برسول الله ﷺ عن كثب، ويُظهروا له عن استعدادهم لتقديم ما يطلبُ منهم من خدمة وعملٍ، ولسيطروا توسيع نطاق البيعة من حيث الكم والكيف . . .

وأخيراً حلَّ موسم الحجَّ فخرجت قافلةٌ كبيرةً من أهل يثرب للحجَّ تضم خمسةٌ وعشرين نفراً فيهم ثلثةٌ وسبعين من المسلمين من بينهم امرأتان، والباقي إما راغبون في الإسلام، وإما غير مكترث به، حتى قدموا مكة، والتقوا برسول الله ﷺ فوادعهم بالعقبة للبيعة إذا قال: «موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق».

فلما كانت الليلة (١٣) من شهر ذي الحجة وهي التي وادعهم رسول الله ﷺ فيها باللقاء، ونام الناس حضر رسول الله ﷺ مع عمه العباس بن عبد المطلب قبل الجميع، وخرج المسلمون من رحالم يتسلّلون تسلل القطط مستخفين بعد أن ناموا مع قومهم في رحالم، ومضى ثلث الليل لكي لا يحسّوا بخروجهم، حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة، ولما استقرَّ المجلس بالجميع، كان أول متكلِّم هو: العباس بن عبد المطلب فقال واصفاً منزلة رسول الله ﷺ: «يا عشر الخزرج - وكانت العرب تسمى هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها - إنَّ محمداً مِنَا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، فهو في عزٍّ من قومه، ومنعة في بلده، وإنَّ قد أبى إلا الأخيار إليكم، واللحوق بكم، فإنَّ كنتم ترون أنكم وافقون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممَّن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإنَّ كنتم ترون أنكم مسلمون وخاذلُون بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده».

فقال الحضور: قد سمعنا ما قلت فتكلَّم يا رسول الله ﷺ، فخذ لنفسك ولربك ما أحبيت.

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ، ورَغَبَ في الإسلام ، ثم قال : «أَبَا يُعْكِمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُنِي مَا تَمْنَعُنِي مِنْهُ نِسَاءُكُمْ وَأَبْنَاءُكُمْ» .

فقام البراء بن معروف وأخذ ييد النبي ﷺ وقال : نعم والذى يبعث بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أزْرُنَا فبایعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة «أي السلاح» ورثناها كابراً عن كابر . فدب في الحضور حاس وسرور عظيم وتعالت الأصوات والنداءات من الخزرجيين والتي كانت تعبرأ عن شدة حاسهم ، وسرورهم لهذا الأمر ، وفي هذا الثناء نهض البراء بن معروف وأبو الهيثم بن التيهان وأسعد بن زراة من مواضعهم وبایعوا رسول الله ﷺ ثم بایعه بقية القوم جيئاً .

وقد قال ابن التيهان عند مبايعته : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال «أي اليهود» جبالاً «وعلاقات» وإنما قاطعواها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتَبَسَّمَ رسول الله ﷺ ثم قال : «بِلِ الدَّمِ الدَّمْ ، وَالْحَدْمُ الْحَدْمُ أَحَارِبْ من حاربَتْهُمْ وَأَسَلَمْ مِنْ سَالَمْ» . . .

ثم إن رسول الله ﷺ قال : أَخْرُجُوكُمْ إِلَيْيَّ مِنْكُمْ إِثْنَيْ عَشَرْ نَقِيَّاً لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ .

فأخرجوها منهم إثني عشر نقىياً ، فقال ﷺ لأولئك النقباء : أنتم

على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالات الحواريّن لعيسى ابن مريم وأنا كفيلٌ على قومي «يعني المسلمين» فأبا ياعُكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

قالوا: نعم وبايده على ذلك.

وكان النقباء الذين اختبروا لذلك «٩» من الخزرج و«٣» من الأوس، وبعد أن تمت مراسيم البيعة وعدهم رسول الله ﷺ بأن يهاجر إليهم في الوقت المناسب، ثم ارفض الجمع وعاد القوم إلى رحابهم.

س ٢٩٣ - س ٢٩٤: / ما الذي دعى أهل يثرب الذين كانوا بعيدين عن مركز ظهور الإسلام إلى أن يستجيبوا لنداء الرسول ﷺ وأخذوا بتعاليمه أسرع من المكيين مع ما كان بين المكيين وبين رسول الله ﷺ من القرابة القريبة؟

وكيف تركت تلك اللقاءات المعدودة القصيرة بأهل يثرب آثاراً تفوق الآثار التي تركتها الدعوة الحمدية خلال ثلاثة عشر عاماً في مكة؟!

ج: / هناك أمرين مهمين للجواب عن السؤالين:

الأول: أن أهل يثرب جاوروا اليهود سنتين عديدة وطويلة قبل الإسلام، وكثيراً ما كانوا يتحدثون في مجالسهم وأنديتهم عن النبي العربي الذي يظهر، ويأتي بدین جديد.

حتى أن اليهود كانوا يقولون للوثنيين: إنَّ هذا النبي سيقيم دين اليهود وينشده، ويحيي الوثنية ويقضي عليها بالمرة.

فتركت هذه الكلمات أثراً عجيباً في نفوس أهل يثرب، وهنأت قلوبهم لقبول الدين الذي كان يخبر عنه اليهود ويستظرونه، بحيث عندما التقى الأنصار ستة من أهل المدينة إلى الإيمان برسول الله ﷺ لأول مرة بادروا إلى الإيمان به من غير إبطال وقال بعضهم لبعض: «والله إله النبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه».

الثاني: التعب والإرهاق الذي كان أهل يثرب قد أصيروا به من جراء الحروب الطويلة الدامية فيما بينهم والتي استمرت «١٢٠» عاماً والتي أنهكتهم وكادت أن تذهب بما تبقى منهم وقد مرّنا بشرح وقعة بُعاث في «٢٨٨» من هنا لم تكن كلتا القبيلتين راضيتين على أوضاعهما وكانتا تبحثان عن مخلص مما هما فيه من الحالة السيئة، وهذا وجد الخزرجيون ستة ضالتهم المنشودة عندما التقوا - ولأول مرة - رسول الله ﷺ وسمعوا منه ما سمعوا، فتمتوا أن يضعوا به حدأً لأوضاعهم المتردية إذ قالوا له: عسى أن يجمعهم الله بك فإن جمعهم الله بك فلا رجل أعز منك . . .

كانت هذه هي بعض الأسباب التي دعت اليهود إلى تقبيل الإسلام بشوق ورغبة وحماس.

س ٢٩٥ : / كيف كانت ردود فعل قريش تجاه بيعة العقبة الثانية؟!

ج : / عندما علم كفار قريش بأمر البيعة، ازداد حقدهم وكيدهم، وتنددوا للتشاور، فاجتمع منهم أربعون من كبرائهم في دار الندوة، فاعتراضهم إيليس في هيئة شيخ جليل من نجد، فدخل معهم، وبعد نقاش وتبادل في الآراء استقر رأي جميعهم على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جاداً، ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فيتفرق دمه في القبائل كلها، فلا تقوى عشيرته على حرب قومهم جميعاً، فيفرضون بالعقل «الدية» وتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون عليه.

س ٢٩٦ : / هل هاجر المسلمون في مكة إلى يثرب قبل رسول الله ﷺ !

ج : / نعم، بعد ما تعرضوا للسجن والتعذيب من قبل المشركين فاستأذنا رسول الله ﷺ في الهجرة إلى مكان فاستمهلهم رسول الله ﷺ أياماً ثم قال: لقد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها .

لقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة والالتحاق بالأنصار وقال لهم: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ دَارًا وَإِخْوَانًا تَأْمُنُونَ بِهَا» .

فهاجروا إلى المدينة على الرغم من الصعوبات التي واجهوها بالمنع

من قبل زعماء قريش لكن جميع محاولتهم لم تثمر فقد استطاعت جامعه كبيرة من المسلمين النجاة بنفسها من أيديهم واللحاق بأخوانهم في يثرب حتى أنه لم يبق في مكة من المسلمين إلا عدد قليل من مرضى ومسجونين ورسول الله وعلي وأبو بكر (عليهما الصلاة والسلام).

س ٢٩٧: ما هي قصة غار ثور؟ وكم بقي رسول الله فيه؟!
ج: إن ما هو مسلم به هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمضى هو وأبو بكر ليلة الهجرة وليلتين آخرين بعدها في غار ثور الذي يقع في جنوب مكة في النقطة الحاذية للمدينة المنورة.

وليس من الواضح كيف تمت هذه المصاحبة والمرافقه ولماذا، فإن هذه المسألة من القضايا التاريخية الغامضة.

إن البعض يعتقد بأن هذه المصاحبة كانت بالصدفة، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر في الطريق، فاصطحبه معه إلى غار ثور.

وروى فريق آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب في نفس الليلة إلى بيت أبي بكر، ثم خرجا معاً في منتصف الليل إلى غار ثور.

وقال فريق ثالث: أن أبو بكر جاء هو بنفسه يريد النبي و كان قد خرج من قبل فأرشده علي إلى خباء النبي ...

فلبى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور ثلاثة أيام، وفي الرابع توجه إلى المدينة ...

س ٢٩٨: / هل وصل المشركون إلى غار ثور؟! وكم بقي بحثهم عن الرسول ﷺ؟!

ج: / نعم، عندما تصدت مجموعة لتابع أثر قدم النبي ﷺ ورفيقه، وكان الذي يقفوا لهم الأثر يدعى أبو مكرز فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ فقال هذه قدم محمد، فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد ومن معه هذا المكان إما أن يكونوا صعدا إلى السماء، أو دخلوا تحت الأرض، فإن بباب هذا الغار - كما ترون عليه - نسج العنكبوت والقبحة حاضنة على بيتها بباب الغار، فلم يدخلوا الغار.

ولقد استمرت هذه المحاولات بحثاً عن النبي ﷺ ثلاثة أيام بلياليها ولكن دون جدوى، فلما يش القوم بعد ثلاثة أيام من السعي تركوا التفتيش وكفوا عن الملاحقة.

س ٢٩٩: / خلال هذه الأيام الثلاثة في غار ثور هل كان رسول الله ﷺ يلتقي بعليؑ أم لا؟!

ج: / نعم كان يلتقي به، يقول الشيخ الطوسي في أماليه: عندما دخل عليؑ وهند على رسول الله ﷺ في الغار «بعد ليلة الهجرة» أمر رسول الله ﷺ علينا أن يبتاع بعيرين له ولصاحبه، فقال أبو بكر: قد كنتُ أعددت لي ذلك يا نبي الله راحلتين نرتحلهما إلى يثرب.

فقال رسول الله ﷺ: إني لا آخذها ولا أحدهما إلا بالشمن. ثم أمر عليهما السلام فدفع إليه ثمن البعيرين^(١).

وكان من جملة وصايا رسول الله ﷺ لعلي عليهما السلام في الغار في تلك الليلة أن يؤدي أمانته على أعين الناس ظاهراً وذلك بأن يقيم صارخاً بالأبشع غدوة وعشياً: إلا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤدي إليه أمانته. ثم أوصاه بالفواطم [فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير] ومن يريد الهجرة معه من بني هاشم، وأمره بترتيب أمر ترحيلهم معه إلى يثرب وتهيئه ما يحتاجون إليه من زاد وراحلة.

ويقول الحلبـي في سيرته: «وصى رسول الله ﷺ في إحدى الليالي وهو بالغار عليهما محفظ ذمته وأداء أمانته ظاهراً على أعين الناس^(٢).

س ٣٠٠ - س ٣٠١: / متى كانت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة؟ وكيف علم بخطبة المشركين بقتله؟!

ج: / في الليلة الأولى من ربيع الأول كمن المتأمرون حول بيت رسول الله ﷺ محدثين به من كل جانب، ومكثوا يرقبون ريشما يغلب عليه النوم ليهالوا عليه بضرباتهم، لكن الحق تعالى أطلع رسوله على

(١) ج ٢، ص ٨٢.

(٢) ج ٢، ص ٣٥.

مكرهم، ونزل جبرئيل ﷺ بقوله عزّ وجلّ:

﴿وَإِذْ يَنْكُرُ إِلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِتُنْثِرَكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَنْكُرُونَ وَيَنْكُرُ
اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَنَّاكِرِينَ﴾ (٣٦).

س ٣٠٢: / بعد أن أطلع رسول الله ﷺ بمكيدة قريش إليه ما فعل
بعد ذلك؟!

ج: / لقد أتاه الأمر بأن ينام أمير المؤمنين ﷺ في فراشه، وأن
يعادر مكة، فأخبر علياً ﷺ أن المشركين آتون في طلبه الليلة، وأنه أمر
بالرحيل عن مكة إلى غار ثور، وأمر أن يخلفه في فراشه، كي لا يعلم
المشركون برحيله، فسألة ﷺ: وهل ستكتب لك السلام؟ قال:
أجل، قال: حبّاً وكراهة، ثم سجد لله شاكراً، وكانت تلك أو سجدة
شكر في هذه الأمة، ثم رفع رأسه وقال: اذهب أينما أمرت روحي لك
الفداء، ثم احتضنه ﷺ وبكي، ثم استودعه الله، وأخذ جبرئيل بيده،
وخرج به من البيت وهو يقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ
سَكَّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ﴾ [بس/٩].

وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب نثرها عليهم وهو
يقول: شاهت الوجوه.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

ويروى أنه قصد دار أم هانىء، وفي غلس الصبح توجه إلى غار ثور، بينما من ناحية أخرى نام أمير المؤمنين عليه السلام في فراشه بعد أن التحف ببرده، ورغم المتآمرون بالإغارة على البيت ليلاً، غير أنَّ أباً هب - وكان واحداً منهم - أشار عليهم بالتراث إلى الصباح وقال لهم: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإنَّ في الدار صبياناً ونساء من بني هاشم، ولا نأمن أن تقع يدُّ خاطئة، فتحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه. وربما يقال أن علة التأخير هي أنهم أرادوا أن يقتلوا رسول الله صلوات الله عليه وسلم عند الصباح أمام أعين بني هاشم حتى يروا أن قاتله جماعة وليس واحداً . . .

فلما تقاطروا إلى البيت عند الصبح وقف لهم أمير المؤمنين عليه السلام زاعقاً بهم وقال لهم في متنهى الطمأنينة والشجاعة: ما شأنكم؟ وماذا تريدون؟؟

فقالوا له بغضب: أين محمد؟، فقال عليه السلام: أجعلتموني عليه رقبياً؟؟ - وفي رواية أخرى: وهل أودعتموه عندي؟ لقد خرج، فخلوا عنه وانطلقوا يطلبون النبي صلوات الله عليه وسلم. . . وفي هذا الشأن نزل قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَرَى نَفْسَهُ أَبْيَكَاهُ مِنْ حَسَابِ اللَّهِ﴾^(١).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

س٣٠٣: / بعد كل ما جرى - ما ذكرتموه في جواب السؤال السابق - ما كان موقف قريش وما فعلت؟!

ج: / لقد غضب القوم غضباً شديداً، وكاد الغيظ يخنقهم، فقد ندموا على انتظارهم انفجار الصبح وحملوا أبا هلب الذي منعهم من تنفيذ الهجوم على النبي في منتصف الليل فشل الخطة وتفويت الفرصة، فأقبلوا عليه يلومونه ويوبخونه!! أجل لقد انزعجت قريش بشدة لفشل هذه المؤامرة، ووجدوا أنفسهم أمام هزيمة نكراة بدت كلّ أحلامهم، وحيث أنهم كانوا يتصورون بأن النبي ﷺ لا يستطيع الخروج عن حدود مكة في مثل تلك المدة القصيرة فهو إما مختبئ في مكة، أو أنه لا يزال في طريق المدينة، لذلك أقدموا فوراً على العمل على ترتيب أمر ملاحنته والقبض عليه فقد بادرت إلى بث العيون والجواسيس في طرقات مكة، ومراقبة مداخلها وخارجها، وبعثت القافلة تقتضي أثره في كل مكان، وجعلت مائة من الإبل لمن يأخذ النبي الله، ويرده عليهم أو يأتي عنه بخبر صحيح . . .

س٣٠٤: / كيف تم خروج النبي ﷺ من الغار؟!

ج: / هيأ على ﷺ بأمر النبي ﷺ ثلاث رواحل ودليلًا أميناً يدعى أريقط ليترحلوها إلى المدينة، ويدلّم الدليل على طريقها وأرسل كل ذلك إلى الغار.

ولما سمع النبي ﷺ رغاء البعير أو نداء الدليل نزل هو وصاحبه من الغار وركبا البعيرين وتوجهها من أسفل مكة إلى يثرب سالكين إلى ذلك الخط الساحلي، وقد جاء ذكر المنازل التي مرّ بها في السيرة النبوية لابن هشام [ج ١، ص ٤٩١] فلا مجال لذكرها هنا فراجع.

س ٣٠٥: / في أثناء مسيرهم إلى يثرب فهل حدثت كramaة في الطريق أم لا؟ فإن كان نعم نود ذكرها لنا؟!

ج: / نعم إن كتاب السير يذكرون لرسول الله كرامات كثيرة في طريقه إلى المدينة نذكر منها: مر رسول الله ﷺ في أثناء الطريق على خيمة أم معبد وكانت امرأة شجاعة فاضلة فنزلوا بخيمتها وطلبوها منها تمراً ولحماً أو لبنًا يشربون - يشربون - .

قالت: ما يحضرني شيء وكانت أغناها قد أصيّبت بالهزال بسبب الجدب، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في جانب من الخيمة فقال لها: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهدُ من الغنم، فقال: هل بها من لبن؟، قالت: هي أجدهُ من ذلك. قال: أناذنين أن أحلبها؟

قالت: نعم إن رأيت بها حلباً فاحلبها.

فدعى بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسمى الله عزّ وجلّ، ودعا لها في شاتها قائلاً: اللهم بارك لها في شاتها فدرَّت لها

كثيراً بفضل دعائه ﷺ، فطلب إماء وحلبها، فسقاها أولاً حتى رُويت ثم سقى أصحابه حتى رروا وشرب هو آخرهم، وقال: «ساق القوم آخرهم شرباً».

ثم حلب الشاة مرتين ثانية فغادره عندها، وثم ارتحلوا عنها إلى المدينة^(١).

س ٦ - س ٧: / كم بقي على ﷺ بمكة؟ وهل نفذ وصايا رسول الله ﷺ وأين التقى به؟

ج: / أقام على ﷺ بمكة ثلاثة أيام، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس فقد وقف ﷺ على مكان مرتفع في مكة ونادى قائلاً: «من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤذ إليه أمانته».

فكان يأتيه من له أمانة أو وديعة عند رسول الله ﷺ ويذكر علامتها ويأخذها فلما فرغ ﷺ من ذلك خرج بالفواطم وآخرين ممن لم يكن قد هاجر مكة وتوجه إلى المدينة ليلاً سالكاً بها طريقاً في ذي طوى وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا «٥٠٠ سؤال حول الإمام علي ﷺ» فمن أراد فليراجع.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٧٥.

يقول ابن الأثير: قدم على المدينة وقد تفطرت قدماه، فقال النبي ﷺ: ادعوا لي علياً، قيل: لا يقدر أن يعيش، فأتاه النبي ﷺ واعتنقه وبكي رحمةً لما بقدميه من الورم.

ولقد قدم رسول الله ﷺ قباء في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، والتحق به علي عليهما السلام في منتصف ذلك الشهر نفسه، ويعيد هذا القول ما ذكره الطبرى في تاريخه إذ كتب يقول: وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاثة أيام وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده إلى الناس.

س ٣٠٨: / لقد كان لكل بطن من الأوس والخزرج صنمٌ في بيت جماعة يكْرِمونه ويطَبِّونه، ويجعلون عليه منديلاً وينجحون له، فقد قام أهل المدينة بأحراق وتكسير هذه الأصنام تطهيراً للمدينة، فهل يمكنكم ذكر نموذجاً لنا من هذا العمل الجليل؟!

ج: / نعم، لما قدم من بايع من الأنصار في العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيخوخ لهم على دين الشرك وعبادة الأواثان منهم «عمرو بن الجموح» وكان من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم وكان ابنه «معاذ» بن عمر وقد شهد بيعة العقبة.

وكان عمرو هذا قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له: مناة، كما كانت الأشراف يصنعون، تتخذه إلهًا تعظمه وتطهره، فلما أسلم

فيَان بْنِ سَلْمَةَ: معاذُ بْنُ جَبَلَ، وابنُهُ معاذُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْجَمْوَحِ كَانُوا يَسْلَلُونَ فِي الظَّلَلِ إِلَى صَنْمِ عُمَرَ بْنِ الْجَمْوَحِ فَيَحْمِلُونَهُ وَيَطْرُحُونَهُ فِي بَعْضِ حُفَرِ بْنِ سَلْمَةَ وَمَزَابِلِهَا، وَفِيهَا فَضَلَاتِ النَّاسِ وَعَذْرَاهَا مَنْكَسًا عَلَى رَأْسِهِ !!

فَإِذَا أَصْبَحَ عُمَرُ قَالَ: وَيْلَكُمْ مَنْ عَدَا عَلَى أَهْمَتْنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟

ثُمَّ يَنْدُو يَلْتَمِسُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسْلَهُ وَطَهَرَهُ وَطَبَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّصْنَمِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ مَنْ فَعَلَ هَذَا بَكَ لِأَخْزِنَتَهُ! فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عُمَرُ عَدَوَا عَلَيْهِ ثَانِيَةً فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلُوا بِهِ أَوْلَأً. فَيَغْدُو فِي جَدُّهُ فِي مَثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى وَالْوَسْخِ فَيَغْسِلُهُ وَيَطَهِّرُهُ وَيَطَبِّبُهُ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَى فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ اسْتِخْرَجَهُ مِنْ حِيثَ الْقَوْهِ يَوْمًا فَغَسْلَهُ وَطَهَرَهُ وَطَبَيَّبَهُ ثُمَّ جَاءَ بِسِيفِهِ فَعَلَقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بَكَ مَا تَرَى، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَامْتَنِعْ، وَدَافِعْ عَنْ نَفْسِكَ فَهَذَا السِيفُ مَعَكَ.

فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عُمَرُ عَدَوَا عَلَى ذَلِكَ الصَّنْمِ فَأَخْذَذُوا السِيفَ مِنْ عَنْقِهِ، ثُمَّ أَخْذَذُوا كُلَّبًا مِيتًا فَقَرَنُوهُ بِهِ بِجَبَلٍ، ثُمَّ الْقَوْهُ فِي بَئْرٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سَلْمَةَ فِيهَا غَدَرُ النَّاسِ وَفَضَلَاتُهُمْ، ثُمَّ غَدَا عُمَرُ بْنِ الْجَمْوَحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ.

فَخَرَجَ يَتَّبعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تَلْكَ الْبَئْرِ مَنْكَسًا مَقْرُونًا بِكُلْبٍ مِيتٍ،

فلما رأه وأبصر شأنه وكلمه من أسلم من رجال قومه فأسلم، وهجر الوثنية والأوثان وحسن إسلامه.

فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك، وما أبصر من شأنه ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلال:

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا مَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكُلُّ بَشَرٍ فِي قَرْنَ أَفْ لَمْ لِمَ لِقَاكَ إِلَهًا مَسْتَدِنَ الْآنَ فَتَشَنَّاكَ عَنْ سُوءِ الْغَبَنِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمَنْزَلَةِ الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ دِيَانِ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظُلْمَةِ قَبْرِ مَرْتَهَنِ
بِأَحْمَدِ الْمَهْدَى النَّبِيِّ الْمَرْتَهَنِ^(١)

س ٣٠٩:/ كيف كان لقاء أهل المدينة بالنبي ﷺ؟ وأين سكن؟!

ج:/ بعد أن التحق علي عليهما السلام ومن معه برسول الله عليهما السلام في قباء توجه رسول الله عليهما السلام إلى المدينة ولما أخذ من ثنية الوداع «وهي منطقة قربية من المدينة» وحط قدمه على تراب يثرب استقبله الناس رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، استقبلاً عظيماً ورحبوا به أعظم ترحيب، وردد المرحوبون أناشيد الترحيب التالية:

(١) أسد الغابة: ج ٤، ص ٩٩.

طلع البدْرُ عَلَيْنَا من ثُنِّيَاتِ السُّوَادِ
 وَجَبَ الشَّكْرُ عَلَيْنَا مَادِعًا شَاءَ اللَّهُ دَاعِ
 أَيْهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جَئَتْ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ
 وَكَانَتْ بَنُو عُمَرَ بْنِ عَوْفٍ قَدْ اجْتَمَعَتْ عَنْهُ وأَصْرَتْ عَلَيْهِ بِأَنَّ
 يَنْزَلَ فِي قَبَاءِ وَقَالُوا: أَقِمْ عَنْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أَهْلُ الْجَدَّ وَالْجَلْدِ،
 وَالْحَلْقَةِ «أَيِّ السَّلَامِ» وَالْمُنْعَةِ، وَلَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَقْبِلْ.

وَبَلَغَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَاجَ خَرْجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَرْبَ نَزْوَلِهِ الْمَدِينَةِ
 فَلَبِسُوا السَّلَاحَ وَأَقْبَلُوا يَعْدُونَ حَوْلَ نَاقَتِهِ لَا يَمْرَأَ بَحِيٌّ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَنْصَارِ
 إِلَّا وَثَبَوْا فِي وَجْهِهِ وَأَخْذَنَا بِزَمَانِ نَاقَتِهِ وَأَصْرَوْا بِأَنَّ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ هَذَا
 وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: خُلُوا سَبِيلَهَا إِنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

وَأَخِيرًا لَمَا انتَهَتْ نَاقَتِهِ - وَكَانَ ﷺ قَدْ أَرْخَى زَمَانَهَا - إِلَى بَابِ
 الْمَسْجِدِ الَّذِي هُوَ الْيَوْمُ، وَلَمْ يَكُنْ مَسْجِدًا إِنَّمَا كَانَ أَرْضًا وَاسِعَةً لِيَتِيمِينَ
 مِنَ الْخَزْرَاجِ يَقَالُ لَهُمَا: سَهْلٌ وَسَهْلٌ وَكَانَا فِي حَجْرِ أَسْعَدِ بْنِ زَرَّارَةِ
 فَبَرَكَتِ النَّاقَةُ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُوبِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي كَانَ
 عَلَى مَقْرَبَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ.

فَاغْتَمَتْ أُمُّ أَيُوبَ الفَرْصَةَ فَبَادَرَتْ إِلَى رَحْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَحْلَتَهِ
 وَأَدْخَلَتْهُ مِنْزَلَهَا، بَيْنَمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَيَسْأَلُونَهُ أَنَّ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ.

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ، وَتَنَازَعُوا فِي أَخْذِهِ قَالَ ﷺ أَيْنَ الرَّحْلُ؟

قالوا : يخوف أم أيوب قد دخلته في بيتها . فقال ص : المرء مع رحله ، وأخذ أسد بن زراره بزمام الناقة فحوّلها إلى منزله ^(١) .

س ٣١٠ : متى دخل رسول الله صل المدينة ؟

ج : / لقد بلغها في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، لثلاث عشرة سنة خلت منبعثة ، المصادف يوم الجمعة ، وصلَّى صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم ، وكانت هذه أول جمعة جمعها رسول الله صل في الإسلام . . .

س ٣١١ : كيف كان موقف عبدالله بن أبي بن سلول من رسول الله صل بعدما ألغى قرار جعله أميراً على الأوس والخزرج كما مرّ سابقاً ؟

ج : / لقد حنق عليه وأضمر له العداوة منذ ذلك الحين ، ولم يؤمن برسول الله صل إلى آخر حياته ، بل كان ينافق بإسلامه .

ولما دخل رسول الله صل المدينة وشاهد عبدالله بن أبي ذلك الاستقبال والترحيب العظيمين لرسول الله صل الذي قام بهما الأوس والخزرج ، شق عليه ذلك جداً ، ولم يستطع إخفاء حنقه وغضبه ، وحده عداوته للنبي صل !

(١) تاريخ الخميس : ج ١ ، ص ٣٤١ .

فعندما انتهى ﷺ إلى عبد الله بن أبي - وقد أرخى ﷺ زمام ناقته لتبارك حيث تريده، أخذ عبدالله كمه ووضعه على أنفه، وقد ثارت الغبرة بسبب الزحام وقال للنبي ﷺ بنبرة الحائنق الغاضب: يا هذا اذهب إلى الذين غررك وخدعوك وأتوا بك، فأنزل عليهم، ولا تغشنا في ديارنا !!

فقام سعدُ بن عبادة - وقد خشي أن يسوء رسول الله ﷺ هذا الموقف الواقع الشriter فقال: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء، فإنما كنّا اجتمعنا على أن نملأكم علينا، وهو يرى الآن أنك قد سلبتُهُ أمراً قد كان أشرف عليه^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٩، ص ١٠٨ .

«حوادث السنة الأولى
من الهجرة النبوية»

س ٣١٤: / في السنة الأولى قام رسول الله ﷺ ببناء المسجد فكيف يبني على الأرض مسجداً والأرض ليس له بل لـ «سهل وسهيل» البتيمين؟!

ج: / نعم، لقد ابتعث رسول الله ﷺ الأرض التي بركت فيها ناقته يوم قدومه المدينة، من أصحابها عشرة دنانير لإقامة مسجد فيها. واشترك كافة المسلمين في تهيئة مواده الإنشائية وبنائه، وعمل رسول الله ﷺ نفسه في تشييدها أيضاً. فكان ينقل معهم اللبن، والحجارة، وبينما هو ينقل ذات مرة حمراً على بطنه استقبله أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطي أحمل عنك.

قال ﷺ: لا، اذهب فاحمل غيره^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٩، ص ١١٢.

س ٣١٣: / كم استمرَّ بناء المسجد، وكيف تم توسيعه؟

ج: / نعم، لقد أقام رسول الله ﷺ في المدينة من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة إلى شهر صفر من السنة الثانية، حتى بُني المسجد وظل يوسع فيه كل عام شيئاً فشيئاً.

وبُني البيوت والمنازل المحيطة بها وقد بُني إلى جانب المسجد صفة ليسكن فيها الفقراء والمهاجرون المحرومون وكلف عبادة بن الصامت بأن يعلّمهم الكتابة، وقراءة القرآن.

وقد أسلم في هذه الفترة كل من تبَّقَّى من الأوس والخزرج، ولم يبق دارٌ من دور الأنصار إلَّا أسلم أهْلُها، ما عدا بعض العوائل والفروع ممن بقوا على شركهم، ولكنهم أسلموا بعد معركة بدر . . .

س ٣١٤: / نحن نعلم بأن هناك اختلاف بين أتباع الرسول ﷺ من المهاجرين وبين الأنصار من الأوس والخزرج.

من حيث أن المهاجرين والأنصار قد نشأوا في بيئتين مختلفتين، لهذا كان من الطبيعي أن يختلفوا في طريقة المعاشرة، وآداب السلوك، وأسلوب التفكير اختلافاً كبيراً . . . فكيف تمكن رسول الله ﷺ من تجاوز ذلك؟!

ج: / لقد عالج تلك المشكلة بمحنة كبيرة، وتدبير رائع جداً فقد أمر من جانب الله تعالى بأن يُواخِي بين المهاجرين والأنصار فجمعهم

رسول الله ﷺ ذات يوم و قال لهم : « تأخوا في الله أخوين أخوين ». وقد ذكرت المصادر التاريخية الإسلامية أسماء كل متأخبين من المهاجرين والأنصار .

وبهذا الأسلوب كرّس رسول الله ﷺ الوحدة السياسية والمعنوية بين المسلمين وقوى أسمّها ودعائهما نعم لقد آخى بين ثلثمائة من أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو يقول : يا فلان أنت أخي لفلان ، وخلاصة القول أنَّ رسول الله ﷺ قضى عن طريق المؤاخاة الإسلامية بين أصحابه من الأنصار والمهاجرين على الاختلافات القديمة أيضاً التي كانت روابتها باقية بين المسلمين إلى ذلك اليوم . . .

س ٣١٥: / مع من تأخى رسول الله ﷺ؟!

ج: / نعم ، لما فرغ من المؤاخاة ، قال له علي بن أبي طالب ، وهو يبكي : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟

فقال له رسول الله ﷺ وقد أخذ بيده : أنت أخي في الدنيا والآخرة^(١) .

وقد ذكر القزويني الحنفي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلاً إذ قال : فقال رسول الله ﷺ لعلي : والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرتك إلا

(١) المستدرك على الصعبيين : ج ٣ ، ص ١٤ .

لنفسِي، فأنْتَ مِنِي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَ بَعْدِي، وَأَنْتَ أَخِي وَوَارِثِي^(١).

س ٣٦:/ متى كانت تلك المؤاخاة؟!

ج:/ في السنة الأولى للهجرة، بعد الشهر الخامس أو الثامن منها.

س ٣٧:/ أن حركة الإسلام المستمرة أحدثت ضجة في الأوساط اليهودية الذين كانوا متمركزين في يثرب، فبدؤوا بمحاولات لإفشال ذلك التوسيع الإسلامي، منها المناظرات والمحادلات التي كانت لا تزيد غالبيتهم إلّا تعتنّاً وعناداً، فهل يمكنكم ذكر ذلك بقصة تبين لنا مدى تعنتهم وعنادهم؟!

ج:/ نعم، فقد أسلم عبد الله بن سلام الذي كان من علماء اليهود وأصحابهم، برسول الله ﷺ بعد سلسلة من المناظرات والمحادلات المطولة.

ولم يمض وقتٌ كبيرٌ إلّا وتحقّق به عالم آخر من علماء اليهود هو المخيرين.

وكان عبد الله بن سلام يعلم بأنه سيذمُّه قومُه من اليهود إذا عرفوا

(١) بنياب المودة: ص ٥٦.

بإسلامه وترك دينهم، من هنا طلب من رسول الله ﷺ أن يكتم عن الناس إسلامه، ريثما يحصل أولاً على اعتراف من قومه بعلمه وتقواه، وبمعرفته وصلاحه قائلاً: يا رسول الله إن يهود قومٌ يهتئون، وأني أحب أن تدخلني في بعض بيتك، وتغيبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني.

فأدخله رسول الله ﷺ في بعض بيته وأخفاه عن الأنظار ثم قال لليهود الداخلين عليه: «أيُّ رجلٍ الحصينُ بنُ سلامٍ فيكم؟».

قالوا: سيدُنا وابنُ سيدنا، وحبرُنا وعالمنا، فخرج عليهم عبدالله بن سلام من خباء وقال لهم: يا معاشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهدُ أنه رسول الله ﷺ، وأؤمن به وأصدقه وأعرّفه.

غضب اليهود من مقالته، وقالوا له: كذبْتَ ووقعوا فيه، وعابوه، وبهتوه.

من ٣١٨: / هل اكتفى اليهود بذلك المحاولات الفاشلة ضد الإسلام والمسلمين؟!

ج: / كلا، فقد رأى دهاء اليهود وساستهم أن يستغلّوا رواسب

الاختلافات، ويؤججوا نيران العداء القديم بين الأوس والخزرج الذي زال بفضل الإسلام، ليستطيعوا تمزيق صفو المسلمين

ففيما كان نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه إذ مرّ عليهم شاس بن قيس وهو يهودي شديد العداء للإسلام، عظيمُ الكفر، شديدُ الضغف على المسلمين، فغاظه ما رأى من أُلفة الأوس والخزرج، واجتماعهم وتواطدهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة الطويلة في الجاهلية، فأمر فتى من اليهود كان معهم فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدتهم بعض ما كانوا تقاولوا وتبادلوا فيه من الأشعار! إيقاعاً بين هاتين الطائفتين من الأنصار، وإثارة لنيران الأحقاد الدفينة، والعداوات الغابرة.

ففعل ذلك الغلام اليهودي ما أمره به شاس فتكلم القومُ عند ذلك، وتنازعوا، وتفاخروا، وتواكبَ رجالان من القبيلتين على الرُّكب وأخذ كل منهما يهدُ الآخر، وتفاقم النزاعُ، وغضب الفريقيان وتصايحاً، وقاما إلى السلاح وكاد أن يقع قتالٌ ودمٌ بعد أن ارتفعت النداءات القبلية بالاستغاثة والاستنجاد على عادة الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وعرف بمكيدة اليهود، ومؤامرتهم الخبيثة هذه، فخرج إلى تلك الجماعة المتصايحة من الأوس والخزرج في جمع من أصحابه المهاجرين فقال: «يا معاشر المسلمين، الله أبدعكم الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم

أمرًا جاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف بين قُلُوبِكُمْ؟؟».

فعرف القوم أنها مؤامرة مبيتة من اليهود أعداء الإسلام وال المسلمين، وكيد خبيث منهم، فندموا على ما حدث، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، وأطفأوا الله عنهم كيد أعدائهم.

س: ٣١٩ / هل كانت هناك حادثة أخرى حدثت في السنة الأولى للهجرة؟!

ج: / نعم في شهر شوال من العام نفسه بني هاشم بزوجه عائشة.

«السنة الثانية للهجرة»

س ٣٢٠: / أهم حادثة حصلت في السنة الثانية للهجرة ما هي؟!

ج: / السنة الثانية من الهجرة تتضمن حوادث عظيمة وباهرة، ومن أبرزها حادثتان تحظيان بمزيد من الأهمية:

١ - تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

٢ - وقعة بدر الكبرى.

س ٣٢٣: / هل يمكنكم إبراد قصة تغيير القبلة تفصيلاً؟!

ج: / نعم، صلى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً كاملة في مكة نحو بيت المقدس، وبعد الهجرة إلى المدينة كان الأمر الإلهي له هو أن يبقى على الحال من حيث القبلة، أي بأن يصل إلى بيت المقدس. كما كان يفعل في مكة.

فأخذ اليهود يؤذون رسول الله ﷺ والمسلمين بمختلف أنحاء الطرق وبشتى الوسائل والسبل، والمعاذير والمحجج ومن جملتها التذرع بقضية

صلاة النبي ﷺ وال المسلمين إلى بيت المقدس . فكانوا يقولون معتبرين
إيه : أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا !!

أو كانوا يقولون : تخالفنا يا محمد في ديننا وتتبع قبلتنا .

فشقّ هذا الكلام على رسول الله ﷺ واغتم لذلك غماً شديداً فكان
خرج من بيته في منتصف الليل ويتطلل في آفاق السماء ينتظر من الله
أمراً ووحيًا في هذا المجال كما تفيد الآية الآتية : **﴿فَقَدْ رَأَى تَقْلُبَ وَجْهِكَ
فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَيْسَكَ قِبَلَةً تَرْضَهَا﴾** [البرة / ١٤٤].

وفي رواية قال : وبينما كان النبي ﷺ قد انتهى من الركعة الثانية
من صلاة الظهر ، نزل عليه جبرئيل ، وأمره بأن يتوجه بالصلوة معه
حدب المسجد الحرام .

وجاء في بعض الأخبار أن جبرئيل عليه السلام أخذ يد النبي ﷺ وأداره
نحو المسجد الحرام ، فتبعته الرجال والنساء الذين كانوا يأتون به في
المسجد .

فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فكان أول
صلاته إلى بيت المقدس ، وآخرها إلى الكعبة وفي هذه الحالة تصور
بعض المسلمين أن ما أتوا به من صلاة وعبادة وهم متوجهين إلى بيت
المقدس كان باطلًا إذ قالوا : كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا
الأولى ، أو حال من مضى من أمواتنا وهم كانوا يصلون إلى بيت
المقدس ؟ فنزل الوحي الإلهي يقول :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُعِنِّي بِإِيمَانِكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/٤٣]

[١٤٣]

وأخذ اليهود يعيرون على المسلمين التوجه إلى نقطة ما في الأرض فرداً الله عليهم بقوله: «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» أي أن الله فوق الزمان والمكان، والتوجه إلى نقطة خاصة في حالة العبادة إنما هو لصالح اجتماعية خاصة فالصلوة إلى الكعبة توجه إلى الله كالصلوة إلى بيت المقدس سواء بسواء.

س ٣٢٢: هل هناك علة أخرى لتغيير القبلة غير العلة التي ذكرتموها؟

ج: / نعم، هو أن هذه المسألة كانت من المسائل الاختبارية التي أراد الله تعالى بها أن يمتحن المسلمين، ويعزز المؤمن الواقعي الحقيقي عن أدعياء الإيمان، المتخلين له كذباً ونفاقاً، وأن يعرف النبي ﷺ به من حوله معرفةً جيدة لأن اتباع النبي ﷺ في الأمر الثاني الذي نزل على رسول الله ﷺ في أثناء الصلاة - هو التوجه إلى المسجد الحرام - كان علامة قوية من علامات الإيمان والتسليم، والإخلاص والوفاء للدين الجديد.

بينما كانت مخالفته علامة قوية من علامات النفاق والتردد كما

يصرّح القرآن الكريم بنفسه بذلك إذ يقول : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ أُلَيْكَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَنْتَلِمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة / ١٤٣].

ويمكن بيان هذه العلة بصورة أخرى وهي إنما أمر بالصلاحة إلى بيت المقدس لأن مكة وبيت الله الحرام كانت العرب آلفة بمحاجها فأراد الله أن يمتحن بغير ما آلفوه ليظهر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه^(١).

س ٣٢٣ : / متى كانت حادثة تغيير القبلة بالشهر؟ !

ج : / يقول ابن هشام : إن القبلة صرفة عن الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .
ويرى ابن الأثير أن ذلك حدثت في منتصف شهر شعبان . . .

س ٣٢٤ : / ذكرتم في «س ٣٢٠» أهم الحوادث فهل يمكنكم ذكر حوادث أخرى غير تغيير القبلة ومعركة بدر الكبرى قبل الدخول بها؟ !

ج : / نعم هناك غزوات وبعثات وسراسية تحركت للقتال والمناورات العسكرية منها :

(١) مجمع البيان : ج ١ ، ص ٢٢٢ .

- ١ - غزوة الأباء . ٢ - غزوة بواط والعشيرة وبدر الأولى . ٣ -
 غزوة بني قينقاع . ٤ - غزوة قرقرة الكدر . ٥ - غزوة السويف . ٦ -
 غزوة ذي أمر .

وكذلك في هذه السنة تزوج أمير المؤمنين من فاطمة رض وأذن
 للMuslimين بقتال المشركين . . .

س ٣٢٥: ما الفرق بين الغزوة والبعثة والسرية؟!

ج: إذا كان رسول الله ﷺ على رأس جيشه في حرب، سميت
 غزوة، أما إن لم يكن، سميت بعثة أو سرية، وهي طائفة من الجيش
 ترسل للعدو، أقلها تسعه وأكثراها أربعمائه، ويقول البعض: إن
 السرية التي تعدادها خمساً مائة فيما فوق يقال لها منس، وإذا كان العدد
 فوق ثمانمائة سمى جيشاً، وإذا كان فوق أربعة آلاف سمى جحفلأً.

أما عدد غزوات النبي ﷺ فكانت «٢٧» أو «٢٦» غزوة ويعود
 الاختلاف في العدد إلى أن بعض المؤرخين يعتبر غزوة خيبر وغزوة
 وادي القرى اللتين حدثتا تباعاً ومن دون فاصلة غزوتين والبعض
 الآخر عدّهما غزوة واحدة.

وقد وقع نظير هذا الخلاف في تعداد سرايا النبي ﷺ أيضاً فأحصى
 المؤرخون «٣٥» و«٣٦» و«٤٨» وحتى «٦٦» سرية.

ويعود هذا الاختلاف إلى أن بعض السرايا لم يحسب لها حساب

لقلة أفرادها، ولهذا حدث هذا الاختلاف في العدد.

ونتيجة لأهمية الغزوات ولقصر البحث سيتم التركيز على الغزوات فقط دون السرايا . . .

س ٣٢٦: / قبل الدخول بغزوة بدر الكبرى، نرجوا تبيان «غزوة الأبواء» بصورة مجملة؟!

ج: / في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة استعمل رسول الله ﷺ على المدينة سعد بن عبادة وأناط إليه إدارة أمورها الدينية وخرج بنفسه مع جماعة من المهاجرين والأنصار وكان صاحب لواه الحمزة عمّة، ملاحقة ركب قريش التجاري واعتراضه وعقد معاهدة موافقة مع بني ضمرة حتى بلغ الأبواء ولكن لم يلق أحداً من قريش ورجع منها إلى المدينة دون قتال، وبجناء الأبواء - فيها قبر آمنة أم رسول الله ﷺ - بلدة هي «وَدَان» ولذا تسمى هذه الغزاة بغزوة «وَدَان».

س ٣٢٧ - س ٣٢٨ - س ٣٢٩: / نرجوا تبيان كل من الغزوات التالية بصورة مجملة:

١ - غزوة بواث. ٢ - غزوة ذات العشيرة - أو العشيرة - ٣ -
غزوة بدر الأولى؟!

ج: ١ - غزوة بواث: في شهر ربيع الأول من السنة الثانية - وقيل

ربيع الآخر - استعمل رسول الله ﷺ على المدينة السائب بن عثمان أو سعد بن معاذ وخرج هو على رأس مائتين من الرجال ي يريد قريشاً حتى بلغ بواط «هو جبل من جبال جهينة في ناحية رضوى»، ورضوى جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع التي يقول الكيسانية إن محمد بن الحنفية مقيم هناك، ويبقى حيّاً حتى خروجه» ولكنّه لم يظفر بقافلة قريش التي كان يقودها أميّة بن خلف على رأس مائة رجل من قريش، فرجع إلى المدينة.

٢ - غزوة العشيرة: في منتصف شهر جمادي الأولى من السنة الثانية للهجرة - أي بعد غزوة بواط - جاء الخبر أن قافلة قريش التجارية تخرج من مكة بقيادة أبي سفيان ت يريد الشام للتجارة، وقد جمعت قريش كل أموالها في تلك القافلة، فخرج رسول الله ﷺ في جمع من أصحابه لاعتراضها حتى بلغ «ذات العشيرة» وقد استعمل على مكة هذه المرة «أبا سلمة بن عبد الأسد»، وبقي ﷺ في ذات العشيرة إلى أوائل شهر جمادي الآخرة ينتظر قافلة قريش، ولكنّه لم يظفر بها، ثم وادع فيها بني مدلج [وحلفاءهم من بني ضمرة] وعقد معااهدة عدم اعتداء ذكرتها المصادر التاريخية بالنص.

٣ - غزوة بدر الأولى: بعد أن رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد اليأس من قافلة قريش لم يقم بالمدينة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر حتى هاجم كرز بن جابر الفهري على إبل أهل المدينة ومواشيهم التي كانت قد سرحت للرعى بالغداة.

فخرج رسول الله ﷺ في طلبه وقد استعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ وادياً من ناحية بدر يقال له سفوان وفاته كرز بن جابر ولم يدركه وبعد ثلاثة أيام قفل راجعاً ومن معه إلى المدينة وكان شهر جمادي الآخرة قد أنقض فأقام بها بقية جنادي الآخرة ورجباً وشعبان وكان حامل لوائه عليّ بن أبي طالب علیه السلام . . .

س ٣٣٠ : / نحن نعلم بأن تركيز البحث كان على غزوات رسول الله ﷺ لكن هل يمكنكم ذكر بعثة مهمة قبل غزوة بدر الكبرى؟!

ج : / نعم، في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله ع عبد الله بن جعشن على رأس ثمانية رجال من المهاجرين للاحقة قافلة قريش التجارية، وقد كتب له كتاباً بالهمة التي يجب أن ينفذها، وأمره أن لا ينظر فيه قاتلاً له: «قد استعملتك على هؤلاء النفر فامض حتى إذا سرت ليلتين فانشر - أي افتح - كتابي ثم امض - أي نفذ - لما فيه».

ثم عين له رسول الله ﷺ الوجهة التي يجب أن يتوجه إليها. فانطلق عبد الله ورفقاوه وساروا يومين كاملين كما أمرهم رسول الله ﷺ ثم فتح عبد الله كتاب النبي ﷺ وقرأ ما فيه، فإذا فيه :

«إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف على اسم الله وبركته فترصد بها قريشاً، وتعلم «أي حصل» لنا من

أخبارهم ولا تُكرهن أحداً من أصحابك وأمراض لأمرِي فيمن تبعك».

فَلَمَّا قرأ الكتاب قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قافلة قريش حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأماماً أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ، ومن أراد الرجعة فمن الآن.

قال أصحابه أجمعون: نحن سامعون مطعونَ الله ولرسوله ولكل فِير على بركة الله حيث شئت، فسأر هو ومن معه لم يختلف منهم أحدٌ حتى جاء نخلة فوجد قافلة لقريش يرأسها عمرو بن الحضرمي وهي عائدة من الطائف إلى مكة، فنزل المسلمون بالقرب منهم، ولكن لا يكتشفهم العدو، ولا يعرف بأمرهم ومهمتهم حلقوا رؤوسهم ليتصور العدو أنهم عمار يعتزمون الذهاب إلى مكة للعمرَة.

فَلَمَّا رأَاهُمْ رجَالُ قَرِيشٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ اطْمَأَنُوا وَأَمْنُوا جَانِبَهُمْ وَقَالُوا: عُمَارٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ.

ثم تشاور المسلمون فيما بينهم في جلسة عسكرية للنظر فيما يجب عمله فتبين لهم: أنهم إذا تركوا القوم «أي قريشاً» في تلك الليلة «وكان آخر ليلة من شهر رجب» لدخلوا الحرم، ولم يمكن قتالهم فيه، وإن خرج الشهر الحرام.

فأجعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذوا ما معهم، من هنا

باغتوا تلك القافلة، ورمى واقد بن عبد الله قائدتها عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وفرَّ رجالُه إلَّا نفرَينْ هما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان حيث أسرَّهما المسلمون، وعاد عبد الله بن جحش وأصحابه بالقافلة مع ما فيها من أموال قريش والأسيرين إلى المدينة.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة وأخبروه بأنهم قاتلوا القوم في الشهر الحرام «رجب» انزعج رسول الله ﷺ من تصرف قائد الجموعة وعدم استفساره لما يجب أن يفعله بشدة وقال: «ما أمرتُكم بقتال في الشهر الحرام». وقد استخدمت قريش في هذه القضية كسلاح دعائي ضدَّ رسول الله ﷺ وأشاعت بأنَّ مُحَمَّداً وأصحابه قد استحلوا الشهور الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا الأموال كما أنه تشاءم اليهود بهذه القضية وأرادوا أن يثروا فتنَّا، وعاب المسلمين على عبد الله بن جحش وأصحابه فعلتهم هذه. هذا من جانب ومن جانب آخر وقف النبي ﷺ الأموال والأسيرين وأبي أن يأخذ من كل ذلك شيئاً وبقي يتنتظر الوحي.

وفجأة نزل جبرئيل بهذه الآية: ﴿يَشْتُونَكُمْ عَنِ الْهَجَرَةِ فَتَأْلِفُ فِيهِ مُلْقَاتَلٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفَّرُ بِهِ وَالْمَسْجِدُ الْعَرَامُ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ، مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة / ٢١٧].

أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدَّوك عن سبيل الله مع الكفر به وصدَّكم عن المسجد الحرام، وإخراجُكم منه وأنتم أهله أكبَرُ عند الله من قُتلَ منهم «والفتنة أكبر من القتل» أي ما كانوا

يرتكبونه من فتنة المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه أكبر عند الله من القتل.

ولما نزل القرآن بهذا الأمر، وفَرَّجَ الله تعالى عن المسلمين ما كانوا يرتكبونه من فتنة المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه أكبر عند الله من القتل.

ولما نزل القرآن بهذا الأمر، وفَرَّجَ الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف والخيرة قبض رسول الله ﷺ الأموال، والأسرى وقسمها بين المسلمين، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون.

وبعثت قريش إلى النبي ﷺ في فداء أصحابهم فقال النبي ﷺ: لن نغدِّر بهما حتى يقدم صاحبنا. يعني رجلين من المسلمين كانا قد أسرَا من قبل قريش، قد اشتراكا في هذه العملية ولكنهما أضلا طريقهما في الصحراء فأسرتهما رجال من قريش.

وهكذا أبى رسول الله ﷺ أن يطلق سراح أسيري قريش لقاء فدية إلا إذا أطلق المشركون أسيري المسلمين قائلاً لوفدي قريش: «إني أخافُ على صاحبي فإن قتلتُ صاحبِي قتلتُ صاحبِك».

فاضطربت قريش إلى الإفراج عن المسلمين الأسرى، ومع وصولهما إلى المدينة أفرج رسول الله ﷺ عن أسيري قريش، ومن حُسن الحظ أنَّ إحدى ذينك الأسرى أسلم ورجع الآخر إلى مكة^(١).

(١) المغازي: ج ١، ص ١٣ - ١٨.

س ٣٣١: / ماذا كان الهدف من المناورات العسكرية التي كان يقوم بها المسلمون؟!

ج: / كان الهدف الرئيسي هو بعث رسالة مهمة لشريك قريش بأن حياتهم وتجارتهم الاقتصادية تحت رحمة المسلمين فإن لم تكفوا عن إيذائكم للإسلام والمسلمين فسوف نقطع عليكم الشريان الرئيسي، فأراد الرسول أن تعيد قريش النظر في مواقفها في ضوء الحالة الجديدة، والتهديد العسكري الإسلامي الجدي، وتترك للمسلمين الحرية في الدعوة إلى عقيدتهم، وتفتح الطريق لزيارة بيت الله الحرام، ونشر التوحيد ل يستطيع الإسلام بمنطقة القوي، والمحكم أن ينفذ في القلوب، ويتجلى نور الإسلام ويشعّ على جميع نقاط شبه الجزيرة العربية، وربوعها، وبخاصة منطقة الحجاز مركز الجزيرة، وقلبها النابض . . .

س ٣٣٢: / متى كانت غزوة بدر الكبرى؟!

ج: / كانت في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة.

س ٣٣٣: / ما هي خلاصة غزوة بدر الكبرى؟!

ج: / في السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى، وخلال صتها أن كفار قريش كعبة وشيبة أبا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبي جهل، والبخري، ونوفل بن خويلد وغيرهم من صناديد مكة والكثير من المغاربين، بلغ مجموعهم تسعين وخمسين رجلاً، خرجوا

من مكة يريدون حرب رسول الله ﷺ، وأخرجوا معهم القيام يضربن بالدفوف، على خيلٍ من مئة فرس وسبعينة من الإبل، وأبرموا فيما بينهم أن يتتكلّل كلَّ يوم واحد من أشرافهم بالمؤونة والعلف للجيش، وأن ينحر عشرة من الإبل.

وعلى الجانب الآخر فإن رسول الله ﷺ تحرّك نحو أرض بدر، وبدر هي اسم لبئر يلقى المشركون فيه قتلامهم؛ ولما استقرَّ مع أصحابه هناك راح يشير بيده المباركة إلى مواقع في الأرض ويقول: هذا مصرع فلان محدداً وكان مصرع كلَّ من صناديد قريش، وهذا ما وقع.

وكان عسكر العدو قد علوا كثيراً كشف لهم جيش النبي ﷺ بكامله، فاستقلُّوهم واحتقرُّوهم (كان تعدادهم ثلاثة وثلاثة عشر مقاتلاً) وال المسلمين بدورهم كان مشهد المشركين في أعينهم قليلاً، وإلى هذا يشير قوله تعالى: **﴿وَإِذْ يُرِكُّوْهُمْ إِذْ أَنْقَبْتُمْ فِي أَعْيُّنِكُمْ فَلَمَّا
فَهَلَّكُمْ فِي أَعْيُّنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَقْعُولًا﴾** [الأفال / ٤٤].

لما رأى كفار قريش قلة أصحاب رسول الله ﷺ بعثوا عمير بن وهب الجمحي، وكان فارساً شجاعاً، ليستطلع موقع جيش النبي ﷺ، ويرى إن كان لهم كمين أو مدد، فجال بفرسه ثم رجع فقال:

ما لهم من كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حللت الموت الناقع، أما تروهم خُرساً لا يتكلّمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، وما

لهم ملجاً إلا سيفهم، وما أرَاهُم يوْلَوْنَ حَتَّى يُقْتَلُوا، وَلَا يُقْتَلُونَ حَتَّى يُقْتَلُوا بَعْدَهُمْ . (وقدر عددهم بثلاثة رجال).

ولما سمع حكيم بن حزام هذه المقالة رجا عتبة أن يرجع بالناس عن الحرب، قال: فأنت ابن الحنظلية - يعني أبو جهل - فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك محمد؟ فجاء حكيم أبو جهل وبليغه رسالة عتبة فقال أبو جهل؛ انتفع والله ساحرُه (والساحر: الرئة، والقول كناية عن الجبن) وقد خاف على ابنه أبي حذيفة، وهو فيهم (وكان ابن عتبة قد أسلم).

نقل حكيم قول أبي جهل إلى عتبة، وكان قد جاء في أثره، فبادره عتبة قائلاً: يا مصَفِّرَ الأُشتَ، يعنيه، ستعلم من انتفع سحره أنا أم أنت.

وعلى الجانِب الآخر فإن رسول الله ﷺ - رغبة منه في تطهير قلوب أصحابه ودفع رهبة الحرب عنهم، وعملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن جَاءُوكُلُّ الْأَيُّوبَ فَاجْتَحْهُ لَمَّا هُوَ أَنْجَحَهُ﴾ ومع علمه أن قريشاً لن تخن للسلم، وذلك لأنه فات وقت الكلام - فقد أرسل إلى قريش يقول: يا معشر قريش، ما أحد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأ بكم، فخلوني والعرب، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن كنت كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري فارجعوا .

فقال عتبة: والله ما أفلح قوم ردوا هذا، يا معشر قريش، أطيعوني

اليوم، فإنَّ مُحَمَّداً لَهِ إِلَّا وذمَّةٌ، وهو ابن عمِّكم، فارجعوا ولا ترْدُوا رأيَّيْ؛ فلما سمع أبو جهل ذلك غاظه وقال؛ يا عتبة، نظرت إلى سيف بني عبد المطلب وجنت، وانتفع سحرُك، فقال عتبة: أمثلي يجبن؟ وستعلم قريش اليوم أَيْتَنَا الأَجْبَنْ والأَلَامْ، ثم ترجل عن بيته، وترجل أبو جهل عن فرسه فاجتمع إليهما الناس وفصلوا بينهما.

وهنا كانت نار الحرب قد انبعثتُ أَسْتَنْتها، واندفع الناس من الجانيين لخوض غمارها. وكان عتبة أول من بَرَزَ للحرب، وقد أخذته الحمية بعد أن نسبه أبو جهل إلى الجنب، وليس درعه، واعتمَّ بعمامة إذ لم يجدوا له خوذة تناسب رأسه لعظم هامته، ثم تقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد، فصالوا بين الجيدين وقالوا: من يبارز؟ فخرج فيه من الأنصار، فقال لهم عتبة بعد أن انتسبوا: ارجعوا فإنَّا لسنا إِيَّاكُمْ نريد، ثم نادى: يا محمد، أخرج إلينا أَكْفَاءَنَا من بَنِي عَمَّنَا.

وكره رسول الله ﷺ أن يكون أول الكرة بالأنصار، فدعا عليه ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب عمَّه، وعيادة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وانطلق ثلاثة للبراز كالأسود.

قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.

فقال عتبة: كفُّرْ كَرِيمْ، وأَنَا أَسْدُ الْحَلَفاءِ.

وعتبة بهذا القول عَدَّ نفسه سَيِّدَ الْحَلَفاءِ الْمَطَيِّبِينَ.

إجمالاً، فقد توجه أمير المؤمنين عليه السلام نحو الوليد، وحزة نحو شيبة، وعبيدة نحو عتبة.

ثم ارتجز أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب وهاشم المطعم في العام السغب
أوفي بميثaqي وأحمي عن حسب

ثم حمل على الوليد بن عتبة فضربه على جبل عاتقه، فأخرج السيف من إبطه، وكانت ذراعه من الضخامة بحيث إذا رفعها أخفت وجهه، ويقال إنه أخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامة على عليه السلام فكاد يسحقها، لكن عليها عليه السلام راغ عنها، وعاجله بضربه كان فيها أجله.

وحمل حزة على شيبة، فتضاربا بالسيفين حتى اثنلما، ثم اعتنقا، فصاح المسلمون: يا علي، أما ترى الكلب قد بهر عمرك؟ فحمل عليه على عليه السلام ثم قال: يا عم طاطئ رأسك، وكان حزة أطول من شيبة، فأدخل حزة رأسه في صدره، فضربه أمير المؤمنين على رأسه فطنّ نصفه.

أما عبيدة وعتبة فكانا متقاربين معدودين كليهما من الأقران، فسرعان ما تصاولا ثم تبادلا ضربتين، فأصابت ضربة عبيدة مفرق عتبة فمزق رأسه نصفين، وأصابت ضربة عتبة ساق عبيدة فقطعتها، وكان على عليه السلام قد انتهى من شيبة، فجاء إلى عتبة وبه رمح فأجهز عليه، وهكذا شرك عليه السلام في قتل الرجال الثلاثة، ومن هنا قوله عند قتاله معاوية:

«وعندي السيف الذي أعضضته أخاك وحالك وجذك يوم بدر».

ثم مُخل عبيدة بين عليّ وحمزة حتى أتيا به رسول الله ﷺ، فنظر إليه واستعبر فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، ألسْت شهيداً؟ فقال: بل، أنت أول شهيد من أهل بيتي.

وعند أبوتهم من بدر، ولما بلغوا أرض الروحاء أو الصفراء أسلم عبيدة الروح فدفن هناك، وكان يكبر رسول الله ﷺ بعشرين سنة، وأنزل الله عزّ وجلّ قرآن في شأن أولئك الخصوم الستة فقال:

﴿هَذَا هُنَّا حَسَدَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَارٍ يُصَبَّثُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج / ١٩].

وبعد مقتل أولئك الثلاثة دبت الرعب في قلوب القرشين، فراح أبو جهل يحرّضهم على القتال، وجاء إبليس - عليه اللعنة - إلى قريش في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: أنا جار لكم، ادفعوا إليّ رأيتكم؛ فدفعوا إليه راية الميسرة، فجاء بهول على أصحاب رسول الله، ويخيل إليهم ويفزعهم، ويقوّي قلوب المشركين.

وأقبلت قريش يقدمها إبليس ومعه الراية، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: غضوا أبصاركم، وغضوا على النواخذة. ولما رأى قلة أصحابه رفع يده إلى السماء وسأل ربّه النصرة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرْتُكُمْ اللَّهُ بِيَدِكُمْ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ﴾ - إلى قوله: ﴿يُنَذِّذُكُمْ﴾

رَبِّكُمْ خَمْسَةُ الْفَنِينَ مِنَ الْمُتَّهِكِّهِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران / ١٢٥ - ١٢٦].

واشتد القتال، وحين نظر إيليس إلى جبرائيل تراجع ورمى باللواء، فأحد منه بن الحاج بمجامع ثوبه ثم قال: ويلك يا سراقة، تفت في أعضاد الناس؟! فركله إيليس ركلةً في صدره وقال: إني أرى ما لا ترون.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتَنَ نَكَصَ عَلَى عَيْقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال / ٤٨].

وحمل أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام كالأسد الغاضب، في كل ناحية، وراح يجندل الرجال والمطاي، حتى قتل ستة وثلاثين رجلاً من أبطال قريش؛ ونقل عنه قوله عليه السلام: عجبًا لقريش! لقد شهدوا قتالي للوليد بن عتبة، ورأوا كيف أني بضربي واحدة متى جعلت عيني حنظلة تخرجان من مجراهما، فكيف يقدمون على قتالي؟!

وإجمالاً فقد قتل من صناديد قريش سبعون منهم: عتبة وشيبة، والوليد بن عتبة، وحنظلة بن أبي سفيان، وطعيمة بن عدي، والعاص بن سعيد، ونوفل بن خويلد، وأبو جهل، ولما أتوا برأسه إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه سجد له شakra. وهزمت قريش، وخرج المسلمون في أثرهم فأسروا منهم سبعين

س ٣٤:/ ما هي غزوة السويف؟ ومتى وقعت ولماذا؟!
ج:/ في العشرة الأخيرة من ذي القعدة «أو ذي الحجة» من السنة

الثانية من الهجرة كانت غزوة السويف . . . وذلك أن أبا سفيان نذر بعد واقعة بدر أن لا يقارب زوجته ما لم يثار من المسلمين لقتلى بدر فكان عليه أن يقوم بهجوم على المدينة، ويقاتل النبي وأصحابه ليفي بنذره!

فخرج من مكة في مائتى راكب فجاء بني النضير ليلاً، يطلب مشورة من أحبّار اليهود . . . فلما كان في وقت السحر خرج فمر بالعرىض فوجد رجلاً من الأنصار يقال له معبد بن عمرو وحليفاً له فقتلوا هما، وحرق بيته وحرثاً لهم بارشاد من كبير اليهود سلام بن مشكم ورأى أن يمتهن قد حلّت، ثم ذهب هارباً، وخاف ملاحقة المسلمين له.

ولما علم رسول الله ﷺ بالأمر استخلف أبا لبابة على المدينة وخرج مع مثنين من المهاجرين والأنصار في طلب أبي سفيان حتى بلغ قرقرة الكدر، وقد فاته أبو سفيان بعد أن أمر رجاله وأصحابه بالتحفيف من أزواجهم لتسهيل عليهم النجاة من محمد ﷺ فطرحوها وراءهم، وكان فيها السويف «وهو القمع المقل المطحون الملتوت بالسمن أو العسل» وهي عامة زادهم، فجعل المسلمون يمرون بها فيأخذونها. فسميت تلك الغزوة بغزوة السويف لهذا الشأن، ووقف الرسول ﷺ راجعاً إلى المدينة، وكانت مدة هذه الغزوة خمسة أيام . . .

س ٣٣٥: / ما هي غزوة بني قينقاع باختصار؟ ومتى وقعت ولماذا؟!
ج: / في السنة الثانية، في منتصف شوال، على رأس عشرين شهراً

من الهجرة، كانت غزوة بني قينقاع، وهم طائفة من يهود المدينة.

وكان سبب الغزوة أن امرأة من المسلمين كانت تجلس عند دكان صائغ يهودي في سوق قينقاع، فائتئر مع يهودي آخر السخرية بها، ففرق ثوبها من الخلف وربطه بمشبك، والمرأة غافلة عنهم، فلما وقفت أخسر الثوب كاشفاً عن كفلها، وراح اليهود يضحكان، فصاحت المرأة، ورأى أحد المسلمين ما جرى فقتل اليهودي جراء فعلته القبيحة، فتنادي اليهود من كل صوب وقتلوا ذلك الرجل.

فلمّا علم رسول الله ﷺ بالأمر طلب أشراف اليهود فقال: «يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل الذي نزل بقریش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، وقد عرفتم أنّينبي ومرسل، وتجدون ذلك في كتابكم».

قالوا: يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب، فأصبحت منهم فرصة، إنا والله لو قابلناك لعرفت أنا نحن الناس.

ثم قاموا فانصرفوا، فنزل جبرائيل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ حِيَاتَهُمْ فَأَنْدَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال/ ٥٨] فاستخلف أبواباً لبابات على المدينة، وجعل على لوائه حزة عمّة، وخرج إليهم، فلما رأوا أنهم لا قبل لهم على حربه لجأوا إلى حصونهم يختهون بها، فضرب عليهم حصاراً امتد خمسة عشر يوماً حتى استد عليهم الحصار ورضوا بحكم

الله فيهم، وفتحوا أبواب الحصون، فأمر رسول الله ﷺ المنذر بن قدامة فأوثقوا الحاربين منهم، وكانوا سبعمائة، وظنوا أنهم مقتولون.

وكان عبدالله بن أبي رجلاً منافقاً بين المسلمين. فسأل رسول الله ﷺ أن يحسن إليهم، وأنه في مسألته، فحجب دماءهم على أن يخرجوا من المدينة ويخلّفوا أموالهم وأثناهم وضياعهم وقلاعهم، وهكذا كان ثم خرجوا إلى أذرارات في الشام . . .

س ٣٣٦: / كيف كان الكفار مع رسول الله ﷺ بعد الهجرة - أي من كفار قريش واليهود وغيرهم -؟!
ج: / لقد كانوا على ثلاثة أقسام:

الأول: وهم الذين عاهدوا الرسول ﷺ على أن لا يحاربوه ولا يُعينوا على حربه، وهم اليهود من بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع.

الثاني: وهم الذين حاربوه وناصروا أعداءه، وهم كفار قريش.

الثالث: وهم الذين لم يكن لهم شأن معه، بل كانوا يرقبون ما يكون من عاقبة أمره ﷺ مع الأعراب، لكن بعضهم كان يتمتّى ظهور أمره ﷺ كقبيلة خزاعة، خلاف بعضهم الآخر كبني بكر، وبعض كانوا معه ظاهراً ومع عدوه باطناً، كالمنافقين، وكطوائف اليهود الثلاث، ثم غدروا به، وكان بني قينقاع أول من نقض العهد منهم.

س ٣٣٧: / ما هي غزوة قرقرة الكدر؟ ومتى وقعت؟!

ج: / في شهر شوال من السنة الثانية كانت غزوة قرقرة الكدر، وهو ماء لبني سليم على ثلاثة منازل من المدينة، وسببها أنه بلغ رسول الله أن جماعة من بني سليم وبني غطفان اثمروا على الثأر لقرיש بالإغارة ليلاً على المدينة، فعزم على الخروج إليهم، وسلم لواء جيشه إلى أمير المؤمنين عليه السلام على رأس مرتين من أصحابه واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما سمعوا بمسير القوى الإسلامية إليهم تفرقوا، وعاد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى المدينة من غير قتال. ثم بعث سريّة بقيادة فارس من فرسانه يدعى «غالب بن عبد الله» إلى نفس تلك المنطقة، فوقع بينه وبينهم قتال محدود وعاد غالب إلى المدينة ظافراً بعد أن استشهد ثلاثة من رجاله.

س ٣٣٨: / ما هي غزوة ذي أمر بالتفصيل؟!

ج: / بلغ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أن قبيلة غطفان تجمع أفرادها، وتتأهب للعدوان على المدينة المنورة، فخرج رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه على رأس أربعمائة وخمسين رجلاً.

فلما سمع العدو بمسير رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إليهم خافوا خوفاً شديداً فهربوا إلى رؤوس الجبال، فراراً من النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وال المسلمين. فخرج النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إليهم يبحث عنهم فلم يلاق أحداً منهم، وقد غيبوا سرّهم وذارتهم في ذرى الجبال خوفاً وفرقاً.

نزل رسول الله ﷺ ذا أمر - هو واد بطريق فيد إلى المدينة - وعسكر معسكره هناك ، فأصابهم مطرٌ كثير ، فذهب رسول الله ﷺ ناحية ليقضي حاجة ، فأصابه ذلك المطر فبل ثوبه ، وقد جعل رسول الله ﷺ وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ، ثم اضطجع تحتها ، والأعراب ينظرون إلى كلّ ما يفعل .

قالت الأعراب لدعثور وكان سيدها وأشجعها : قد أمكنك محمد ، وقد انفرد من أصحابه ، حيث إن غوث بأصحابه لم يُغث حتى تقتله .

فاختار سيفاً من سيفهم صارماً ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس النبي ﷺ بالسيف مشهوراً ، ورسول الله ﷺ مستلق على قفاه .

فقال بنبرة خشنة مهددة : ما يمنعك متى اليوم؟ ، وقال النبي ﷺ :

الله .

فكان لهذه الكلمة أثر عجيب في نفس دعثور بحيث أربع ، ووقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ وقام به على رأسه ، فقال : ومن يمنعك متى اليوم؟ فقال : لا أحد ، ثم قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت حمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً .

فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ثم أدبر ، ثم أقبل بوجهه على النبي ﷺ وقال : أما والله لأنت خيراً متى .

قال رسول الله ﷺ: أنا أحق بذلك منك.

فأقى قومه، وقصّ عليهم ما جرى له مع النبي، وأنه أسلم، ودعا قومه إلى الإسلام قبل رسول الله ﷺ إسلامه، وبعد أن مثى خطوات رَدَّ إلى النبي سيفه الذي أعاده إليه النبي قبل ذلك واعتذر إليه، وقال: أنت أولى بهذا السيف لأنك قائد هذه السرية المصلحة .

وقيل وقعت في السنة الثالثة من الهجرة ويسمى بها البعض غزوة غطفان أو غزوة أنمار^(١)

(١) المنافب: ج ١، ص ١٦٤، المغازي: ج ١، ص ١٩٤ - ص ١٩٦ .

«السنة الثالثة من
الهجرة»

س ٣٣٩: / ما هي أهم الحوادث التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة؟!

ج: / أهمها هي: ١ - غزوة غطفان على قول. ٢ - غزوة بحران. ٣ - غزوة أحد. ٤ - غزوة حمراء الأسد. ٥ - وتزوج رضي الله عنه في تلك السنة من حفصة في شعبان، ومن زينب بنت خزيمة في شهر رمضان.

س ٣٤٠: / ما هي غزوة بحران وما سببها؟!

ج: / هي في ناحية فرع، وفُرع قرية من نواحي الربدة، وسببها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جماعاً من بيتي سليم تجمعوا في بحران يكيدون له، فخرج إليهم في ثلاثة من أصحابه، فتفرقوا في أراضيهم فلم يلق منهم أحداً، فانصرف راجعاً.

س ٣٤١ - س ٣٤٢: / ما هي غزوة أحد بصورة جميلة؟! ومتى وقعت؟!

ج: / في اليوم السابع من شهر شوال من السنة الثالثة وقعت غزوة أحد، وأحد جبل مشهور على فرسخ من المدينة، وذلك أن قريشاً لما رجعوا من بدر كانت أشدَّ ما تكون غضباً، وقد امتلأت الصدور منهم بالغبطة والخذلان على المسلمين فانصرفوا إلى إعداد جيش كبير وتجهيزه، حتى جعوا خمسة آلاف رجل مع ثلاثة آلاف من الإبل ومئتي فرس، وتوجهوا نحو المدينة لقتال رسول الله ﷺ، وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهن ويختتنهن على الحرب، ويرثين قتلى بدر لإثارة مكان الحقد والبغضاء.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه ودعاهم إلى الجهاد، ثم خرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضعًا للقتال، واختاروا أن يكون جبل أحد من خلفهم، وجلب عينين إلى يسارهم، والمدينة أمامهم، ونظراً لوجود شعب في جبل عينين فقد وضع رسول الله ﷺ عبد الله بن جبیر في خسین من الرماة على باب الشعب، وأشفع أن يأتي كمينهم من ذلك المكان، فقال عبد الله بن جبیر وأصحابه:

«إنرأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكَّة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإنرأيتموهن قد هزمناهم حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا، والزموا مراكزكم».

ولما فرغ ﷺ من تسوية صفوفه خطب أصحابه فقال:

«أيُّها الناس، أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه (وساق الخطبة الشريفة إلى قوله): قد بين لكم الحلال والحرام، غير أنَّ بينهما شبهًا من الأمر لم يعلمه كثير من الناس إلَّا من عُصِمَ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراغي إلى جنب الحمى أو شوك أن يقع فيه، وليس ملِك إلَّا وله حَيٌّ، ألا وإنَّ حَيَ الله محارمه؛ المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكي تداعى عليه سائر جسده، والسلام عليكم».

ومن جانب آخر، جهز المشركون صفوفهم، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد على الميمنة في خمسة رجل، وعكرمة بن أبي جهل في مثلها على الميسرة، وجعل صفوان بن أمية وعمراً بن العاص أميرين على الفرسان، وعبد الله بن ربيعة أميراً للرماء، وهو على رأس مئة من الرجال، وقد حلوا هُبَل على بعير في المقدمة، وشغل النسوة مؤخرة الجيش، وسلم اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة.

سأل رسول الله ﷺ: من هو حامل لواء الكفار؟ فقيل: إنه من بني عبد الدار، فقال: نحن أحق بالوفاء منهم.

فتقدم مصعب بن عمير، وهو من بني عبد الدار، فسأل اللواء فأُنسد إليه، فرفعه متقدماً القوم.

حتَّى طلحة بن أبي طلحة فرسه، وهو كبش الكتبية، وصاحب لواء

المشركين، وطلب البراز، فلم يجرؤ أحد على إجادته، لكنَّ علياً عليه السلام، برع إليه كالأسد المتصور وهو يرثي، فقال طلحة:

قد علمت يا قضم أنه لا يجسر على أحد غيرك، ثم شد عليه طلحة فضربه، فاتقاءه أمير المؤمنين عليه السلام بالحجفة (الترس)، ثم ضربه على مفرقه، فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب على عليه السلام ليجهز عليه فقال: أنشدك الله والرحم، فانصرف عنه.

سرّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم من قتله، ورفع صوته بالتكبير، وكثير المسلمين، ثم أخذ الراية بعد طلحة أخوه مصعب، فقتله على عليه السلام، وسقطت رايته إلى الأرض، ثم تعاقب بنو عبد الدار واحداً بعد واحداً لأخذ الراية كلما سقطت، وراحوا يتلقون واحداً تلو الآخر حتى لم يعد منهم أحد يرفع الراية، فأخذها غلام لهم يدعى صواب، فألحقه أمير المؤمنين عليه السلام بهم.

ورد في الخبر أن هذا الغلام كان جحيشاً ضخماً الجثة كالقبة المبنية، وكان فيه في ذلك الوقت يرغبي ويزيد، وعياناه حراوين، ويقسم أنه لن يقتل بدلاً عن أسياده سوى محمدًا صلوات الله عليه وسلم وقد خاف منه المسلمين، لكنه أمير المؤمنين عليه السلام عاجله بضربة قدمه من وسطه نصفين، فصلت نصفه الأعلى عن أسفله، فراح المسلمون ينظرون إليه بتعجب، ثم حملوا حملة صادقة اختلط فيها حابل المشركين بنايلهم، وهزموا شرّ هزيمة، وراح كل منهم يفر إلى ناحية، وسقط البعير الذي يحمل هبل، وطرح حولته

على الأرض، وأغار المسلمون في أثر المشركين يجتمعون ما يصل إلى أيديهم من الغنائم.

ولما رأى حُرَّاسَ الشَّعْبِ مَا يجْرِي جاَشُ فِيهِمُ الْطَّمَعُ، وَتَرَكُوا مَكَانَهُمْ مِنَ الشَّعْبِ، وَجَرَوْا يَطْلُبُونَ نَصِيبِهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَلَمْ تَجِدْهُمْ مَعَهُمْ مَنْاشِدَةً عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَبَيرَ لِلبقاءِ فِي مَوَاقِعِهِمْ، فَانسَلَّوْا مِنْهَا وَخَلَفُوا عَبْدَ اللَّهِ فِي أَقْلَى مِنْ عَشْرَةَ، فَاخْتَطَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعَ عُكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ فِي مِنْتَيْ فَارِسٍ عَلَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَبَيرٍ، وَقَدْ فَرَّ أَصْحَابَهُ وَبَقِيَ فِي نَفْرٍ قَلِيلٍ فَقْتَلُوهُمْ، ثُمَّ التَّفَّوْا مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَوَضَعُوا فِيهِمُ السِّيفَ، وَعَادَتْ رَأْيَةُ قَرِيشٍ إِلَى الْأَرْتِفَاعِ.

ونظرت قريش إلى الراية قد نصبوا فلاذوا بها. وجاء إبليس بصورة جُعْنَيل بن سراقة، ونادي: ألا إنَّ مُحَمَّداً قد قُتِلَ، وانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة قبيحة، حتى أنهم من ذهولهم وضعوا السيف في بعضهم، وأقبلوا يفرون في كل وجه، وتخلوا عن رسول الله ﷺ، فلم يبق معه إلا أبو دجانة وأمير المؤمنين عليّ، فكلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم عليّ فدفعهم عن رسول الله بسيفه حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة، وسمع منادٍ من السماء ينادي:

لَا سِيفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَا رِوْلَا فَتَّى إِلَّا عَلَىٰ

ونزل جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، هذه والله

المواساة، فقال رسول الله ﷺ، لأنّي منه وهو متى، فقال جبرئيل: وأنا منكما.

يروى إجمالاً أن عبد الله بن قميّة أقبل يريد قتل رسول الله ﷺ.

فذهب مصعب بن عمير - وهو صاحب راية رسول الله ﷺ - عنه فتحول ابن قميّة إليه وقطع يمينه، فأخذ الراية بيساره فقطعها، ثم أجهز عليه، وسقطت الراية، لكن ملكاً بصورة مصعب نصب الراية عالياً، ورمى ابن قميّة رسول الله ﷺ بحجر شجّه في وجهه فسال منه الدم، فجعل يتلقى الدم بيديه ويرمي به نحو السماء كي لا يسقط على الأرض فينزل العذاب، ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ؟!

وأصحابه عتبة بن أبي وقاص بحجر فشق شفته وكسر رباعيته، وحل بعضهم عليه بالسيف فجمد قبل الوصول إلى جسده الشريف، ويروى أنه حُمل عليه في تلك المممعة بسبعين ضربة سيف، لكن الله حفظه، ومع كل ذلك فهو لم يدع على القوم بل قال: اللهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون.

استشهاد حمزة بن
عبدالمطلب

وشهد هذه الواقعة وحشى عبد جبير بن مطعم، وكان يضمр الحقد على حمزة بن عبدالمطلب، فكمن له وهو منشغل بالقتال يهد الناس هداً، فأخذ حر بيته فهربها ورمي بها فوقعت في عانته، وخرج رأسها من الجانب الآخر، وعلى قول آخر: وقعت في خاصرته وخرجت من مثانته، فسقط شهيداً.

ثم إن وحشياً جاء إلى جثته فبقرها وأخرج كبده وأخذها إلى هند زوجة أبي سفيان، فأخذتها في فمهما فلاتكتها، فجعلها الله في فيها صلبة قاسية كي تلفظها فلا يختلط جزء من بدنها الشريف مع بدن كافر، ثم رمت بها، ومن هنا سُمِّيت هند بأكلاة الأكباد.

ثم إنها أعطت وحشياً كل ما كانت تزين به من حل وقلائد، وصارت إلى الجسد الشريف فجذعت أذنيه وجعلتهما قرطين، وقطعت أعضاء أخرى من بدنها تحملها معها إلى مكة، وتأتست بها نساء قريش، فرحن يمثلن بالشهداء، فقلعن العيون، ويفرن البطون، وقطعن الأعضاء، وسلكنها في خيوط واتخذن منها خلاخيل وأساور وقلائد،

كما جاء أبو سفيان إلى مصرع حمزة، وراح ينكت فيه بنصل سنانه
ويقول: ذق عقق!

ولما رأى الحُلَيْس بن علقمة ما جرى هتف قائلاً: يا عشر بني
كنانة، انظروا إلى من يزعم أنه سيد قريش ما يصنع بابن عمه الذي قد
صار لحماً، فبان الغضب في وجه أبي سفيان وقال: إنما كانت مني زلة،
اكتتمها عتّي!

س٣٤٣: / لماذا انتصر المسلمون أولاً؟ ولماذا انهزموا أخيراً في
وقعة أحد؟

ج: / لقد انتصروا لأنهم كانوا يقاتلون، ولا يجدوهم في ذلك شيء
حتى لحظة الانتصار إلا الرغبة في مرضات الله، ونشر عقيدة التوحيد،
وإزالة الموانع عن طريقها، فلم يكن لهم أي دافع مادي يشدّهم إلى
نفسه.

أما لماذا انهزموا لأن أهداف أكثر المسلمين ونواياهم قد تغيرت بعد
تحقيق الانتصار، فقد توجهت أنظارهم إلى العنائِم التي تركتها قريش في
أرض المعركة، وفروا منهزمين. لقد خوط إخلاص عدد كبير من
المسلمين، ونسوا على أثره أوامر النبي ﷺ، وتعاليمه، فغفلوا عن
ظروف الحرب . . .

٣٤٤: / ما هي غزوة حراء الأسد؟!

ج: / هي موضع يبعد ثانية أميال عن المدينة، وخلاصتها أن رسول الله ﷺ أمر بلاً أن ينادي بأنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى نبيه أن أخرج من وقتك هذا لطلب قريش ولا تخرج معك من أصحابك إلا من كانت به جراحة، فترك الأصحاب ما كانوا فيه من شأن العلاج ولبسوا لبوس الحرب على ما كان بهم من جراح وخرجوا في طلب قريش، يتقدّمهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ براية المهاجرين واستخلف على المدينة ابن أُم مكتوم.

[وكان ذلك في الغد من يوم الأحد، ولثلا تراجع قريش أمرها وتتوجه إلى المدينة]... وهناك مرَّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي رئيس بني خزاعة، وكانت خزاعة مسلمة ومشركهم يومذاك ذات علاقات طيبة جداً مع رسول الله ﷺ وال المسلمين وكانوا لا يخفون عن النبي شيئاً.

فتقدم معبد رئيسهم وعزَّى رسول الله ﷺ بما أصابه، وهو يومئذ مشرك قائلًا: يا محمد أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك، ولو ددنا أنَّ الله عافاك فيهم.

ثم خرج معبد حتى لقي أبو سفيان ومن معه بمنطقة تدعى بالرواء وقد عزموا على الرجوع إلى رسول الله ﷺ وأصحابه للكرة عليهم، واستصالهم، والقضاء عليهم بالمرة.

فلما رأى أبو سفيان معبداً - وكان معبد قد استهدف من خروجه

إلى أبي سفيان وجاءه المشركون القيام بخدمة لصالح النبي ﷺ وأصحابه -
قال: ما وراءك يا معبد، وماذا عندك من الأخبار؟

فقال معبد: وهو يريد إرعب قريش وصرفهم عن الرجوع إلى المدينة - محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أَر مثله قط ، يتحرّقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان مختلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق وشدة الغيظ عليكم شيء لم أَر مثله قط !!

فقال أبو سفيان: وقد أُرعب بشدة من هذا النبأ - ويحك ماذا تقول؟

قال معبد: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل .

قال أبو سفيان: فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لست أصل بقيتهم!

قال معبد: فإني أنهك عن ذلك .

وقد تركت كلمات معبد ، ووصفه لقوة المسلمين وعزمهم الشديد على توجيه ضربة إلى الكفار أثراها في نفس أبي سفيان الذي علّكه خوف شديد ، دعاه إلى الانصراف عن الرجوع إلى المدينة ثانية ، والعزم على القفول إلى مكة .

ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عس克روا ليلاً بمحمراء الأسد ، فأمر بأن يوقد المسلمون النيران فأوددوا خمساً نار حتى ترى من

المكان البعيد، وذهب صوت معس克هم ونيرانهم في كل وجه، وتصور العدو أن النبي جاءهم في جيش عظيم، فتشاوروا حول الرجوع إلى المدينة فنهاهم صفوان عن ذلك، فانصرفوا.

وبعد أن مكث بأصحابه أياماً، قفل ﷺ عائداً إلى المدينة، وفي طريق العودة ظفروا بمعاوية بن المغيرة بن العاص، وأبي غررة الجمحى، فأخذوهما إلى المدينة، وأمر رسول الله ﷺ بقتل أبي غررة، ذلك أنه كان قد وقع أسيراً في بدر، فعاهد على أن لا يعود لخرب المسلمين، فأطلقه، وراح يرجو رسول الله ﷺ أن يطلقه هذه المرة أيضاً، فقال ﷺ: «لا يلدع المؤمن من جحر مرّتين» وأمر به فقتل^(١).

٣٤٥: / متى كانت معركة أحد وغزوة حراء الأسد؟!

ج: / وقعت معركة أحد يوم السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة، هذا مضافاً إلى غزوة حراء الأسد التي استمرت إلى يوم الجمعة من ذلك الأسبوع نفسه، ف تكون قضايا ووقائع هذه الغزوة في الرابع عشر من شهر شوال من نفس تلك السنة.

(١) السيرة النبوية: ج ٢، ص ١٠٢، إمتناع الأسماع: ج ١، ص ١٦٩ وص ١٧٠، والطبقات الكبرى: ج ٢، ص ٤٩.

«السنة الرابعة من
الهجرة»

س ٣٤٦: / ما هي أهم حوادث ووقائع العام الرابع الهجري؟!

ج: / أهمها هي:

- ١ - جريمة معونة والرجيع.
- ٢ - غزوة بني النضير.
- ٣ - غزوة ذات الرقاع.
- ٤ - بدر الثانية.

س ٣٤٧: / ما هي جريمة الرجيع؟!

ج: / هي عملية غدر بالدعوة إلى الإسلام وقتلهم، لقد مشت جماعة من قبيلتي عضل والقاراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا - وهم يضمرون المكر - يا رسول الله إن فينا إسلاماً فاشياً فابعث علينا نفراً من أصحابنا يقرئوننا القرآن، ويفقهوننا في الإسلام.

رأى رسول الله ﷺ أن من واجبه الاستجابة لمطلب تلك الجماعة التي كانت تقتل قبائل كبرى، وكما رأى المسلمون أيضاً أن من واجبهم أن يستفيدوا من هذه الفرصة مهما كلف الثمن.

من هنا بعث رسول الله ﷺ جماعة بقيادة مرثد بن أبي مرثد الغنوبي مع تلك الجماعة إلى القبائل المذكورة فخرج هؤلاء المبلغون ووفد القبيلتين من المدينة متوجهين إلى حيث تتوارد عضل وقارة، ولما كانوا بما يسمى الرجيع تقطن عنده قبيلة تدعى هذيل كشف مندو بو القبيلتين عن نوابا لهم الشّريرة، واستصرخوا هذيلاً وكعبيناً من رجالهم، وكانوا مائة رام وبأيديهم السيوف فأحاطوا بالدعوة ي يريدون أسرهم ثم قتلهم وإبادتهم !!

فلم ير المبلغون بدأ - وهم محاطون بتلك الجماعات المسلحة - من اللجوء إلى سيوفهم والدفاع عن أنفسهم ولكن العدو قال: ما نريد قتالكم، وما نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثناً، ولكن عهد الله وميثاقه لا نقتلكم !!

فنظر الدعاة بعضهم إلى بعض، وقرر أكثرهم المقاومة وعدم الرضوخ لهذا العرض الغادر، والحظة الماكرة، وقال أحدهم: إني نذرت أن لا أقبل جواراً مشركاً ثم جعلوا يقاتلون القوم قتال الرجال الأبطال، حتى قتلوا إلا ثلاثة هم: زيد بن ثنية وخيبي بن عدي وعبد الله بن طارق البليوي فقد أغmed هؤلاء سيفهم وسلموا، فأخذناها ووثقوا بأوتار قسيهم، ولكن عبدالله ندم على فعله، فترزع يده من رباطه ثم أخذ سيفه وراح يقاتلهم حتى قتلوه رمياً بالحجارة، وقد اخازوا عنه وهو يشد فيهم وينفرجون عنه، ودفن في مر الظهران.

ثم أخذوا الأسيرين الآخرين خبيب وزيد وقدموا بهما مكة فباعوها لأهل مكة، فأمّا زيد بن الدثنّة فقد اشتراه صفوان بن أمية وقتله ثاراً لأبيه، وأمّا خبيب فقد حبس مدةً من الزمان حتى قرر ندوة مكة قتله فقتلوه... وللحادثتين قصة عجيبة لا مجال لذكرها لقصر البحث... .

س ٣٤٨: / ما هي جريمة بئر معونة؟!

ج: / في شهر صفر من السنة الرابعة وقبل أن يصل نباء مصرع الدعاة المذكورين واستشهادهم على أيدي المشركين في منطقة الرجيع إلى النبي ﷺ قدم أبو براء العامري المدينة فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فلم يسلم ولكنه قال للنبي ﷺ: إني أرى أمرك حسناً، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فإنهم اتبعوك بما أعزك.

فقال رسول الله ﷺ: إني أخى عليهم أهل نجد.

قال أبو براء: لا تخف، أنا لهم جارٌ، فابعثهم فليدعو الناس إلى أمرك.

بعث رسول الله ﷺ أربعين رجلاً من خيار المسلمين من أصحابه من حفظوا القرآن وعرفوا أحكام الإسلام، وأمرَ عليهم المنذر بن عمرو فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم وهم يحملون من رسول الله ﷺ كتاباً إلى عامر بن الطفيلي أحد

زعماء نجد، وكلف أحد المسلمين بإيصال ذلك الكتاب إلى عامر، فلما أتاه الكتاب لم ينظر فيه حتى عدا على الرجل - حامل الكتاب - فقتله، ثم استصرخ بني عامر على المبلغين، فأبوا أن يحيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن ننقض عهداً أبي براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً.

فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى نزلوا حيث نزل جماعة الدعاء، فأحاطوا بهم في رحابهم، فلما رأوهم أخذوا سيفهم، ثم قاتلواهم حتى قتلوا عن آخرهم بعد أن أبدوا مقاومة كبيرة، ويسالة عظيمة، ولم يكن يتوقع منهم غير ذلك.

فإإن مبعوثي النبي ﷺ لم يكونوا مجرد رجال فكر وعلم فقط، بل كانوا رجال حروب، وأبطال معارك، ولذا رفضوا الاستسلام للمعتدين، واعتبروا ذلك عاراً لا يليق بالمسلم الحراة الأبي، فقاتلواهم حتى استشهدوا جميعاً، إلا كعب بن زيد، فإنه جرح فعاد بجراحه إلى المدينة وأخبر رسول الله ﷺ بما جرى لأصحابه على أيدي قبائل بني سليم المشاركة الغدرة.

فحزن رسول الله ﷺ وال المسلمين جميعاً لهاتين الحادثتين - بئر معونة والرجيع - المفجعتين أشد الحزن بل ولم يجد على قتل مثل ما وجد عليهم، وبقي رسول الله يذكر شهداء بئر معونة ردحاً من الزمان^(١).

(١) إمتحان الأسماع: ج ١، ص ١٧٠ - ١٧٣.

ولما سمع أبو براء بما جرى حزن حزناً شديداً حتى مات غمماً، وأماماً عامر بن الطفيلي فقد هلك من غدة أصيب بها في بيت امرأة سلوالية، وذلك بعد أن دعا عليه رسول الله ﷺ، ويقال إنه بقي شهراً أو أربعين يوماً يدعى على قبائل رعل وذكوان وعصبة - قبائل بن سليم - ويضيف إليهم في اللعن بني لحيان عَضْل وقارة - وهم أصحاب جريمة الرجيع -.

س ٣٤٩: / لماذا أقدم النبي ﷺ على إرسال مجموعة كبيرة من خيرة الدعاة والبلغين إلى «نجد» مع أنه حصل على تجربة مرّة؟! ألم يقل رسول الله ﷺ: «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرّتين»؟!

ج: / إن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال مراجعة النصوص التاريخية، لأن المجموعة الثانية قد بُعثت في جوار من أبي براء - عامر بن مالك بن جعفر - والذي كان رئيساً لقبيلة بني عامر، ولم تفعل قبيلته ما خالف جوار رئيسهم ولم يشركوا في تلك الجريمة وقد بقي أبو براء نفسه في المدينة تأكيداً لجواره، ريثما يرجع فريق التبليغ إلى المدينة.

ثم إن جماعة البلّغين المذكورة - الثانية - كانت قد بُعثت عند مغادرتها المدينة وتوجهها إلى منطقة أبي براء رجلين من رجالها هما: عمرو بن أمية وحارث بن الصمة - أو المندز بن محمد - ليرعيا إبل الجماعة ويحافظا عليها، وبينما كان الرجالان يقومان بواجبهما إذ أغارت عليهما عامر بن الطفيلي، فقتل حارث بن الصمة، وأطلق سراح عمرو بن أمية.

فعاد عامر إلى المدينة في أثناء الطريق التقى - عمرو بن أمية - رجلين من العامريين فرافقهما وأمهلهما حتى إذا ناما وثب عليهما فقتلهما، وهو يرى بأنه انتقم لزملائه من المسلمين من بني عامر، وقد أخطأ في تصوره هذا لأن بني عامر لم تخفر جوار سيدها أبي براء ولم تنقض أمانة كما أسلفنا، ولم يشترك في جريمة قتل الدعاة الأربعين. فلما قدم على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، حزن رسول الله ﷺ لذلك وقال لعمرو: «بئس ما صنعت، قتلت رجلين كان لهما مني أمان وجوار، لأدفعن ديتهم». .

ولكن الإجابة الأكثر وضوحاً هو ما يذكره ابن سعد صاحب الطبقات إذ يقول: وجاء رسول الله ﷺ خبر أهل بئر معونة، وجاءه تلك الليلة أيضاً مصاب خبيب بن عديّ ومرثد بن أبي مرثد^(١).

أي أن خبر الغدر في الرجيع وبئر معونة جاءا سوية مقرئون لم يكن أحدهما سابق على الآخر... فلم يعلم بالأول حتى يلدع من الثانية... .

س ٣٥٠: / متى وقعت غزوة بني النضير؟ وما هي بالتفصيل؟!

ج: / وقعت في شهر ربيع الأول في السنة الرابعة من الهجرة.

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ٥٢.

ومن الجدير ذكره أن يهود بني النضير كانوا يبلغون الألف، في حين يعذّ يهود بني قريظة سبعمائة، وكان بني النضير أكثر مالاً وأحسن مالاً من قريظة، وكانتوا حلفاء لعبد الله بن أبي المنافق، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتيل، وكان القتيل من بني النضير قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتيل منكم، فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتتلوا، حتى رضيت قريظة وكتباً بينهم كتاباً على أنه إنما رجل من النضير قتل رجلاً من قريظة أن يُقعد على جمل، ويُولى وجهه إلى ذنب الجمل، ويُلْطخ وجهه بالقير الأسود ويدفع نصف الديمة.

وإنما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من بني النضير أن تدفع إليه الديمة كاملة، ويقتل به أيضاً.

وكانوا جميعهم يقيمون في المدينة بعد أن أمنتهم رسول الله ﷺ شريطة أن لا يثروا عليه أعداءه، وأن لا يخالفوا أعداء الدين.

وحدث أن قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير، فبعث إليهم بني النضير يطلبون دية القتيل، ويطلبون القاتل ليقتلوه، وذلك حسب العهد المبرم بينهما.

وكان الإسلام في هذا الوقت قد اشتَدَ عوده، وقويت شوكته، فرأى بني قريظة في ذلك فرصتهم لنقض العهد، فأرسلوا إلى بني النضير أن العهد شيءٌ غلبتُمُونَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ حُكْمُ التُورَاةِ، فَإِنَّمَا الْدِيْمَةُ .
القتل وإنَّمَا هَذَا مُحَمَّدٌ يَبْنُا وَبَيْنَكُمْ فَهَلْمَوْا نَحْنُ حَاكِمُوْنَا إِلَيْهِ .

ولما عرضت الخصومة على رسول الله ﷺ قضى بنقض العهد المبرم بينهما لبطلانه. ورضي بنو قريظة.

- بالطبع - بحكمه، في حين اغتمّ بنو النضير وأضمرموا في أنفسهم الكيد للنبي ﷺ إذا واتتهم الفرصة.

وأتت الفرصة المرتقبة لما قتل عمرو بن أمية الرجلين العامريين اللذين كانا في جوار رسول الله ﷺ، فقدم النبي ﷺ إلى بنو النضير يستقرض منهم دية القتيلين، فرحبوا به ودعوه إلى ضيافتهم، وقال له كعب بن الأشرف: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحبت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا فرصة أحسن من هذه، فهذا محمد جالس إلى جانب جدار من بيوتنا، فمن رجل يعلو على هذا البيت ويلقي عليه صخرة؟ ويريحنا منه؟

هذا رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، أتاه جبرئيل يخبره بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا؛ وخرج راجعاً إلى المدينة، وأمر محمد بن مسلمة بالذهب إلى بنو النضير وإنذارهم بالجلاء عن المدينة خلال عشرة أيام، لأنهم غدروا وخانوا العهد، فمن شوهد منهم بعد هذه المهلة عرض نفسه للهلاك.

وتهيأ اليهود للخروج، لكن عبد الله بن أبي أرسل لهم يقول: لا تخرجوا، فإن معكم ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصنكم ويمدونكم بالعون، فإن قاتلتم قاتلوا معكم.

ونزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِئَنْ أُخْرَجْتُمْ مَعَكُمْ وَلَا طُبِعَ فِي كُوْنِكُوْمَا أَبَدًا وَإِنْ قُوْتُلْتُمْ لَتَصْرِيْكُوْمَا وَاللَّهُ يَتَهَدِّدُ إِنْهُمْ لَكَبِيْرُوْنَ﴾ [الحشر / ١١].

ثم إن اليهود تحصنوا بمحضونهم وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن اصنع ما بدا لك، فنحن لن نغادر بيوتنا؛ فقام رسول الله ﷺ وكثير، وكثير أصحابه، وقال لأمير المؤمنين ع: ﴿أَنْ اصْنَعْ لِكُمْ مِمَّا شَاءْتُمْ﴾.

تقدّم إلى بني النضير، فأخذ عتبة الراية وتقدم، وجاء النبي ﷺ في إثره، وأحاط بمحضونهم، وغدر بهم عبدالله بن أبي.

﴿كَثُلِ الشَّيْطَنُ إِذَا قَالَ لِلْإِنْسَنِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيْتُهُ مِنْكُوْمَا إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمَيْنَ﴾ [الحشر / ١٦].

قضى اليهود في ضيق الحصار خمسة عشر يوماً، ثم أمر رسول الله ﷺ بقطع نخلهم من جذوره، إلا ما حل العجوة منها، ويقال إنه فعل ذلك كي يجزع اليهود ويقطعوا الأمل من البقاء ولما اشتد الأمر عليهم قالوا: يا محمد تخرج من بلادك، فأعطانا مالنا، فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ما حللت الإبل، فلم يقبلوا، فبقاء أياماً ثم قالوا: تخرج، ولنا ما حللت الإبل، فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً، فخرجوا على ذلك، ودفعهم غيطهم إلى تخريب بيوتهم أيقونة بوقوعها غنية للمسلمين، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُوْنَ مِنْهُمْ يَا يَاهُمْ وَيَاهُي الْمُؤْمِنِيْنَ فَاعْتَرُوا يَاهُلِ الْأَبْصَرِ﴾ [الحشر / ٢].

ثم ولّ رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إخراجهم، فخرجوا كل ثلاثة منهم على بعير وقربة، ويقال إنها كانت سمتة بعير، وأذن لهم بحمل ما استطاعوا حمله، إلا السلاح، وعبروا سوق المدينة وهو يضربون على الدفوف وينشدون إخفاء لعجزهم وغيبتهم، وخرج قوم منهم إلى الشام، وآخرون إلى خير.

وكان غنائمهم خالصة لرسول الله ﷺ، فخير الأنصار بين أن يقسم غنائم بني النضير بينهم وبين المهاجرين، ويكون المهاجرون والأنصار كما كانوا، وبين أن يخصّ بها المهاجرين ولا يكونوا بعد ذلك مع الأنصار، فاختاروا الأخير.

وذلك أن رسول الله ﷺ كان لما أمر المهاجرين بالهجرة إلى المدينة قضى بأن يأخذ كل رجل من الأنصار رجلاً من المهاجرين في بيته، ويكون شريكه في ماله ومعاشه، وبقي الأمر على ذلك حتى كان ما كان من إجلاء بني النضير، وقبول الأنصار بقسمة الغنائم على مساكين المهاجرين، وأن يبقوا كما كانوا شركاء في المعاش والبيوت، فدعا رسول الله ﷺ وقال: اللهم ارحم الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

ثم إنه قسم الغنائم بين المهاجرين، ولم يعط من الأنصار إلا رجلين هما سهل بن حنيف وأبو دجانة، فإنهما كانا محتاجين.

ونزل في الأنصار قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ثُبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صَدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُتُوا وَيُنْقَرِّونَ عَلَىٰ

أَنفَسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يُهْمَ حَسَاصَةً وَمَنْ يُؤْقَ شَعَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِبُونَ ﴿١﴾ [الحشر / ٩].

ثم إنه عليه السلام وهب مزارع القوم ومرابعهم وأبارهم وأنهارهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام فوقفها على أولاد فاطمة عليها السلام.

س ٣٥١: هل سُفك أي دم في غزوة بنى النضير؟

ج: يعتقد أكثر المؤرخين المسلمين أنه لم يُسفك في هذه الحادثة أي دم . . .

ولكن المرحوم الشيخ المفید يكتب في إرشاده: أنه وقع ليلة فتح حصنون بنى النضير قتال محدود قتل فيه عشرة من اليهود وكان ذلك هو السبب في فتح تلك الحصون^(١).

س ٣٥٢ - س ٣٥٣: لماذا سميت بغزوة ذات الرقاع؟ وما هي؟!

ج: قيل إنها سميت بهذه الغزوة، وهذا الجهد المقدس بالرقاع، لأن المسلمين مروا بأرض بقع سود، وبقع بيض كأنها مرقطة برقاع مختلفة.

وربما قيل لأن الحجارة أوهنت أقدام المجاهدين فكانوا يلقون على أرجلهم الخرق والرقاع مسميين هذه الغزوة بذات الرقاع ويرجعها

(١) الإرشاد: ص ٤٧، ٨٤.

البعض إلى أن الرايات كانت تتخذ من الرقاع، والبعض الآخر إلى وجود جبل في تلك الأرض ذي ألوان متعددة كالثوب المرقع والبعض الآخر: إنه اسم شجرة نزل عندها رسول الله ﷺ. وعلى كل حال فإن هذه الغزوة لم تكن ابتدائية تماماً مثل بقية الغزوات، بل كان لإطفاء شرارة كانت على شرف الإشتعال، والأنفجار، وبالضبط جاءت لتقضي على تحركات واستعدادات عدائية كان يقوم بها بنو محارب وبنو ثعلبة وكلاهما من قبائل غطفان.

فأقى النبي ﷺ الخبر ذات مرة أن القبيلتين المذكورتين تنويان جمع الأسلحة والرجال لاجتياح المدينة وغزوها، فسار إليهم رسول الله ﷺ على رأس مجموعة من رجاله وأصحابه حتى نزل مخلأً بمنجد قريبة من مكان العدو.

فلجأ العدو إلى الانسحاب إلى رؤوس الجبال، وقد خافوا لأنّ يبرح رسول الله ﷺ حتى يستألهُم.

وقد صلَّى رسول الله ﷺ بال المسلمين في هذه الغزوة صلاة الخوف... وأغلبظن أن العدو كان في هذه الغزوة قوياً في تجهيزاته وقواه، وأن الأوضاع العسكرية قد وصلت إلى مرحلة خطيرة مما سبب الخوف ولكن الانتصار كان في المال من نصيب المسلمين.

مع أن جيش الإسلام قد عاد إلى المدينة من هذه الغزوة من دون قتال ولكنه أصاب مع ذلك بعض الغنائم... .

وقيل هذه الغزوة كانت في السنة السادسة من الهجرة.

س٤٥٤: ما هي بدرُ الثانية؟!

ج: لما أراد أبو سفيان أن ينصرف يوم أحد نادى: موعدكم بدرُ الصفراء العام القابل لتلقي فيه فنتل.

ولهذا أمر رسول الله ﷺ المسلمين بأن يتهيأوا للدفاع عن أنفسهم وقد مر على وقعة أحد عام واحد.

وكان أبو سفيان الذي كان يترأس قريش آنذاك يواجه في ذلك الوقت مشاكل داخلية مختلفة فكره الخروج إلى رسول الله في الموعد الذي ضربه لمقاتلة المسلمين، واتفق أن قدم مكة في تلك الأيام نعيم بن مسعود الذي كانت بينه وبين أبي سفيان علاقات صداقة خاصة، فجاءه أبو سفيان وقال له: إني وعدتُ محمداً وأصحابه يوم أحد أن نلتقي نحن وهو ببدر الصفراء على رأس الحول، وقد جاء ذلك، ولا يصلح أن نخرج إليه العام.

فقال نعيم ما أقدمني إلا ما رأيتُ محمداً وأصحابه يصنعون من إعداد السلاح والكراع، وقد تجلّب إليه حلفاء الأوس، فترك المدينة أمس وهي كالرمانة.

فزاد ذلك من مخاوف أبي سفيان، وضاعف من كراهته للخروج إلى رسول الله ﷺ. وتقرر وبالتالي أن يعود نعيم إلى المدينة ويحذر المسلمين من الخروج للموعد، ويخذلهم.

وعاد نعيم إلى المدينة، وراح يرعب أصحاب رسول الله ﷺ وبخوفهم من الخروج إلى أبي سفيان إلا أن كلامه لهم لم يترك أي أثر في نفس رسول الله ﷺ، فخرج ﷺ، في ألفي وخمسين مقاتل من أصحابه، وقد خرجوا ببعضائهم لهم، وتجارات حتى انتهوا إلى بدر وقام السوق السنوي هناك فباعوا واشتروا في موسم بدر وربحوا كثيراً ثم تفرق الناس، ولكن النبي وأصحابه بقوا هناك ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان وجشه.

وقد كان هذا الإجراء إجراء عسكرياً حكيمًا ورائعاً إذ اظهر قوة النبي وعزيمته وقوة أصحابه وعزيمتهم، ولهذا كان له أثر قوي في نفوس الأعداء.

فلما بلغت أنباء خروج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر، لم ير حكام مكة المشركون بدأ من الخروج إلى بدر حفاظاً على ماء الوجه، فخرج أبو سفيان والمشركون بتجهيزات كافية إلى مر الظهران، ولكنهم عادوا من منتصف الطريق إلى مكة بموجة الغلاء والقطط، فاعترض صفوان بن أمية على أبي سفيان وقال: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترأوا علينا، ورأوا أنها قد أخلفناهم، وإنما خلفنا الضعف عليهم^(١).

(١) تاريخ الخميس: ج ٦١، ص ٤٦٧.

«السنة الخامسة من
الهجرة»

س ٣٥٥: / ما هي أهم حوادث ووقائع العام الخامس من الهجرة؟!

ج: / أهمها:

- ١ - زواج النبي من زينب بنت جحش ومن برة بنت الحارث بن أبي ضرار.
- ٢ - غزوة المُرْسَع.
- ٣ - غزوة الخندق - الأحزاب -.
- ٤ - غزوة بني قُريظة.
- ٥ - غزوة دومة الجندل.

س ٣٥٦: / ما هي أول الحوادث السابقة في السنة الخامسة من الهجرة؟!

ج: / أول هذه الحوادث - كما عليه المؤرخيون المسلمين - هو

زواج رسول الله ﷺ من زينب . . .

ويرى مؤلف كتاب تاريخ الخميس أن هذه الحادثة وقعت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة ولكن هذا الرأي يبدو غير صحيح من وجهة نظر الحاسبة الاجتماعية، لأن رسول الله ﷺ كان منشغلاً بغزوة الأحزاب وبني قريضة من (٢٤) شهر شوال من السنة الخامسة إلى (١٩) من شهر ذي الحجة من نفس السنة فيكون تحقق مثل هذا الزواج في مثل هذه الظروف أمراً مستبعداً جداً، وإذا كان الزواج من زينب يُعدّ من حوادث السنة الخامسة لزم أن يكون قد تحقق قبل الحادثتين - الأحزاب وبني قريضة . . .

س ٣٥٧: من هو زيد بن حارثة؟!

ج: هو الذي أسر في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام من أجل عمه خديجة، في سوق عكاظ من نواحي مكة، فوهبته خديجة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ، ولما علم أبوه حارث بن شراحيل الكلبي بذلك قدم إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه متتمساً إطلاق أبنته لقاء فدية، فطلب إليه صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يخير ولده بين الذهب مع أبيه أو البقاء، فقال زيد: لا اختار على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أحد، قال أبوه: أي بني، اختار العبودية على الحرية، وتهجر أباك؟

قال: لقد رأيت من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ما لا اختار معه غيره أحداً.

لما سمع رسول الله ﷺ قوله صحبه إلى الكعبة، وقال لمن فيها: إني أشهدكم على أن زيداً أبي، يرثي وأرثه، فلما رأى حارثة ذلك زال غمه على ابنه وقفل راجعاً ومذ ذلك أضحي زيد معروفاً بزيد بن محمد، وكان ذلك حتى أمر الله عز وجل بالجهر بالإسلام نزلاً الآية المباركة: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدِيعَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ولما نزل الحكم في قوله تعالى: ﴿أَدْعُوكُمْ لِأَبَابِيهِمْ﴾ صاروا يدعونه زيد بن حارثة، وكفوا عن تسميته بزيد بن محمد، كما أن الآية الشريفة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ إشارة أيضاً لهذا الأمر... . وزيد يكتفي بأبيأسامة، بسم ولدهأسامة، وقد استشهد في مؤنة حيث استشهد جعفر بن أبي طالب ﷺ... . تزوج زيد من زينب بنت جحش ابنة عمّة النبي ﷺ ثم طلقها فتزوجها رسول الله ﷺ.

س ٣٥٨: / كيف تزوج زيد من زينب بنت جحش؟ ولماذا؟!

ج: / لقد كان من أهداف رسول الله ﷺ هو إزالة التقاليد العربية الجاهلية البالية التي كانت تقضي بأن لا يزوج بنات السادة والأشراف أبناء الطبقات الضعيفة والفقيرة.

ولأجل تحطيم ذلك التقليد الجاهلي الخاطئ ذهب رسول الله ﷺ بنفسه إلى منزل ابنة عمته زينب، وخطبها لزيد، فلم تبد زينب وأنخوها رغبةً في هذا الأمر في الوهلة الأولى لأن الأفكار الجاهلية كانت لا تزال متربصة في قلوبهم، ومن ناحية أخرى كان الرد على النبي ﷺ أمراً صعباً

ولهذا تذرعاً بعبودية زيد السابقة وحاولاً بذلك التخلص من مطلب النبي ﷺ.

فلم يلبثا أن نزل قوله تعالى بشجب رد زينب وأخيها لطلب النبي ﷺ: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَّلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَلْحَى رِبَّهُمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [الأحزاب: ٣٦].

فتلاها رسول الله ﷺ عليهم فوراً فدفع إيمان زينب وأخيها الصادق برسول الله ﷺ وأهدافه المقدسة إلى أن تبادر زينب إلى الإعلان عن رضاها ورضا أخيها بهذا الزواج.

س ٣٥٩: / لماذا طلق زيد بن حارثة زوجته زينب؟!

ج: / يعزي البعض ذلك إلى نفسية زينب وسلوكها الحاد حيث كانت ربما تذكر لزيد دنو حسبيه وعلق حسبيها، وبذلك كانت تمر في ذاتقته طعم الحياة وتسبب ازعاجه.

ولكن يحتمل أن السبب وراء هذا الطلاق كان هو زيد نفسه، فإن تاريخ حياته يشهد بأنه كان يعاني من روح العزلة، وعدم الألفة، فقد اتخذ أزواجاً متعددة وطلقهن - إلا الأخيرة منها - حيث استشهد عنها وهي في حالته - ف تكون هذه الطلقات المتعددة دليلاً على عدم القدرة على الانسجام مع زوجاته، كحالة نفسية كان يعاني منها.

ويشهد بذلك أيضاً خطاب رسول الله ﷺ الحاد فإن النبي ﷺ لما عرف بأن زيداً يغى طلاق زوجته زينب غضب وقال: «أمِّكَ عَلَيْكَ رَزْجَكَ وَأَنْقَنَ اللَّهُ» [الأحزاب / ٣٧].

ولو كان الذنب كله ذنب زوجته زينب لما كان يُعدّ تطليقها عملاً مخالفًا لللتقوى . . .

ومهما يكن فقد طلق زيد زينباً وافترقا، ثم تزوج بها النبي ﷺ بعد ذلك.

س ٣٦٠: / ما هي فلسفة وعلة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش؟

ج: / لقد كان المجتمع العربي - الجاهلي - يعذّ الابن بالتبني كالولد الحقيقي دون فرق، وقد كلف رسول الله ﷺ من جانب الله تعالى بأن يقضي على هذا التقليد الجاهلي والسنة الخاطئة بأجواء عمل صارخ وذلك بالتزوج بزينب مطلقة متباه زيد، ومحي من حياة المجتمع العربي هذا التقليد القبيح بالعمل الذي يفوق القول، ووضع القانون في التأثير والفاعلية ولم يكن لهذه الزينة غير هذا السبب.

لقد كان هذا التقليد أمراً مقدساً في المجتمع العربي بشكل كبير جداً بحيث لم يكن أحد ليجرأ على نقضه ومخالفته والتزوج بمطلقة دعية - الدعى هو الابن المتبني وجمعه أدعياء - لقبحه في نظر العرب لذلك دعا

الله سبحانه نبيه إلى القيام بهذا العمل الخطير ، إذ قال :

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَنْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَنْتِنَّ اللَّهَ وَخَلِفِي فِي نَسِيكَ مَا أَنَّ اللَّهَ مُبِدِيهِ وَخَلَقَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى رَبِيدٌ يَتَهَا وَطَرَا زَوْجَتَكَهَا لِكَنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَاجٍ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب / ٣٧]

إن هذا الزواج مضافاً إلى كونه استهدف منه تحطيم سنة جاهية مقيدة «سنة عدم الزواج بمطلقة المتبني» وإعادة العلاقات العائلية إلى وضعها الصحيح يعتبر من أقوى مظاهر المساواة في الإسلام ، لأن النبي ﷺ تزوج بمطلقة عتيقه وقد كان مثال هذا العمل مخالفًا لشؤون المجتمع يومذاك.

ولقد أشار هذا الإقدام الشجاع موجةً من الاعتراض والنقد من جانب المنافقين ، أصحاب العقول الضيقة فقد طرحت هذه المسألة في الأوساط والنوادي وأخذوا يشنعون بها على رسول الله ﷺ ويقولون : لقد تزوج محمد بمطلقة دعية .

فأنزل الله تعالى في الرد على تلكم الأفكار والأقوال الباطلة قوله :
 ﴿هُمَا كَانَ حَمْدًا لِّي أَحَدٌ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ يُكْلِلُ شَيْئًا عَلَيْسًا﴾ [الأحزاب / ٤٠].

على أن القرآن لم يكتف بهذا البيان بل امتدح نبيه الذي نفذ حكم الله بشجاعة كاملة بقوله :

﴿مَمَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ شَيْئًا أَلَّا يَعْلَمُ فِي الَّذِينَ حَلَّوْا مِنْ قَبْلِهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَّرًا مَقْدُورًا ﴾٢٨﴾ الَّذِينَ يُلْفُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَهُ إِلَّا أَلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾٢٩﴾ [الأحزاب / ٣٩ - ٣٨].

وخلال المقاد طاتين الآيتين هي أن رسول الله ﷺ كغيره من الأنبياء يُبلغ رسالات الله ولا يخاف لوم اللائين وكيد المنافقين، وارجاف المرجفين . . .

س ٣٦١: / هناك عبارتين في الآية القرآنية نرجوا توضيجهما وهما قوله تعالى: ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾؟!

ج: / ١ - قال المفسرون: إن المقصود مما كان يخفى هو الوحي الإلهي الذي أنزله الله عليه، وتوضيح ذلك هو: أن الله تعالى أوحى إليه بأن زيداً سيطلق زوجته رغم نصيحة النبي، وأنه سيتزوج بها من بعده لإبطال سنة جاهلية مقيدة - وهي حرمة الزواج بمطلقة الدعوي -.

ومن هنا كان ﷺ حين نصيحته لزيد وهي عن تطليق زينب زوجته ملتفتاً ومتبعهاً إلى هذا الوحي الإلهي أيضاً، ولكنه أخفى هذا الوحي عن زيد وغيره، ولكن الله تعالى أخبر النبي ﷺ في تلك الجملة بأنه تعالى سيدني للناس ما تخفى رسول الله ﷺ في قلبه، وأن الأمر لن يبقى خافياً على أحد بإخفائه ﷺ . . .

٢ - الآية الثانية: كان **ﷺ** يتصور أن جماعة العرب الذين لم يكن عهدهم بالإسلام طويلاً ما لم يمر على انقطاعهم من عاداتهم وتقاليدهم الجاهلية سوى زمن قصير سيقولون: إن النبي **ﷺ** ارتكب عملاً سيئاً والحال أن الأمر ليس كما يعتقدون.

س ٣٦٢: / ما هي قصة غزوة المُرِيسِع؟ وقصة زواجه **ﷺ** من برة بنت الحارث؟!

ج: / **المُرِيسِع**، هو بئر ينزل عندها بنو المصطلق، وكان البئر لخزاعة بين مكة والمدينة من ناحية القديد، وهذه الغزوة تسمى أيضاً غزوة بني المصطلق، وهو لقب جذيمة بن سعد، وهم بطون من خزاعة، وكان سيد القوم وقائدتهم الحارث بن أبي ضرار، عد جمع لحرب رسول الله **ﷺ**، فلما بلغه الخبر جهز أصحابه لقتالهم، وخرج من المدينة يوم الاثنين الثاني من شعبان، وبصحبته زوجته أم سلمة وعائشة، وعند مسيرهم بلغوا وادياً خوفاً فنزلوا هناك، وأتاه جبرئيل ينبه أن جماعة من كفار الجن قد أجمعوا على إنزال الأذى بأصحابه، فأرسل يستقدم عليه **ﷺ**، فأرسله لقتالهم، وكتب له الظفر عليهم . . .

ثم إنه **ﷺ** قدم أرض المريسيع فلقي الحارث وقومه وكان بينهم قتال شديد، فقتل قادة حامل لواء المشركين ويدعى صفوان، وسقط اللواء، كما أن علياً قتل رجل منهم يدعى مالكاً وابنه، وانهزم القوم، وخرج المسلمون في أثرهم فقتلوا منهم عشرة رجال آخرين، وسقط لل المسلمين شهيد واحد.

وبعد ثلاثة أيام من الجدال قتل جماعة منهم، وبلغ آخرهم إلى الفرار، ووقع الباقيون في الأسر، ومنهم مئتان من نسائهم، وغنم المسلمون منهم ألفين من الإبل وخمسة آلاف شاة، وكان بين النساء برة بنت الحارث بن أبي ضرار، فوَقعت نصيباً لثابت بن قيس بن الشمامس، فكتابتها على أن تؤدي إليه مالاً تناول به حريتها، فسألت رسول الله ﷺ أن يعينها على أداء ما كاتبته عليه، فقال: هل لك في خير من ذلك؟

قالت: وما هو يا رسول الله؟، قال: أقضى كتابتك وأتزوجك. قالت: نعم، فأخذها من ثابت بن قيس، وسمتها جويرية، وجعلها في جلة أزواجه، ولما رأى المسلمين ذلك قالوا: لا يليق بنا أن يبقى قومٌ ضجيعة رسول الله ﷺ في الأسر والرق، وهكذا اعتقو كل امرأة أسيرة من بني المصطلق.

تقول عائشة: ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

وإحالاً فقد أقام رسول الله ﷺ أربعة أيام بعد المعركة، ثم قفل راجعاً إلى المدينة . . .

س ٣٦٣: / هل كانت هناك حوادث قد حدثت عندما رجع رسول الله ﷺ من غزوة المُرسيع إلى المدينة - أي في الطريق -؟!

ج: / نعم في هذه الرجعة جرت قصة جهجاه بن سعيد «بن مسعود» الغفاري، وستان الجهني، وقول عبد الله بن أبي المنافق: «لئن

رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلَّ» يريد بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ، نعوذ بالله، فنقل زيد بن الأرقم - وكان غلاماً حديث السن - قول ابن أبي إلى رسول الله ﷺ فشي عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ ولما بلغه أن زيد بن الأرقم نقل إليه ما سمعه، فحلف بالله أنه ما قاله ولا تكلم به، وأن زيداً يكذب، فاغتتم زيد لذلك، فنزل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنْتَفِقُونَ﴾ فتأكد صدق زيد ونفاق ابن أبي. كما وقعت في الرجعة عن هذه الغزوة قصة الإفك . . .

٣٦٤: / هل يمكنكم ذكر غزوة الخندق بصورة مجملة؟

ج: / غزوة الخندق: في شوال من السنة الخامسة وقعت غزوة الخندق، ويقال لها غزوة الأحزاب، ذلك أن قريشاً استصرخت الأعراب لحرب المسلمين، فاجتمع من كل قبيلة حزب، وهذه الغزوة أتت بعد أن أجل المسلمين يهود بنى النضير عن المدينة، مما استفحلت معه عداوة اليهود للمسلمين، فقدم عشرون رجلاً من زعمائهم إلى مكة، ومنهم حبيبي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع، وهؤذة بن قيس، وأبو عامر الراهن المنافق، واجتمعوا في مكة إلى أبي سفيان وحسين رجلاً من كبار قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، وكتبوا على ذلك فيما بينهم عهداً، ثم دعوا القبائل لما عزموا عليه، وخرج أبو سفيان إلى المدينة في جيش تعداده أربعة آلاف رجل، وفيهم ألف بعير

وثلاثة فرس، ولل بلغ مَر الظهران انضم إليه ألفان من أسلم وأشجع وكتانة وفزانة وغطفان وغيرهم، حتى بلغ تعداد الجيش عند بلوغه المدينة عشرة آلاف رجل. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ جمع أصحابه لتبادل الرأي، فأشار سلمان رضي الله عنه عليه بمحفر خندق حول المدينة، وقال: إنه أمر يصنعونه في بلادنا إذا غزاهم جيش عظيم، وبذلك تنحصر المواجهة في جانب واحد، فأعجب رسول الله ﷺ بما أشار به سلمان، وأمر أصحابه بمحفر الخندق، وخصص كل عشرة منهم بمحفرأربعين ذراعاً، أو عشرة أذرع على قول، وشاركهم رسول الله ﷺ المحفر حتى استكملوه في شهر، وجعلوا له ثانية مداخل وأمر رسول الله ﷺ أن يحرس كل مدخل رجل من المهاجرين وآخر من الأنصار، مع آخرين، وأمر النساء والأطفال فوضعوا في مأمن، وهكذا أحكم تحصين المدينة قبل قدوم قريش ثلاثة أيام.

أما من جانب المشركين فقد استدعي أبو سفيان حبيبي بن أخطب، فقال له: إن استطعت أن تحولبني قريطة إلى جانبنا تصنع خيراً، فخرج حبيبي حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريطة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاشه وعاقده، لما سمع كعب بحبيبي بن أخطب أغلق دونه حصن، وأبى أن يفتح له فقال حبيبي: ويحك يا كعب، جئتكم بعمر الدهر، جئتكم بقريش على عادتها وسادتها، بمن معهم من العراب حتى بلغوا عشرة آلاف، قال كعب: جئتكني والله بذلك الدهر، فدعوني ومحماً فيما رأيت منه إلا صدق ووفاء، فلن أنقض عهده.

لَكُنْ حَيَّاً لَمْ يَزِلْ بِهِ يَقْسِمُ لِلْأَيْمَانِ بِأَنَّهُ لَئِنْ رَجَعْتُ قَرِيشًا وَغَطَّافَانِ
وَلَمْ يَصِبُّوا مُحَمَّدًا، دَخَلَ مَعَهُ فِي حَصْنِهِ حَتَّى يَصِبِّهِ مَا يَصِبِّهِ، فَنَقَضَ
كَعْبَ بْنَ أَسْعَدَ عَهْدَهُ، وَبَرِئَ مَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ
حَيَّا فَالْتَّحَقَ بِأَبِي سَفِيَّانَ، وَبَشَّرَهُ بِنَقْضِ عَهْدِ قَرِيبَةِ.

وَجَاءَ نَقْضُ الْعَهْدِ فِي وَقْتِ عَصِيبَ، فَعَظِمَ الْأَمْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
لَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَفَّ عَنْهُمْ وَبَشَّرَهُمْ بِالنَّصْرِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَعَظِمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ، وَتَقَاطِرُ الْأَحْزَابِ فَوْجًا إِثْرَ فَوْجٍ، وَعَمَّ
الْفَزَعُ أَصْحَابَ الْقُلُوبِ الْخَائِرَةِ لَمَّا رَأَوُا هَذَا الْجَيْشَ الْعَظِيمَ، حَتَّى كَادَتِ
الْعَيْنُونَ تَخْرُجَ مِنْ مَحَاجِرِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَلَذِ زَاغَتِ الْأَبَصَرُ وَبَلَغَتِ الْفُلُورُ الْعَنَائِجَ} [الْأَحْزَاب / ١٠].

وَلَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ الْخَنْدَقَ قَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّهُ هَذِهِ لِمَكِيدَةٍ مَا كَانَتِ
الْعَرَبُ تَكِيدُهَا، وَاسْتَمْرَ الْحَصَارُ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا أَوْ سَبْعِينَ
وَعِشْرِينَ، وَلَقِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّ تَعبٍ وَنَصْبٍ مِنْ ضِيقِ
الْحَصَارِ، وَنَجَمَ النَّفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمَنَافِقِينَ، وَأَسْتَأْذَنَ بَعْضُهُمْ رَسُولَ
اللهِ ﷺ أَنْ يَأْذِنَ لَهُمْ بِالْعُودَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِحَمَامِيَّةِ بَيْوَتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى:
{فَأَرْجِعُوهُمْ وَلَا يَسْتَغْنُنَّ فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُوَلَّنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ
يُبَيِّدُنَّ إِلَّا فَرِارًا} [الْأَحْزَاب / ١٣].

وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْقَوْمِ حَرْبٌ خَلَالَ الْحَصَارِ إِلَّا الرَّمِيُّ بِالْبَلْلِ وَالْقَذْفُ
بِالْحَجَارَةِ، وَإِنْ فَرَسَانًا مِنْ قَرِيشٍ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ وَدَّ، وَنُوفُلُ بْنُ

عبد الله بن المغيرة، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وعكرمة بن أبي جهل، وجميعهم من شجاع قريش، أقبلوا نحو الخندق، ثم تيمموا مكاناً منه ضيقاً، فضرروا خيولهم فاقتصرت مدة، وأبو سفيان، وخالد بن الوليد وجاءه من المقاتلين اصطفوا على حافة الخندق يرقبون ما يجري، فصرخ بهم عمرو: هلّمّوا فاقتحموا، قالوا: سنلحق بكم إن دعت الحاجة.

ثم إن عمراً جعل يغلي فوق فرسه وهو ينادي: هل من مبارز؟ وكان عمرو يسمى فارس يليل، ويعدلونه بألف فارس، وإذا علم الأصحاب شجاعته، صمتوا كأنّ على رؤوسهم الطير، وكأنما أراد ابن خطاب أن يتحرّى لهم عذراً، فراح يذكر طرفاً من شجاعة عمرو، مما زاد في تحاذل الأصحاب، ولما رأى رسول الله ﷺ أن عمراً يطلب المبارزة قال: هل فيكم من يكفيانا شرّ هذا العدو؟ فوثب أمير المؤمنين ﷺ فقال: أنا له يا رسول الله، فسكت ﷺ، هذا وعمرو ينادي: هل من مبارز؟ أيها الناس، ألستم تزعمون أن قتلناكم في الجنة وقتلنا في النار؟ ألا يحبّ أحدكم أن يصبر إلى الجنة، أو يرسل عدوه إلى النار؟ ثم رکز رمحه في الأرض، وأقبل يجول جولة ويقول: ولقد بحثت من الندا عبّجمعكم هل من مبارز
فقال رسول الله ﷺ من لهذا الكلب؟ فلم يجده أحد، فوقف أمير المؤمنين ﷺ فقال: أنا له يا رسول الله، فقال: يا عليّ، هذا عمرو بن وذا!

قال: وأنا علي بن أبي طالب. فقال له رسول الله ﷺ: ادْنِ مِنِي،
فَدَنَا مِنْهُ فَأَلْبَسَهُ دَرْعَهُ ذَاتَ الْفَضْوَلِ، وَعَمَّمَهُ بِعِمَامَتِهِ السَّحَابَ، وَدَعَا
لَهُ.

فَهُرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَهْرُولُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ رَدًّا عَلَى عُمُرِهِ:
لَا تَعْجَلْنَ فَقْدَ أَنَا كَمْ جَيْبٍ صَوْتُكَ غَيْرَ عَاجِزٍ
ذُونِيَّةٌ وَيَصِيرَةٌ وَالصَّدْقُ مَنْجِي كُلَّ فَائِزٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَقْبِي كَمْ عَلَيْكَ نَائِجَةُ الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجَلَاءِ يَبْ— قَى صَوْنَاهَا بَعْدَ الْهَزَاهِزِ

وكان رسول الله ﷺ يقول: بُرِزَ الإيمان كُلُّهُ إلى الشرك كُلُّهُ، ثم إنَّ
أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا عَمِرًا إِلَى واحِدةٍ مِنْ ثَلَاثٍ: إِما الإِسْلَامُ، إِما
الرَّجُوعُ عَنِ الْحَرْبِ، إِما أَنْ يَنْزِلَ عَنْ فَرْسِهِ، فَعَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَانَ رَاجِلًا، فَاخْتَارَ عُمَرُ الْأَنْصَارِيَّ ثَالِثَةً، لَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ يَبْطِئُ الْخُوفَ
مِنْ قَتْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: عُدْ يَا عَلِيًّا، فَأَنْتَ لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَ
الرِّجَالِ، وَهَانَذَا ابْنُ ثَانِيَنِ، وَأَبُوكَ كَانَ لِي صَدِيقًا وَنَدِيَّاً، وَإِنِّي أَكْرَهُ
أَنْ أُقْتَلَكَ، وَهَلْ أَمْنَ ابْنَ عَمِّكَ حِينَ بَعْثَكَ إِلَيَّ أَنْ أَخْتَطِفَكَ بِرْمَحِي هَذَا
فَأَتَرَكَكَ مَعْلَقًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَا أَنْتَ بِالْحَيِّ وَلَا بِالْمَيْتِ؟.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: دَعْ هَذَا يَا عُمَرُ، فَأَنَا أَحْبَّ أَنْ أُقْتَلَكَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَغَضِبَ عُمَرُ وَاقْتَحَمَ عَنْ فَرْسِهِ فَعَقَرَهُ، ثُمَّ بَدَرَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِضَرْبَةٍ مِنْ سِيفِهِ، فَاتَّقاها بِالدَّرْقَةِ فَقَطَعَهَا وَثَبَتَ السِّيفُ

على رأسه فجرحه، واشتبكا في قتال عنيف وثار الغبار بينهما حتى غابا عن أبصار الفريقين، عاجله أمير المؤمنين عليه السلام بضربة على ساقيه فقطعها، وسقط عمرو على الأرض، وجلس أمير المؤمنين عليه السلام على صدره، فقال عمرو: يا علي، قد جلست مبني مجلساً عظيماً، فإن قلتني فلا تخبرني من ثوابي، فقال: لك ذلك.

ويروي ابن أبي الحديد وغيره أن علياً بعد أن تلقى ضربة عمرو انقلب إليه كالأسد الغاضب وعاجله بضربة على رأسه النجس ففصله عن جسده، وارتفع صوته بالتكبير، فلما سمع المسلمون صوت التكبير أيقنوا أنَّ عمراً قد قتل، وقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: ضربة عليٍ يوم الخندق أفضل من عبادة الجن والإنس إلى يوم القيمة.

يروي عن جابر أنه لما سقط عمرو خرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيوthem الخندق، وتبادر المسلمين فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق، فجعلوا يرمونه بالحجارة، فقال لهم: قتلة أجمل من هذه! ينزل بعضكم أقاتله، فتقدم أمير المؤمنين عليه السلام وأنهى أمره بضربه واحدة، كما ضرب هبيرة ضربة أصابت قربوس فرسه ونفذت إلى درعه فقطعتها، وسقط مضرّجاً.

يقول جابر: ما أشبه قصة مقتل عمرو بقصة قتل داود جالوت.

إنجالاً، وبعد أن وضعوا الحرب أوزارها ببعث المشركون إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يشترون جثتي عمرو ونوفل، فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: هما

لهم، فتحن لا نأكل ثمن الموق.

ولما وقفت أخت عمرو على جسد أخيها رأت أن درعه التي لم يكن لها مثيل عند العرب، وأن سائر أسلحته وثيابه باقية لم تنزع، قالت، ما قتله إلا كفُوْ كريم، ولكن من هو قاتله؟

فقالوا: عليّ بن أبي طالب ﷺ، فأنشدت:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكتت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يُعاب به من كان يدعى أبوه بيضة البلد

وإجمالاً فقد كان حصار قريش لأصحاب رسول الله ﷺ
قاسياً، فقال أبو سعيد الخدري: قد بلغت القلوب الخاجر، ألا من
كلمة تخفف عنا؟ فقال ﷺ: اللهم استر عوراتنا، وآمن رواعتنا.

كما أن ألسنة المنافقين بدأت تطول بالأقوال الشنيعة، فচعد
رسول الله ﷺ إلى مسجد الفتح فدعا الله ونواجهه وقال:
«يا صريح المكروبين، ويا محيب المظرين، ويا كاشف الكرب
العظيم...»

الدعاء، فأرسل الله تعالى على المشركين ريح الدبور فانهزموا،
وقلعت أخبيتهم وقلب قدورهم، فلم يكن أمامهم من هول ما نزل
بهم سوى الفرار، وكان مقتل عمرو ونوفل أهم أسباب الهزيمة،
(وكفى الله المؤمنين القتال) بعليّ بن أبي طالب (وكان الله قويّاً عزيزاً).

يقول بعض العلماء: لو لا أن النبي ﷺ كان رحمة للعالمين، ل كانت هذه الريح التي أتت على الأحزاب، أشدّ في سورتها وفي ثورتها . وعن حذيفة بن اليمان أن أبي سفيان قال: لقد طال مقامنا هنا، وهلك الخف والحافار، وخذلنا اليهود، وأتتنا أخيراً هذه الريح، فالنجاء النجاء، وقام إلى راحلته فركبها، وحدث قريش حذوه، ولحقوا به منهزمين بما استطاعوا حمله من أثقالهم .

س ٣٦٥: / ما هي قصة غزوة بني قريظة؟! ولماذا؟

ج: / لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الخندق وصار إلى بيت فاطمة ؓ يريد أن يغسل ويحرق البخور، آتاه جبرئيل ﷺ يقول: عذيرك من محارب، والله ما وضع الملائكة لأمتها. كيف تضع لأمتك؟ إن الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا ببني قريظة، فإني متقدمك ومزلزل بهم بمحضهم. فنادى بلال بأمر رسول الله ﷺ في الناس أن لا يصلّي أحد العصر إلا في بني قريظة، فخرج الناس فأحاطوا بمحضهم، وامتد الحصار خمسة عشر يوماً أو خمسة وعشرين على قول، وال الحرب قائمة بالرمي بالنبال والحجارة، حتى بعث الله الرعب فيهم، واشتدت عليهم وطأة الحصار، فنزلوا من قلاعهم، ورضوا بحكم سعد بن معاذ بهم، فقال سعد: قد حكمت أن تقتل رجالهم، وتسبى نسائهم وذرارتهم، وتقسم غنائمهم بين المهاجرين والنصارى، وهكذا كان .

قال تعالى: ﴿وَلَنَزَّلَ الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاخِهِمْ وَقَدْفَ
فِي قُلُوبِهِمْ الرُّغْبَةَ فِيهَا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فِيهَا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثُكُمْ أَرْثَهُمْ وَدَرَرَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَاهُمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَوِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب/ ٢٦-٢٧] ويريوي أن سعد بن معاذ رُمي في الخندق بسهم فقطع أكمحة، فنزفه الدم، فقبض على أكمحة بيده ثم قال: «اللهم إن كانت الحرب قد وضعنا أوزارها بين رسول الله ﷺ وبين قريش فاجعلها لي شهادة، ولا تعمتي حتى تقر عيني من بني قريطة»، فأمسك الدم، فلما حرق الله له مراده انفجر جرحه، فما زال ينزفه حتى قضى رحمة الله عليه.

أما لماذا هذه الغزوة لأنهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ كما مر سابقاً في السؤال السابق.

س ٣٦٦: ما هي غزوة دومة الجندي؟ ولماذا سميت بذلك؟!

ج: / (دومة) موضع يقع على خمسة منازل من الشام قرب جبل طيء، ويبعد عن المدينة مسيرة خمسة عشر أو ستة عشر يوماً، وقد دعي بدومة الجندي لأنه مبني من الصخر، فالجندي تعني الصخر.

أما كيف: بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندي جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مرّ بهم من المسافرين والتجار، وأنهم يريدون أن يدنووا من المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول على رأس ألف من أصحابه يتعقبهم، فكان يسير الليل ويكمّن

النهار آخذًا بعنصر الاستثار والسرية على عادته. ولما دنا رسول الله ﷺ من دومة الجندل وعرف به تلك الجماعة تفرقوا من فورهم فلم يجد أحداً، فأقام بها أيامًا وبث السرايا والدوريات وفرقها حتى غابوا عنه يوماً ثم رجعوا إليه، ولم يصادفوا من تلك الجماعة أحداً. فاستولى المسلمون على أموالهم ومواشيهم، ثم اخندوا طريقهم نحو المدينة فبلغوها في العشرين من ربيع الثاني من دون قتال^(١) . . .

(١) إماع الأسماع: ج، ص ١٩٣ و ١٩٤ بتصرف.

«السنة السادسة من
الهجرة»

س ٣٦٧: / ما هي أهم الحوادث والواقع في السنة السادسة من الهجرة؟

ج: / أهمها هي: ١ - غزوة بني لحيان. ٢ - غزوة ذي قرد.
 ٣ - غزوة الحديبية. ٤ - على قول: قصة الإفك.

س ٣٦٨: / ما هي غزوة بني لحيان؟ ومتى كانت؟!

ج: / لحيان هو ابن هذيل بن مدركة وكانوا طائفتين عضل وقارّة، وذلك أن قبيلة هذيل قتلت عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأخرين - في حادثة الرجيع -، وغدروا برسول الله ﷺ، فعزم ﷺ على تأدبيهم، فخرج في مثنين من أصحابه، فاستخلف مكانه لإدارة شؤون المدينة ابن أم مكتوم في الشهر الخامس من السنة الهجرية السادسة ولم يُظهر لأحد ما يقصد، بل خرج يظهر أنه يريد الشام ليصيب بني لحيان على غفلة منهم، فلما وصل إلى طريق مكة عرّج حتى نزل بمنطقة تدعى غراب

وهي منازل بني حيّان، وقد كان بنو حيّان قد عرّفوا بمسير النبي إلىهم فحدّروه، وتنعّوا في رؤوس الجبال.

وكان غزو المسلمين هذا، وجبن العدو قد تركا أثراً نفسياً قوياً، فأحدث رعباً في قلوب أعداء الإسلام.

واستكمالاً لهذا الهدف العسكرييّ الهام عمد رسول الله ﷺ إلى القيام بسلسلة من المناورات العسكرية، واستعراض القوة القتالية في جنوده ليرهـب أعداء الله القريب منهم والبعيد ولتستمع بهـم قريش خاصة فيذعـرـهم، فنزل في مائـيـ راكـبـ من أصـحـابـهـ حتـىـ نـزـلـ عـسـفـانـ على مقرـبةـ من مـكـةـ وقد قالـ منـ قـبـلـ: «لو هـبـطـنـاـ عـسـفـانـ لـرأـيـ أـهـلـ مـكـةـ أناـ قدـ جـئـنـاـ مـكـةـ». .

ثم بـعـثـ فـارـسـينـ منـ أـصـحـابـهـ حتـىـ بلـغـاـ كـرـاعـ الغـمـيمـ، «وـهـوـ مـوـضـعـ بـنـاحـيـةـ الحـجـازـ بـيـنـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ وـهـوـ وـادـ أـمـامـ عـسـفـانـ بـشـمـانـيـةـ أمـيـالـ» . . .

وأقام رسول الله ﷺ في أرض بني حيّان يوماً أو يومين، ثم قفل راجعاً إلى المدينة بعد أربعة عشر يوماً من خروجه . . .

س ٣٦٩: / ما هي غزوة ذي قرد؟! .

ج: / لم يُقم رسول الله ﷺ في المدينة بعد عودته من غزوة بني حيّان إلا ليالي قلائل حتى إغار عبيّنه بن حصن الفزاري بمساعدة بني

غطفان، على إيل لرسول الله ﷺ كانت ترعنى في منطقة تدعى الغابة «وهي موضع قرب المدينة من ناحية الشام» كانت مرجعى أهل المدينة، وكان فيها آنذاك رجلٌ من بني غفار، وامرأة مسلمة له، فقتلوا الرجل، وأخذوا معهم المرأة والإبل.

وكان أول من أخبر الناس بذلك رجلٌ يدعى سلمة بن عمرو بن الأكوع الإسلامي وكان قد غدا ي يريد الغابة متوضحاً سيفه وقوسه ونبله، يريد الصيد، حتى إذا علا ثانية الوداع نظر إلى بعض خيول المغرين، فصعد على تلة سلع وصرخ مستغيثاً ومستجداً: واصباهاه.

ثم خرج يشتد في آثار القوم - المغرين - فجعل يردهم بالنبل، ولكن المعدين لاذوا بالفرار.

وكان رسول الله ﷺ أول من سمع صراخ ابن الأكوع واستغاثة، فصرخ ﷺ هو مستغيثاً: الفزع الفزع - فأسرع جماعة من الفرسان برسول الله ﷺ، فلما اجتمعوا عنده أمر عليهم سعد بن زيد الأشهلي وقال له: اخرج في طلب القوم، حتى أحلقك في الناس.

فخرج الفرسان المسلمين في طلب القوم، وخرج ﷺ من ورائهم، حتى أدركوا القوم في ذي قرد - وقد ماء قرب المدينة - فوقع بين المسلمين وبين المعذرين قتال قليل قتل فيه من المسلمين رجالان ومن المعدين ثلاثة، واستنفت المرأة، وبعض الإبل المسروقة، ولكن العدو لجأ إلى غطفان، فأقام رسول الله ﷺ في تلك المنطقة يوماً وليلة، تخويفاً

للعدو، ولم يرمن الصالح ملاحقة العدو رغم إصرار بعض المسلمين على ملاحقتهم، واستنقاذ بقية السرح - الإبل -

ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة، وكانت هذه الغزوة في الثالث من ربيع الأول من السنة السادسة من الهجرة - وقيل: سببها أنه كانت لرسول الله ﷺ عشرون من الإبل الخلوبة يرعاها هناك - في قرد -، يرعاها له أبو ذر الغفاري، فأغار عليها عينية بن الحصين الفزاري في أربعين فارساً، وقتل ابنًا لأبي ذر ورجلاً من غفار، وأسر زوجه، التي غافلتهم ونجت نفسها على بعير من إبل رسول الله ﷺ، ولما بلغت المدينة صارت إلى رسول الله ﷺ وأبنائه بالأمر، كما أنبأته بأنها نذرت إن وصلت سالمه أن تنحر هذا البعير، فقال ﷺ: ما أسوأ ما جزيت به هذا البعير بعد أن حملك على ظهره وأوصلتك سالمه، وترى دين قتله! إنه لا نذر في معصية، ولا لأحد في مala يملك.

وإجمالاً فلما أطلع رسول الله ﷺ على الواقعه نادى يا خيل الله اركي، فتقاطر خسمائة أو سبعمائة رجل، وأسلم اللواء إلى المقداد وأرسله في طليعة الجندي، ووصل المقداد إلى العدو فقتل أبو قتادة أحد رجالهم، وراح سلمة بن الأكوع يرميهم بالنبل راجلاً وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرَّضْعِ. وذلك من قوله: لثيم راضع، أي: رضع اللؤم في بطن أمه.

وفَّ الكفار، ومروا بشعب فيه ماء يقال له ذو قَرَدَ، وهم عطاش،
فلم يستطعوا الشرب منه لخوفهم.

٣٧٠:/ ما هي قصة الإفك؟

ج:/ هناك رواياتان أحدهما في عائشة وأخرى بمارية القبطية:

١ - في عائشة: - تقول عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأين خرج سهمنها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع عادة فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله ﷺ فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل متولاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل فارتخل الناس وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي، فيه جذع ظفار - أي خرز يعني - فلما فرغت انسلاً من عنقي ولا أدرى فلما رجعت إلى الرجل ذهبت التمسة في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرخلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذنا المهروج، وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه على البعير ولم يشكوا أنني فيه، ثم أخذوا رأس البعير، فانطلقا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا عجيب، وقد انطلق الناس. فتلتفت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلى فواكه إني لم استطعه إذ مر بي صفوان السلمي - وهو من فرسان الإسلام - وقد كان مختلفاً عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبيت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا

الحجاب، فلما رأي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله ﷺ، وأنا متلففة في ثيابي. قال: ما خلفك يرحمك الله. فما كلمته، ثم قرب البعير فقال: إركبي، واستأخر عني فركبته، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حقاً أصبحت، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، وارتتعج العسكر - أي ل Kovai - ووالله ما أعلم بشيء من ذلك. حتى نزلت آيات الإفك تبرئني مما اتهمني به المنافقون

٢ - في مارية: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ ما هو إلا ابن جريح، فبعث رسول الله ﷺ علياً صلوات الله عليه وأمره بقتله، فذهب على صلوات الله عليه ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط - أي بستان - فضرب عليّ بباب البستان، فأقبل جريح له ليفتح الباب، فلما رأى علياً صلوات الله عليه، عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان، فوثب علي ﷺ على الحائط ونزل إلى البستان، وأتبعه، وولى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه - أي يدركه - صعد في خلقة وصعد على ﷺ في أثره، فلما دن منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء، فانصرف على ﷺ إلى النبي ﷺ فقال له يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون كالمسمار المحمي في الوبر أم أثبت؟

قال: لا بل ثبت.

قال: والذى بعثك بالحق ما له ما للرجال وما له ما للنساء.

فقال: الحمد لله الذى صرف عنا السوء أهل البيت.

س ٣٧١: هل ذكرت قصة الإفك في القرآن؟

ج: / نعم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْإِفْكِ عَصَبَةٌ يَنْكُرُ لَهُمْ شَرًا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَنْوَارٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَبَ اللَّهُ وَالَّهُ أَنْوَرٌ كَبِيرٌ مِّنْهُمْ لَمْ يَعْلَمْ عَظِيمٌ﴾ [١١] لَوْلَا إِذْ سَعَثُمُوا طَنَ الْمَقْبُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَأْنِسُهُمْ خَيْرًا وَقَاتُلُوا هَذَا إِنْكَ مُؤْمِنٌ﴾ [١٦] لَوْلَا جَاءُوكُمْ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةً فَإِذَا لَمْ يَأْتُوكُمْ بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ [١٧] وَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَسَكَنُ فِي مَا أَضَمَّ فِيهِ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [١٨] إِذْ نَلْقَوْنَهُ يَأْتِيَنَّكُمْ وَتَقُولُنَّ يَا فَوَاهُكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَنَحْسِبُونَهُ هَذَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [١٩] وَلَوْلَا إِذْ سَعَثُمُوا فَلَمْ يَكُونُ لَهُمْ لَا أَنْ تَكَلَّمُ وَهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا مُهَمَّنْ عَظِيمٌ﴾ [٢٠] [النور / ١١ - ١٦].

س ٣٧٢: أي قصة هي أصح لدليكم الأولى أم الثانية؟!

ج: / بالطبع الثانية لا يمكن القبول بها في شأن نزول الآيات، أما القصة الأولى يمكن تطبيقها مع آيات الإفك، وليس فيه ما ينافي عصمة رسول الله ﷺ عكس الأولى... فالملهم هو وقوع الحادثة بأصلها فمن كان المتهم فليكن من يكن... .

س ٣٧٣: / ما هي غزوة الحديبية - أو صلح الحليبية -؟ ! ومتى كان؟ !

ج: / في شهر ذي القعدة من السنة السادسة خرج رسول الله ﷺ يربد العمرة، وساق معه الهدى سبعين بعيراً، وأحرم عند مسجد الشجرة، وكان بصحبته ألف وخمسائة وعشرون أو أربعمائة من المسلمين، ومن النساء كانت تلازمة أم سلمة، ولما علم المشركون في مكة بالأمر عزموا على صدّة عن زيارة البيت، ونزل رسول الله ﷺ في الحديبية، وهي في منزل عن مكة، عند بئر قليلة الماء، ونفذ الماء في مدة قصيرة، فشكّ الناس العطش، فانتزع سهماً من كنانة ثم أمرهم أن يجعلوه في الماء، فما زال يحيش لهم بالري حتى صدروا عنه. وبينما هم كذلك إذ جاءهم بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي من جانب قريش ونقل إليه أن القوم أجمعوا أمرهم على صدّة، فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نجيئ لقتال أحد، ولكنّا جئنا معتمرين، وسنخر هدينا.

ونذر لكم لحومها، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم،
وستضرّ بهم أكثر.

ثم أعقبه عروة بن الثقفي، فتكلّم النبي ﷺ معه كما تكلّم مع بدّيل، ولا حظ عروة خفية مقدار ما يكّنه أصحاب رسول الله ﷺ لنبّيّهم من احترام وإكبار. فرجع إلى أصحابه وقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إنْ

رأيت ملكاً فقط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب حمداً، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمياً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، والله لقد رأيت جيشاً لن يدخل رجاله بأرواحهم حتى يغلبواكم. وأخيراً فقد بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان إلى مكة ليطلع قريشاً على ما عزم عليه، وقال المسلمون: الفرج قريب، فصار عثمان إلى مكة ولحقه إليها عشرة من المهاجرين، فاحتبسوه في مكة، فظن رسول الله ﷺ أنهم قتلواه، - شائعة نشرها الشيطان بينهم - فقال ﷺ: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن يقاتلو المشركين ولا يغروا، وسيت هذه البيعة بيعة الرضوان، لأن الله عز وجل قال في سورة الفتح: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يُبَاعُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية.

بعثت هذه البيعة الرعب في قلوب قريش، فبعثوا سهيل بن عمرو وحفص بن الأحلف كي يكلموه في الصلح، وهكذا كان وكتب بينه وبين سهيل كتاباً للصلح هذا ملخصه:

الحرب مكفوفة عشر سنوات بين المسلمين وقريش، ولا إضرار في الأموال والأنفس، وحرية السفر والانتقال للجانبين مضمونة، ومن أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن يعبد الله بمكة علانية، وعلى أن

تخل مكّة للرسول في عام قابل فدخلها حاجاً والسلاح في غمده، على ألا يبقى فيها فوق ثلاثة أيام ومن لحق محمداً وأصحابه من قريش فإنّ محمداً يرده إليهم ولو كان مسلماً، ومن رجع من أصحاب محمد إلى قريش بمكّة فإنّ قريشاً لا ترده إلى محمد.

شعر جماعة من الصحابة بعدم الارتياح لهذا الصلح، كما أصاب التشوّش أفكار البعض، وكيف أن رؤيا رسول الله ﷺ بزيارة الكعبة وأداء العمرة وفتح مكة لم تتحقق، حتى أن ابن الخطاب أورد حديث القلب هذا على لسانه إذ قال: «ما شككت في نبوة محمد ﷺ قط إلا يوم الحديبية».

وقال لرسول الله ﷺ: لم نعط الدينية في ديننا؟ قال ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري، قال: أولست تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف حتى؟ قال: بل، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: لا.

قال ﷺ: فإنك تأتيه وتطوف به.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الْأُمَّةِ بِالْحَقِّ﴾ الآية.

س ٣٧٤: / هل يمكنكم ذكر نص صلح الحديبية من المصادر المتنوعة؟!

ج: / نعم يمكن ذلك:

١ - تعهد المسلمين، وقريش برثك الحرب سنتين يأمن فيهن الناس،

ويكف بعضهم عن بعض.

٢ - من أتى محمداً من قريش بغير إذن ولية ردة عليهم، ومن جاء
قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.

٣ - من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده - أي يتحالف معه -
دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ - إن محمدًا يرجع بأصحابه إلى المدينة عامه هذا ولا يدخل مكة،
 وإنما يدخل مكة في العام القابل في أصحابه فيقيم فيها ثلاثة أيام، لا
يدخل فيها بسلاح إلا سلاح المسافر، السيف في الثرب. [السيرة
الخلية: ج ٣، ص ٢١].

٥ - أن لا يستكره أحد على تول دينه ويعبد المسلمين الله بمكة
علانية وبحرية، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة وأن لا يؤذى أحد
بعير. [بخار الأنوار: ج ٢٠، ص ٣٥٢].

٦ - لا إسلام - سرقة - ولا إغلال - خيانة - بل يحترم الطرفان
أموال الطرف الآخر، فلا يخونه ولا يسرق منه. [جمع البيان: ج ٩،
ص ١١٧].

أو: من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يتبغي من
فضل الله فهو آمن على دمه وما له، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى
مصر أو الشام فهو آمن على دمه وما له.

٧ - أن لا تعين قريش على محمد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح -
[بخار الأنوار: ٢٠ - ٣٥٢].

هذا هو نصُّ وثيقة صلح الحديبية، وقد كتبت في نسختين، ثم وقع
عليها جماعة من شخصيات قريش، وال المسلمين وشهدوا عليها وأعطيت
نسخة إلى سهيل بن عمرو ممثل قريش، وترك نسخة عند رسول
الله ﷺ .

س ٣٧٥: / هل كانت الفقرة الثانية في السؤال السابق تشمل
النساء والرجال؟!

ج: / كلا، فقط الرجال، حيث بعد أن تم الاتفاق والتوفيق على
معاهدة صلح الحديبية هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك
المدة، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول
الله ﷺ يسألانه أن يردهما إليهمما بالعهد الذي بينه وبين قريش في
الحديبية، فلم يفعل ذلك رسول الله وقال لهم: إن الله نقض العهد في
النساء.

وقد نزل قوله تعالى يوضح لكم هذا الأمر [المتحنة/ ١٠].

أما الرجال فلقد عاد رسول الله ابن سهيل بن عمرو أبا جندل إلى
قريش، وكذلك دفع أبا بصير بعد أن طالب به - أزهر والأئمن - . . .

«السنة السابعة من
الهجرة»

س ٣٧٦: / ما هي أهم الحوادث والواقع في السنة السابعة من الهجرة؟

ج: / هناك حوادث ووقائع مهمة:

١ - إرسال رسول الله كتب إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام.

٢ - فتح خير وزواجه عليه السلام بصفية اليهودية.

٣ - عودة جعفر بن أبي طالب من الحبشة.

٤ - أداء عمرة القضاء.

٥ - زواجه عليه السلام من أم حبيه بنت أبي سفيان.

س ٣٧٧: / إلى من أرسل الكتب رسول الله عليه السلام ومن هم رسله؟!

ج: / بعث رسول الله عليه السلام كتب مع رسليه لنشر الدعوة الإسلامية إلى الملوك فاتجهوا يوم واحد إلى:

- ١ - ملك الروم - قيصر - وُكلَّفَ بِإِيصالِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ دَحِيَّ الْكَبْلِيِّ.
- ٢ - ملك إيران - خسروا پرویز - الملقب بـ كسرى وُكلَّفَ بِإِيصالِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَذَافِهِ السَّهْمِيِّ.
- ٣ - حاكم مصر - المقوقس - وَكَانَ قَدْ فَوْضَ إِلَيْهِ حُكْمَ مِصْرَ مِنْ قَبْلِ قِيَصَرِ الرُّومِ لِقَاءً «١٩٠» مِلْيُونَ دِينَارٍ يَدْفَعُهَا إِلَى قِيَصَرِ، وُكُلِّفَ بِإِيصالِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ.
- ٤ - النجاشي ملك الحبشة وُكلَّفَ بِإِيصالِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنَ أُمَّيَّةِ الضَّمِيرِيِّ.
- ٥ - ملك الغساسنة «بِالشَّامِ» الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَرِّ الغَسَانِيِّ وُكلَّفَ بِإِيصالِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ شَجَاعَ بْنَ وَهْبٍ.
- ٦ - سادس سفراء النبي هو المبعوث إلى أرض اليamente «وهي من نجد» - في أرض اليمن -، وهو سليمان بن عمرو، فقد خرج سليمان هذا بكتاب رسول الله ﷺ إلى هودة بن علي الحنفي ملك اليamente.

س ٣٧٨: / هل قبلوا جميع الملوك دعوة رسول الله ﷺ للإسلام؟!

ج: / لقصر البحث وعدم الإطالة نقول: لقد تأثر جميع الزعماء والملوك والقادة الذين راسلهم النبي ﷺ ما عدا خسروا پرویز ملك إیران الذي كان طاغية مستبدًا متكبرًا [حيث مرق كتاب رسول

الله ﷺ، برسائل النبي ﷺ ودعوته، وأكرموا سفراه.

س ٣٧٩ - س ٣٨٠ : / ما هي خبر؟ وما هي قصة فتحها؟

ج : / من المعلوم سورة الفتح نزلت على رسول الله ﷺ عند رجوعه من الحديبية، وهي تبشر بفتح خيبر، كما قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ فَتَحُوا قَرَبًا﴾ .

وخبر هذه سبعة حصون مكمة هي الناعم، القِمْوص، الكتبية، الشق، النطة، الوطيط، السُّلَامِ.

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية، مكث بها عشرين ليلة، ثم أمر بإعداد العدة للحرب، ثم خرج إلى خيبر في ألف وأربعين إلة رجل، فلما نزل بساحتهم أصبحوا وعدوا إلى زرعهم وحرثهم، فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ قالوا : محمد وجيشه إثم ولوا هاربين إلى حصونهم.

ولما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال : الله أكتر، خربت خيبر، إننا جيش إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المذرين.

ذلك إن اليهود كانوا يحملون السلال والمعاول، وهي من أدوات الهدم، ولما رأها رسول الله ﷺ توسم فيها علامه فال بأن خيبر ستخرب.

أما اليهود فقد صمموا على القتال، فجمعوا نسائهم وذارياتهم في حصن الكتبية، والعلف والمؤن في حصن الناعم، ووضعوا عليهما حراسة شديدة، كما جعوا رجال حربهم في حصن النطة.

قال الحباب بن المنذر لرسول الله: إن هؤلاء اليهود يحبون أشجار النخيل أكثر من محبتهم لأبنائهم، فلو أمرت بقطع نخيلهم لضاعفت حزنهم وغمهم، فأمر رسول الله ﷺ فقطع أصحابه أربعين إلة مخالفة.

وإجمالاً فقد احترب الفريقيان، وفتح المسلمون بعض القلاع، ثم إنهم ضربوا الحصار حول قلعة القموص، وكانت قوية محبكة التحصين، وكان رسول الله ﷺ أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وكان كل من الصحابة يخرج في يوم بالراية فإذا حل المساء ولم يفتح الله عليه عاد، حتى خرج أبو بكر بالراية يوماً ورجع منهزاً، وفي اليوم الذي تلاه خرج عمر بالراية ورجع منهزاً كذلك.

ولما رجع عمر عشيّة قال رسول الله ﷺ ساعطي الراية غداً رجلاً كراراً غير فرار، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

ولما كان من الغد، وكان الأصحاب يتطاولون لنيل هذا الشرف، قال ﷺ: ادعوا لي علياً، قالوا هو أرمد يشكوا الضعف، قال: جيئوني به، فأقى به سلمه بن الأكوع، فقال النبي ﷺ: ادن مني، وضع رأسك على فخذي، ففعل فدعاه النبي ﷺ وتفل في يده فمسح بها على

عينيه ورأسه، فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من صداع.

ثم أعطاه الرأبة فتناولها ومضى بها حتى حق حصن القموص، فخرج مرحباً كعادته كل يوم كالفيل المائج وهو يرتجز ويقول:

وقد علمت خبير إني مرحباً شاكبي السلاح بطل مجرّب

فأقبل إليه أمير المؤمنين كالأسد الغاضب وهو يقول:

أنا الذي سمعتني أمري حيدر ضرغام آجام وليث قسورة

فلما سمع مرحباً قوله ذكر كلام كاهنته، إذ كانت قد قالت له:

قاتل كل من قاتلك، وغالب كل من غالبك، إلا من تسمى عليك مجيدة، فإنك إن وقفت له هلكت، فلما سمعها منه هرب، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أخبار اليهود وقال: حيدهر في الدنيا كثير، فسم فرارك؟ فرجع وأراد أن يبادر بالضرب لكنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يمهله، وأهوى عيه بدِّي الفقار بضربة سقط منها لوجهه، وقتل من بعده الريبع بن أبي الحقيق، وكان من صناديد القوم، وعنترة الخيري من أبطال الرجال وهو معروف بالجلد والشجاعة، ومؤْرَّة ويأسرو أمثالهما من شجعان اليهود.

وانهزم اليهود ودخلوا حصن القموص، وأغلقوا بابه عليهم دونه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتى فتحه، واهتزَّ الحصن بشدة، حتى أن صفية بنت حبيبي بن أخطب قالت ارتجفت في السرير فسقطت لوجهها، فشجّنَّي جانب السرير.

ثم إنّ علياً عليه السلام رفع الباب فجعله مجنّلاً له، وتقاطر اليهود نحو القلعة، إذ ذلك جعل أمير المؤمنين عليه السلام جسراً فعبر عليه المسلمون وظفروا بالحصن، ولما انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين عليه السلام بيمناه، ورمى به فوق رأسه أربعين ذراعاً، وحاول أربعون رجلاً رفعه مما استطاعوا... وهكذا فتحت القلعة التي عجز عن فتحها المسلمون عشرة أيام، في مدة قصيرة على يد بطل الإسلام علي بن أبي طالب عليه السلام... .

س ٢٨١: / كم كان حجم الخسائر وعدد القتلى بين الطرفين؟! .

ج: / لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين في هذه الغزوة - خير - ٢٠ شخصاً، ولكن قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير، وقد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم ^(١) .

س ٣٨٢: / كيف عامل رسول الله صلوات الله عليه وسلم اليهود خير بعد الانتصار؟! .

ج: / لقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنة وشملهم بعفوه، ولطفه رغم كل ما ارتكبوه في حق رسول الله صلوات الله عليه وسلم من ظلم وجنابة وتأليب للعرب الوثنين ضدّ الإسلام وإشعال حروب كانت أنّ تؤدي بالحكومة الإسلامية وتوتأصل المسلمين وتقضى على جهود رسول الإسلام.

(١) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٣.

فقد قيل بطلب اليهود بأن يسكنهم في خيبر كما كانوا، وأن يترك أراضيهم وبساتينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنوياً.

بل إن النبي ﷺ - كما يروي ابن هشام - هو الذي اقترح هذا الأمر على اليهود، وترك لهم حرية التصرف في مزارعهم وأراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا ما يريدون من الشجر.

بل تركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم، والبقاء على ما كانوا يعتقدون من أصول دينهم وفروعه.

س ٣٨٣: ما هي قصة عودة جعفر الطيار إلى خيبر من الجبنة؟ !.

ج: / قبل أن يتوجه رسول الله ﷺ بال المسلمين إلى خيبر بعث عمرو بن أمية إلى البلاط الحبيسي لغرض إيصال رسالته إلى ملك الحبشة النجاشي، وليطلب منه أن يهيئ المقدمات الالزامية لترحيل المسلمين المهاجرين من الحبشة إلى المدينة.

فهيا النجاشي سفيتين لأولئك المهاجرين بعد أن جهزهم بجهاز حسن وأمر لهم بكسوة، فسارت بهم حتى وصلت إلى السواحل القرية من المدينة.

ولما علم المسلمون بمسير رسول الله ﷺ إلى خيبر توجهوا من فورهم إلى خيبر، فقدموا مع جعفر بن أبي طالب على رسول الله ﷺ

يوم خير بعد أن افتتحت جميع حصون اليهود وقلاعهم.

فلما رأى رسول الله ﷺ جعفر مشى في استقباله «١٢» خطوة ثم قبل ما بين عينيه والتزمه وقال: «ما أدرى بأيّهما أنا أسرّ بفتح خير أم بقدوم جعفر»؟ .

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «لا أدرى بأيّهما أنا أشدُّ فرحاً بقدومك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خير». ثم رسول الله ﷺ قال لجعفر: يا جعفر ألاً أمنحك؟ ألاً أعطيك ألاً أحبوك؟ .

فظنَّ الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضة، فتشوق الناس لذلك، فقال له :

أني أعطيك شيئاً إن أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها .

ثم علمه ﷺ الصلاة المعروفة بصلوة جعفر الطيار . . .

س ٣٨٤ - س ٣٨٥ : / بعد هذا اللطف والعفو الصادر من رسول الله ﷺ اتجاه يهود خير هل كفت اليهود عن خيانتها وكيدها للإسلام والنبي ﷺ؟ وكيف ذلك نرجو توضيحه بقصة أو حادثة؟ ! .

ج : / في قبال كل هذه الألطاف لم تكف اليهود عن خيانتها

وكيدها، بل ظلت تخطط - في الخفاء - للايقاع برسول الله ﷺ وأصحابه، وإلحاق الأذى بهم، ولتفنف على هذه القصة لبيان ذلك: لما اطمأن رسول الله ﷺ قرر جماعة من اليهود في الخفاء أن تقضي على رسول الله ﷺ بدسم سَمَّ إليه. فأهدت له زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم اليهودي شاء مشوية وقد سألت أبي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سَمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلما منها مضغة فلم يسْغُها، ومعه بشر بن البراء بن معروف قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فاما بشر فقد ابتلعها، وأما رسول الله ﷺ فقد لفظها وعرف بأنها مسمومة ومات بشر من أكلته التي أكل ثم دعا زينباً، وقال لها: سَمَّت الذراع فاعترفت، فقال لها ما على ذلك؟! .

قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي، ونلت من قومي ما نلت فقلت:
إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيُخبر.

فعفى عنها رسول الله ﷺ، ولم يلاحق من تواطئوا معها.

هذا والمعروف أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع البهري من الأكلة التي أكلت بخيير فإن النبي، وإن كان لفظ المضغة إلا أن بقايا السم اختلط ببزاقه الشريف، وأثر في جسمه المبارك حتى أودي بحياته المقدسة بعد حين.

س ٣٨٦: / كيف كان موقف الصحابة من قضية الشاة المسمومة السابقة، وما هي قصة زواجها بصفية اليهودية؟!

ج: / إن هذه المؤامرة الدنيئة التي قامت بها امرأة من اليهود جعلت من أصحاب رسول الله ﷺ يسيئون الظن بصفية اليهودية التي أصبحت في عداد أزواج النبي ﷺ.

فقد باتوا يتصورون أنها ربما أقدمت في ليلة من الليالي على اغتيال رسول الله ﷺ.

وخدداً عندما أعرس رسول الله ﷺ بها مجبر أو في أثناء الطريق بات أبو أيوب الأنصاري يحرس قبة رسول الله ﷺ التي دخل بها بصفية ليلة عرسه بها، وبقي يطوف بالقبة حتى أصبح رسول الله ﷺ فلما رأى أبي أيوب قال: مالك يا أبو أيوب؟ .

قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بـكفر، فخفتها عليك. فشكراً رسول الله ﷺ، ودعا له مجبر.

س ٣٨٧: / كيف كان زواج رسول الله ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان؟!

ج: / في السنة السابعة من الهجرة تزوج رسول الله ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت تحت عبدالله بن جحش الذي هاجر بها إلى

الجبيحة مسلماً، لكنه ارتد هناك ومات على دين النصارى، غير أن أم حبيبة ثبتت على إسلامها حتى كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي في شأنها خطبها لنفسه، فعقد النجاشي مجلساً دعا إليه جعفر بن أبي طالب مع جماعة من المسلمين وعقد للرسول ﷺ عليها عنده مع خالد بن سعيد بن العاص وكيل أم حبيبة، وخطب النجاشي بالمناسبة فقال:

الحمدُ لِلّهِ الْمَلِكِ الْقَدُّوسِ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ،
أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ
عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ.

أما بعد، فإن رسول الله كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجابت إلى ما دعاها إليه رسول الله، وأصدقتها أربعمائة دينار.

ثم أمر بإحضار أربعمائة دينار مهراً لها، ثم خطب خالد بن سعيد: فقال الحمد لله أحبه وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسوله ﷺ.

ثم أخذ خالد المال وأمر النجاشي بالطعام، وأكل الحاضرون.

س ٣٨٩ - س / ما هي عمرة القضاء؟ ولماذا سميت بذلك باختصار؟! ومتى؟!

ج / في بداية الأمر العمرة أعمال خاصة ومناسك معينة يمكن للمرء الإتيان بها طوال أشهر السنة على العكس من أعمال الحج التي يجب أداؤها فقط في شهر ذي الحجة وقد توجه رسول الله ﷺ إلى مكة في يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة من السنة المحرية السابعة. وسميت هذه العمرة عمرة القضاء لأنها كانت بدلًا عن العمرة التي منع النبي وال المسلمين عنها في عام الحديبية.

نعم كان يحق للمسلمين بعد التوقيع على معايدة صلح الحديبية أن يدخلوا بعد عام واحد من تاريخ يوم التوقيع مكة، ثم يغادروها بعد ثلاثة أيام يقيمون فيها شعائر العمرة وكان عليهم بموجب الاتفاق أن لا يحملوا معهم إلا سلاح الراكب - السيف في القرب، ليس غير -.

والآن مضى عام واحد، وذاك أنَّ رسول الله ﷺ لما رجع من خير عزم على زيارة مكة، لأداء تلك العمرة، وخرج معه المسلمين من كان معه في عمرته تلك، وخرج آخرون غيرهم، وأخذوا معهم سبعين بدنة من الهدي كما أخذوا معهم سلاحهم غير ظاهر كي لا يؤخذوا على غرَّة لو فكرت قريش بنقض العهد.

ركب رسول الله ﷺ ناقته الفصوأ وزمامها بيد عبدالله بن رواحة، وصحبه المسلمون، ركباناً وراجلين، يلبون، ودخلوا مكة من ثنية

الحجون حتى بلغوا المسجد الحرام، وطاف راكباً، واستلم الحجر الأسود بمحجنة - العصا المعقوفة -، وأمر أصحابه بالأضطباع - إدخال الرداء تحت الأبط الأيمن وتغطيه الأيسر - والجلد في الطواف كي لا يظن المشركون بهم الضعف - وكان عددهم ألفاً شخص -، وخرج رؤوس المشركين وأهلواهم ومن تبعهم إلى رؤوس الجبال وخلوا مكة، وقالوا: لا ننظر إلى محمد ولا إلى أصحابه، ولكنهم كانوا يرافقون المشهد من بعيد...، ثم هرول ^{عليه السلام} ثلاثة أطوااف ومشي سائرها، ومضت هذه المرولة المعروفة من ذاك ستة، وقفوا راجعين بعد ثلاثة أيام قضوها في مكة... وكان خروجهم في منتصف النهار ولم يبق بمكة إلى وقت الظهر....

س ٣٩٠: ما هي أهم أحداث وقائع العام الثامن من الهجرة؟!

ج: / أهم الحوادث هي:

١ - وقعة مؤتة.

٢ - موقعة ذات السلاسل.

٣ - فتح مكة المعظمة.

٤ - غزوة حنين.

٥ - غزوة الطائف.

س ٣٩١: / ما هو السبب لحدوث وقعة مؤتة؟!

ج: / هناك أسباب مهمة نذكر منها ما يلي وأن كان النبي لا ينطق عن الهوى:

١ - كان ثمت أمن نسبي يسود أكثر مناطق الحجاز في أوائل السنة الثامنة، وكان نداء الإسلام قد وصل إلى أكثر النقاط ولم يبق من نفوذ اليهود شيء، ولم تعد قريش تهدّد المسلمين من ناحية الجنوب ولهذا فكر رسول الله ﷺ في أن يركز دعوته على سكان المناطق الحدودية للشام، فوجّه حارث بن عمير الأزدي مع كتاب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك بصرى الذي كان حاكم الشامات مطلق يوم ذاك، وكان يحكم من جانب قيسر.

فلما نزل مبعوث النبي مؤتة عرف به شرحبيل وكان حاكم المناطق الحدودية، فقبض عليه، وحقّق معه، فاعترف له بأنه يحمل كتاباً من جانب رسول الإسلام إلى حاكم الشامات المطلق - الحارث الغساني -، فأمر بأن يُوثق وقدمه وضرب عنقه جبراً مخالفًا بذلك كل الأعراف العالمية القاضية باحترام السفراء وحصانتهم.

فعرف رسول الله ﷺ غضب لقتل رسوله بشدة وندب الناس وأخبرهم بمقتل سفيره ومن قتله، ودعا المقاتلين المسلمين إلى الخروج للاقتصاص من قاتل الحارث.

٢ - اتفق أن وقعت في نفس الأيام حادثة أخرى أفجع من الأولى،

أكَدَتْ عَزْمَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى تَأْدِيبِ السُّكَانِ الْمَنَاطِقِ الْخَدُودِيَّةِ الشَّامِيَّةِ، حِيثُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةً ثَمَانَ مِنَ الْهِجْرَةِ عَلَى رَأْسِ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى مَنْطَقَةِ دَاتِ أَطْلَاحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ خَلْفِ وَادِيِّ الْقَرَى لِدُعَوَةِ النَّاسِ إِلَى الإِسْلَامِ، فَخَرَجُوا حَتَّى انتَهَوْا إِلَى تِلْكَ الْمَنْطَقَةِ فَدَعَوْا أَهْلَهَا إِلَى الإِسْلَامِ فَلَمْ يَسْتَجِبُوهُ لَهُمْ، وَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبِلِ فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ذَلِكَ قَاتَلُوهُمْ أَشَدَّ الْقَتَالِ، حَتَّى قَتَلُوا مُؤْثِرِينَ عَزَّ الشَّهَادَةَ عَلَى ذَلِلِ الْأَسْرِ، وَأَفْلَتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ جَرِيعٌ مِنَ الْقَتْلِ، فَلَمَّا جَنَّ الْلَّيلَ تَحَامَلَ حَتَّى أَقِ رَسُولُ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ فَشَقَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

فَسَبَبَ الْعَدُوُانُ عَلَى دُعَاءِ الإِسْلَامِ وَقَتَلُوهُمْ فِي أَنْ يَصُدِّرَ رَسُولُ اللَّهِ أَمْرًا بِالْخُرُوجِ إِلَى الْجَهَادِ فِي شَهْرِ جَاهِدِيٍّ، وَوَجَهَ جَيْشُ قَوَامِهِ ثَلَاثَةَ آلَافَ مَقَاوِلَ لِتَأْدِيبِ الْمُتَمَرِّدِينَ، وَمِزَاحِيمِي دُعَاءِ الإِسْلَامِ . . .

س ٣٩٢: / من هو أمير جيش المسلمين وكيف كانت وقعة مؤتة باختصار؟!

ج: / مؤتة قرية من قرى البلقاء في الشام، وبعد ما ندب رسول الله الناس فأسرعوا وخرجوا فعسكروا بالجرف، فأقى الجرف وعرض الجيش، وكان يعذ ثلاثة آلاف مقاتل، ثم عقد لهم راية بيضاء، وأُسند الإمارة إلى جعفر بن أبي طالب، ثم قال: فإن أصيب جعفر فزيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فعبدالله بن رواحة، فإن أصيب

عبد الله فليرتضى المسلمين بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم.

وكان أحد اليهود حاضراً فقال: يا أبا القاسم، إن كنتنبياً فسيصاب من سميت قليلاً كانوا أو كثيراً إن الأنبياء فيبني إسرائيل كانوا لو سموا مئة أصيروا جميعاً، ثم أوصاهم رسول الله ﷺ إذ بلغوا حيث قتل الحارث أن يدعوا الكفار إلى الإسلام فإن أبوا فليحاربواهم.

ومضى المسلمون حتى قاربوا موتة، فلما بلغ شرحبيل مقدمهم استنجد بالقيصر فأمده بجيش قوامه مئة ألف أو أكثر.

كان المسلمون طلاب شهادة، فلم يحسوا لكثره الأعداء ضعفاً وخوراً، واصطف الجيشان، ونادى جعفر في الناس أن ترجلوا عن رواحلكم، وقاتلوا رجالاً، وكان هذا التدبير ليشعر المسلمين أنهم لا يستطيعون الفرار، وأن عليهم أن يقاتلوا بصدق، ثم نزل عن فرس له شقراء وعقرها، ثم رفع الراية وتقدم، واستعرت القتال، والكافر يتعاقبون كالملوچ فوجأ إثر فوج، وأحاطوا بجعفر كالحلقة، ثم أهواوا عليه بالسيوف فقطعوا يمناه، فأخذ الراية بسراه فقاتل حتى أصيب مقبلاً بخمسين جراحة، ثم قطعوا يسراه فأخذ الراية بين عضديه، فضربوا في وسطه فوق شهيداً... فلما قُتل جعفر أخذ الراية زيد بن حارثة معاونة الأول فقاتل ببسالة عظيمة حتى قتل برماح القوم.

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة معاونة الثاني تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يقاتل ويرتجز، فأحسن بالجروح أثناء القتال، وألح عليه،

فأتأه رجل بعرق من لحم ليزيل به جوعه ويشد به صلبه، فلم يأكل منه شيئاً حتى سمع صوت هجوم العدو، فألق الطعام من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قُتل.

س ٣٩٣: / بعد مقتل القادة الثلاث، كيف كان وضع المسلمين ومن الذي أصبح قائدهم وأميرهم؟ ! .

ج: / بعد مقتل القادة الثلاث بدأت حيرة المقاتلين المسلمين، ولكن النبي ﷺ كان قد تخسب لهذه الحالة، وترك أمر اختيار القادة في مثل هذا الوضع إلى الجنود أنفسهم، فأخذ الراية ثابت بن أ Ferm وقال: يا عشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح على خالد بن الوليد الذي كان حديث عهد بالإسلام آنذاك.

ولقد كانت الساعة التي أنيط بها القيادة إلى خالد ساعة خطيرة وحساسة جداً، حيث قد تغلب الخوف والرعب على المسلمين كافة.

فعمد القائد الجديد إلى استخدام تكتيك عسكري لم يُعرف له مثيل، فقد أمر بالعسكر إذا جن الليل أن يحدث بعض التغييرات في صفوفه من دون ضجيج فتنتقل الميسرة إلى الميمنة، والميمنة إلى الميسرة، وتتأخر المقدمة إلى مكان القلب، ويتقدم القلب إلى موضع المقدمة. ففعل المسلمون ذلك، واستمرت هذه التغييرات حتى طلوع الفجر.

كما أنه أمر جماعة من المسلمين المقاتلين أن يخرجوا من الجيش ليلًا، وينذهبوا إلى مكان بعيد فإذا أسر الصبح التحقوا بال المسلمين سريعاً وهم يكبرون حتى يظن العدوّ وصول إمدادات عسكرية بشرية جديدة إلى المقاتلين المسلمين. وقد تسبب هذا التكتيك بنفسه في أن يحجم الجيش الكافر عن مهاجمة المسلمين واستئصالهم، بعد أن قتل خيرة قادتهم.

فلما كان الصبح ورأى العدوّ وجوهًا جديدة، كما رأوا إمداد المسلمين بمجموعة عسكرية جديدة قالوا: قد جائهم مدد.

فرعبوا وانهزموا فقاتلهم المسلمون، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وُقتل في هذه الأثناء أحد الجنود المسلمين.

ثم ساد الموقف صمت رهيب فرجعوا من حيث أتوا، ثم عادوا سالمين إلى المدينة...

س ٣٩٤: / كيف كان موقف المسلمين من الجنود الذين عادوا إلى المدينة من مؤتة؟!

ج: / قبل أن يقدم جنود الإسلام من مؤتة المدينة كانت قد وصلت إلى المسلمين أنباء انسحابهم وأنباء سيئة عن وضع الجيش، من هنا ذهب المسلمون إلى منطقة الجرف لاستقبالهم، فاستقبلوهم بشعارات نابية وانتقادات جارحة وألقوا بالتراب والحجارة في وجوه المقاتلين

العائدين، وقالوا: يا فرار، فررت في سبيل الله؟!

وقد كانت ردة بعض المسلمين قوية جداً إلى درجة اضطر بعض الشخصيات التي شاركت في تلك المعركة إلى أن يقعد في بيته، ولا يظهر في الملأ، فكان الناس - إذا خرجوا - يشيرون إليهم بالأصابع ويقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟.

فكانوا يعدّون القتل والشهادة في سبيل الله، أفضل من الانسحاب والتأخر . . .

س ٣٩٥: / كيف كان خبر مقتل جعفر أبي طالب ﷺ بالنسبة لرسول الله ﷺ؟ ! .

ج: / لقد بكى رسول الله ﷺ في مقتل ابن عمه جعفر بشدة ولكي تعرف زوجته أسماء بنت عميس بمصرع زوجها دخل عليها، فقال لأسماء: إيني ببني جعفر.

فجاءت بهم إليه فضمّهم وشمّهم، ثم ذرفت عيناه ثم بكى، فعرفت أسماء بمصرع زوجها فصاحت وبكث ثم خرج رسول الله ﷺ إلى أهله وقال: لا تغفلوا آل جعفر من أنْ تصنعوا لهم طعاماً، فإنهُم قد شغلوا بأمر صاحبهم .

وكان كلما تذكر جعفر وزيد بن حارثة بكى. [أمثال الأسماء: ح ١،

س ٣٩٦ - س ٣٩٧: ما هي خلاصة موقعة ذات السلاسل؟
وماذا سميت بهذا الاسم؟

ج: خلاصتها أن أهل وادي يابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، وتعاهدوا على أن يقتلوا **محمدًا** ﷺ وعليه السلام، فنزل جبريل عليه محمدًا ﷺ فأخبره بقتلهم، وأمره أن يبعث إليهم أبو بكر في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار؛ فأمر **محمدًا** ﷺ أبو بكر بالمسير إليهم، وأوصاه أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوا وإلا واقعهم، فقتل مقاتليهم، وسيذار لهم، فمضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار، يسير بهم سيراً رفياً حتى انتهوا إلى أهل وادي يابس، وزلوا قريباً منهم، فخرج إليهم من أهل الوادي متناً رجلاً مدجيناً بالسلاح، وطلبوه أن يتحدث إليهم أبو بكر. فخرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا: أما واللات والعزى، لولا رحم ماسة، وقرابة قرية لقتلناك وجميع من معك قتلة تكون حدثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك وارجعوا العافية، فإنما إنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب، فرأى أبو بكر الصلاح في عودة الجيش، فانصرف وأخبر النبي ﷺ بمقالة القوم، فقال **محمدًا** ﷺ: يا أبو بكر خالفت أمرى ولم تفعل ما أمرتك به. وكنت والله عاصياً فيما أمرتك. ثم إن النبي ﷺ نصب مكانه عمر بن الخطاب، وأرسله على رأس الجيش، فجرى له ما جرى لأبي بكر^(١).

(١) يروي أن النبي ﷺ بعث عمر بن العاص كذلك لكنه رجع خائباً.

ثم دعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ع وآوصاه بما أوصى به أباً بكر وعمر، وبشره بأنَّ الله سيفتح عليه، فخرج على ع ومعه المهاجرون والأنصار، فسار بهم سيراً غير أبي بكر وعمر، وذلك أنه أعنف بهم في السير، حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونه أمر أصحابه أن ينزلوا، فخرج إليه من العدو متناً رجل شاكين في السلاح، وسألوه: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم الرسول ﷺ وأخوه، أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ولكم ما لل المسلمين، وعليكم ما عليهم من خير وشر، فقالوا: إياك أرذنا، وأنت طلبنا، قد سمعنا مقالتك، فاستعد للحرب العوان، واعلم أننا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعد فيما بيننا غداً صحوة، فقال لهم علي ع: ويلكم تهددوني بكثرتكم وجمعكم، فأنا أستعين بالله ولملائكته وال المسلمين عليكم، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم.

ولما جنَّ الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم، ويقضموا ويسرجوا، فلما انشق عمود الصبح صلَّى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطئهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم. وسي ذاريهم، واستباح أمواهم وخرب ديارهم، وأقبل بالأسرى والأموال معه وأنزل الحق عز وجل سورة العاديات في ذلك اليوم، قال تعالى:

﴿وَالْمَدِينَتِ ضَبَّا﴾ (١) : يقسم بالعاديات وهي الخيل تعدو

بالرجال، الضبع: ضبعها في أعنتها وجلمنها. ﴿فَالْمُوْرِبَتْ فَدَحَا﴾ (١) : المخرجات النار من الصخور بسنابكها، ويقول علي بن إبراهيم: إن أرضهم كانت مليئة بالحجارة، فإذا وقعت عليها حوافر الخيل خرجت منها النار.

﴿فَالْمُغَيْرَتْ صُبِحَا﴾ (٢) : القسم بالمغيرات في وقت الصبح.

﴿فَأَنْزَنَ بِهِ تَقْعَدَ﴾ (٣) ﴿فَوَسَطَنَ بِهِ جَمِيعًا﴾ (٤) : يعني الخيل يثرن النقع بالوادي، حتى توسطوا القوم.

﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٥) ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٦) ﴿وَإِنَّهُ لِحُسْنِ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٧) : والحق أن الإنسان جحود لربه، وهو شاهد على هذا الجحود، وهو حريص على المال والحياة بشدة.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثَرَ مَا فِي الْقُبُوْرِ﴾ (٨) ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصَّدُورِ﴾ (٩) ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَيْرٌ﴾ (١٠) : ألا يعلم الإنسان إذا بُعث من قبره، ورأى ما في صدره حاضراً، أن ربَّه في ذلك اليوم علِم بما فعل؟

ويروى أنه كانت لأمير المؤمنين عاصبة لا يتعصب بها حتى يبعثه الرسول ﷺ في وجه شديد، فمضى إلى منزل فاطمة ؑ فالتمس العصابة منها، فقالت: أين تريد، وأين بعث بك أبي؟ قال: إلى وادي الرمل، فبكت إشفاقاً عليه. فدخل النبي ﷺ وهي على تلك الحال فقال لها: ما لك تبكين، أتخافين أن يقتل بعلك؟ كلاماً إن شاء الله. فقال له علي ع: لا تنفسْ على باجلته يا رسول الله؟

ثم خرج ﷺ ورسول الله يشيّعه حتى مسجد الأحزاب؛ ولما رجع من غزوه خرج رسول الله لاستقباله، وال المسلمين قاموا له صفين، فلما بصر شمس الولاية ﷺ بشمس النبأ ﷺ ترجل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبلهما، فقال له ﷺ: اركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين ﷺ فرحاً، وانصرف إلى منزله. وسلم المسلمين الغنائم، فقال النبي ﷺ لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟ قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا أنه لم يوم بنا في صلاة إلا قرأ فيها **﴿فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**، فقال النبي ﷺ: أسأله عن ذلك، فلما جاءه قال له: لم تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص؟ فقال: يا رسول الله، أحببته، قال له النبي ﷺ: فإن الله قد أحبك كما أحببته، ثم قال له: يا علياً، لو لا أني أشفق أن تقول فيك طائف ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك اليوم مقاولاً لا تمرّ بمناً منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك.

أقول: يقال عن هذه الغزوة «ذات السلاسل» لأنّه لما ظفر أمير المؤمنين ﷺ بأعدائه قتل أكثر رجالهم، وأسر نساءهم وأبنائهم، ثم ربط سائر رجالهم بالسلاسل والحبال، ومن هنا سميت بذات السلاسل، وهذا الموقع يبعد عن المدينة خمسة منازل.

س ٣٩٨: ما هو السبب الذي جعل رسول الله ﷺ يتوجه لفتح مكة؟!
ج: كان أحد الشروط التي تضمنها كتاب صلح الحديبية ينص

على عدم التعرض لمن دخل في حلف أحد الجانبين، وكان بنو بكر وكتانة في حلف قريش، بينما كانت خزاعة من حلفاء ومعاهدي رسول الله ﷺ، وكان بين القبيلتين شرّ قدّم.

وذات يوم قال رجل من بنو بكر شعراً في هجاء النبي ﷺ، فسمعه غلام من بنى خزاعة فمنعه فلم يمتنع، فعدا عليه فشوجه في رأسه ووجهه، فأجمع بنو بكر على قتال خزاعة وسألوا قريشاً المدد، فرفدتهم قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، وقتل من خزاعة ما يقرب من عشرين رجلاً، فبلغ رسول الله ﷺ ما جرى فقال: لا نُنصرت إن لم أنصر خزاعة، ثم أرسل في القبائل أن يوافي المدينة في أول شهر رمضان كل شاك السلاح، وأمر من في المدينة بالتأهب، وبث العيون كي لا يتسرّب إلى مكة الخبر.

لكن حاطب بن بلتعة كتب إلى قريش كتاباً يحذرهم فيه مما عزم عليه النبي ﷺ قال فيه: من حاطب بن بلتعة إلى أهل مكة: إنَّ رسول الله يريدهم، فخذلوا حذركم، وبعث بالكتاب مع امرأة تدعى سار، أخفته في ظفائرها، واتجهت نحو مكة، وتزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما فعلت، فأرسل على ﷺ في جماعة وأمرهم بإحضار الكتاب منها، فأدركوها فأنكرت وأقسمت بالله ما معها من كتاب، فسلّم سيفه وقال: أخرجني الكتاب وإلا والله لأضر بن عنقك، فلما رأت الجد آخر جته من ذؤابتها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى حاطب فسأله: ما حملك على ما صنعت؟ قال: أردت أن أتخذ عند

قريش يداً، فأهلي بين ظهرانيهم، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا لَأَنَّهُمْ دُونَنَا عَنِ الدِّينِ وَعَدُوكُمْ أُولَئِكَ﴾ [المتحنة/ ١].

س ٣٩٩: / كيف تم فتح مكة؟!

ج: وفي الثاني من شهر رمضان، أو في العاشر منه خرج رسول الله ﷺ عامداً إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين، يقول ابن عباس: طلب رسول الله ﷺ في منزل عسفان قدحاً من الماء فشرب والناس ينظرون، فلم يصم من ساعته تلك حتى مكة، يقول جابر: بعد أن شرب رسول الله ﷺ قيل له إن البعض صائمون فقال: أولئك العصاة!

ومن جانب آخر فإن العباس عم رسول الله ﷺ خرج من مكة مع أهله وعشيرته عامداً المدينة، فلقي النبي ﷺ في بيت السقيا أو ذي الخليفة، فسرّ الرسول ﷺ لرؤيته وقال: إن هجرتك آخر الهجرات، كما إن نبوتي آخر النبوات، ثم أمر بأهله فأرسلوا إلى المدينة ولزم هو الرسول ﷺ، ثم تابعوا طريقهم حتى نزلوا بـ الظهران.

قال العباس بن عبد المطلب يحدّث نفسه: والله لئن بعثت رسول الله ﷺ قريشاً بهذا الجيش فدخل مكة عنوة إنه هلاك كلّ من فيها، ثم خرج على بغلة لرسول الله ﷺ وقال: أخرج إلى الأراك لعليّ أرى حطاباً أو صاحب لبن، أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ف يأتيه ففيأتونه ففيستأمونه. قال العباس: فوالله إني لأطوف في الأراك

التمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وبُذيل بن ورقاء يتحدثان، فتكلم أبو سفيان فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة (يعني أبي سفيان) فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم قال ليك فداك أبي وأمي، ما وراءك؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قبل لكم به، باشني عشر ألفاً من المقاتلة، قال: فما تأمرني؟ قلت: تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله ﷺ، واعلم يا أبي سفيان أن على الطليعة الليلة عمر بن الخطاب، ولئن رأك لما تركك حيّاً، ذلك لأن بين أبي سفيان وعمر خصومة مكنونة منذ الجاهلية، ويقال إن هند زوجة أبي سفيان كانت تتلزم ألوان من المعاشرة مع عدد من شبان قريش، وكان عمر واحد منهم، ومن هنا كان منشأ الخصومة والحد المتبادل.

وإحالاً فقد أردد العباس أبي سفيان خلفه وقصد رسول الله ﷺ، فلما بلغا خيمة عمر بن الخطاب، رأاه عمر، فبادر إلى رسول ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا عدو الله لا أمان له ولا إيمان، فدعني اضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله إني قد أجرته.

قال النبي ﷺ يا أبي سفيان، آمن تأمن، قال: فما نصنع باللات والعزّى؟ فقال له عمر: أسلح^(١) عليهما؛ قال أبو سفيان: أفت لك ما أفحشك، ما يدخلنك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمّي؟ فقال عمر: لو كنت خارج هذه الخيمة لما جرئت على هذا القول.

(١) سلح: تغطّط.

فأسكتهما رسول الله ﷺ وقال للعباس: اذهب فقد آمناه حتى تغدو على بالغداة. فبات أبو سفيان في خيمة العباس. ولما أصبح الصباح سمع أبو سفيان آذان بلال، فقال: من هذا؟ قال العباس: إنه مؤذن رسول الله ﷺ، ونظر أبو سفيان إلى النبي ﷺ وهو يتوضأ، وأيدي المسلمين تحت شعره، فليس قطرة تصيب رجلاً منهم إلا مسح بها وجهه، فقال: بالله ما رأيت كاليلوم قط كسرى ولا قيسراً.

وبعد الصلاة غدا به العباس إلى رسول الله ﷺ، فنطق من خوفه بشهادتين، قال العباس: يا رسول الله، إن أبي سفيان رجل يحب الفخر فلو خصصته بمعرفة بين قومه، فقال رسول الله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ثم قال: ومن وضع سلاحه وأغلق بابه فهو آمن، ومن جلس عند الكعبة فهو آمن.

ثم مضى أبو سفيان، فقال النبي ﷺ لعممه: أدركه واحبسه في مضائق الوادي حتى يمرّ به جنود الله، فلحقه العباس وقال له: صبراً يا أبي حنظلة حتى تنظر إلى جنود الله.

وقف أبو سفيان في مضيق الوادي، فجعلت الجنود تمرّ به فوجاً إثر فوج من أمامه ثم مرّت كتيبة رسول الله ﷺ وهو في قلبه، وفي ركباه خمسة آلاف رجل من أبطال المهاجرين والأنصار على خيول عربية وإبل حمراء وسيوف مشرفة ودروع داودية، فقال للعباس: ما أعظم ملك

ابن أخيك! قال العباس: ويحك يا أبا سفيان، إتها النبّوة، قال: نعم.

ثم إن أبا سفيان سارع بالخروج إلى مكة، وقد سطح الغبار من فوق الجبال وقريش لا تعلم وأقبل أبو سفيان من أسفل الوادي يركض، فاستقبلته قريش، وقالوا: ما هذا الغبار؟ قال: محمد في خلق، يا آل غالب البيوت البيوت، من دخل واري فهو آمن، ومن وضع سلاحه وأغلق بابه فهو آمن، ومن جلس عند الكعبة فهو آمن.

قالت قريش: قبحك الله! وعرفت هند فأخذت تطردهم ثم قالت: اقتلوا الشيخ الخبيث، لعنه الله من وافد قوم وطليعة قوم!

ثم انثالت أفواج الكتائب يتلو بعضها بعضاً كالسيل حتى بلغت ذا طوى، وبلغ الرسول ﷺ ذا طوى، والجيش حوله كالطوق، فلما رأى ﷺ كثرة المسلمين ومكة بين يديه تذكر أيام الودحة والهجرة، فوضع جبينه على سرج ناقه في سجدة شكر، ذلك أنه لما كان مهاجرأ إلى المدينة التفت بوجهه إلى مكة وقال: «الله يعلم أنّي أحبك، ولو لا أنّ أهلك آخر جوني عنك لما أثرت عليك بذلة، ولا ابتغيت بك بدلاً، وإنّ لغتم على مفارقتك».

ثم نزل في الحجون، حيث قبر خديجة ؓ في خيمة سجافها من أديم أحمر نصب له فاغتسل، ثم ركب راحلته شاك السلاح، وقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت، واستلم الحجر الأسود بممحنه وهو يكبر، وارتفع صوت المسلمين بالتكبير حتى ردت صدأه الفيافي

والجبال، ثم نزل عن ناقته وأخذ بعض أضادى الباب ثم قال: «لا إله إلا الله، أخجز وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وغلب الأحزاب وحده». ثم أمر بتحطيم الأصنام والأوثان المنصوبة في أطراف البيت، وكان يشير بعصاه إلى الصنم أو ينجزه بطرف قوسه في عينه ويقول: « جاء الحق وزهق الباطل، إنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوًا، وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يَعِيدُ».

وكانت الأصنام تساقط بإشارته، أما الأصنام الكبيرة التي نصبت فوق الكعبة فقد أمر عليها فوضع قدمه على كتفه، ورفعه حق وصل إليها ورمى بها إلى الأرض واحداً فواحداً، فتحطممت عن آخرها، ثم نزل عليه عن الكعبة بأدب، ولما بلغ الأرض تبسم، فسألة عن السبب فقال: لقد ألميت بها إلى الأرض ولم ألق ضرراً، فقال له رسول: وكيف تلقى ضرراً ومحمد يرفعك وجرئيل ينزلك؟

ويروى أنه رسول أخذ مفتاح البيت ففتحه، ثم أمر بصور للأنبياء والملائكة نصبها المشركون على الجدران، فطممت، وبعد التهليل والحمد قال مخاطباً أهل مكة:

ما ذا تقولون وما ذا تظنون؟ قالوا: نقول خيراً، ونظن خيراً، أخ
كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت.

فأخذته الرقة، وفاضت عيناه، ولما رأى أهل مكة هذا ارتفع بكاؤهم، فقال:

«إِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أخْيَرُ يُوسُفَ، لَا تُثْرِبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». ثُمَّ قَالَ:

«أَلَا لَبِسْ جِيرَانَ النَّبِيِّ كُنْتُمْ، لَقَدْ كَذَّبْتُمْ، وَطَرَدْتُمْ، وَأَخْرَجْتُمْ، وَفَلَلْتُمْ، ثُمَّ مَا رَضِيْتُمْ حَتَّى جَئْتُمُونِي فِي بَلَادِي تَقَاتِلُونِي». ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ وَقَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الظَّلَّمَاءُ!»

وَدَخَلَ وَقْتَ الصَّلَاةِ، فَأَمْرَرَ بِلَلَّاْ فَصَعَدَ عَلَى الْكَعْبَةِ وَأَذْنَنَ، سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ صَوْتَ الْآذَانِ، مِنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، وَمِنْ كَانَ فِي أَطْرَافِ الْجَبَالِ، فَصَدَرَتْ عَنْ بَعْضِهِمْ أَقْوَالُ قَبِيْحَةِ، قَالَ عُكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتَ لَا تَكْرَهُ أَنْ أَسْمِعَ صَوْتَ ابْنِ رِيَاحٍ يَنْهَقُ عَلَى الْكَعْبَةِ؛ وَقَالَ خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَ أَبَا عَنَابَ (أَبُوهُ) مِنْ هَذَا الْيَوْمِ أَنْ يَرَى ابْنَ رِيَاحٍ قَائِمًا عَلَى الْكَعْبَةِ؛ وَقَالَ أَبُو سَفِيَّانٌ: إِنَّمَا أَنَا فَلَّا أَقُولُ شَيْئًا، وَاللَّهُ لَوْ نَطَقْتُ لَظَنَّتْ أَنَّ هَذِهِ الْجُذُرُ تَخْبِرُ بِهِ مُحَمَّدًا.

فَأَخْبَرَ جَبَرِيلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالُوا، فَدَعَاهُمْ، فَوَاجَهَهُمْ كَلَّا بِمَا قَالُوا، فَأَسْلَمُوا بَعْضَهُمْ. ثُمَّ تَقَاطَرَ رِجَالُ قَرِيشٍ فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمِنْهُمْ أَبُو قَحَافَةَ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ شِيخًا ضَرِيرًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْفُتْحِ.

ثُمَّ جَاءَ الدُّورُ إِلَى النِّسَاءِ، فَجَئَنَّ يَبَايِعُنَّهُ ﷺ، فَجَمَعُهُنَّ حَوْلَهُ، ثُمَّ دَعَا بِإِبَانَاءٍ فَصَبَّ فِيهِ مَاءً، ثُمَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ وَقَالَ: مَنْ أَرَادَ الْبَيْعَةَ فَلْتَغْمِسْ يَدَهَا فِي هَذَا الْمَاءِ، فَهِيَ الْبَيْعَةُ، إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ،

ويقال إن أمينة اخت خديجة أخذت له البيعة من النساء، ونزل في بيعة النساء قوله تعالى:

﴿بَيْأَنًا أَلَيْهِ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتِ يَبَأِغْنَكَ عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكَنَّ بِإِلَهٍ شَبَّابًا وَلَا يُشْرِقَنَّ وَلَا يُزَبَّنَ وَلَا يَقْتَلَنَّ أُولَئِكَ هُنَّ وَلَا يَأْتِنَ بِسُهْنَتِنَ يَقْرَبُنَّهُنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَزْجَلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَأِغْهُنَّ وَأَسْعَفِرْ هُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
[المتحنة/١٢].

فلما قرأ هذه الآية عليهن قالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل: يا رسول الله، ما ذلك المعروف الذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه؟ فقال:

«لا تلطممن خدآ، ولا تخمسن وجهاً، ولا تنتفن شعرآ، ولا تسودن ثوباً، ولا تدعين بويل».
وبايتهن على ذلك.

س ٤٠٠ : / بعد فتح مكة قرر رسول الله ﷺ مغادرة مكة والمسير إلى قبيلتي هوازن وثيف من الذي جعله عليها - أي على مكة -؟!
ج: / عيَّنَ معاذ بن جبل ليعلم الناس القرآن، وأحكام الإسلام
وعتاب بن أسيد الذي كان رجلاً مؤهلاً، لإدارة الأمور، والصلاوة
بالناس جماعة، ثم غادر رسول الله ﷺ مكة بأصحابه بعد أن مكث فيها
خمسة عشر يوماً متوجهاً إلى هوازن.

س ٤٠ : / نرجوا ذكر غزوة حنين باختصار؟!

ج : / بعد فتح مكة ازداد إقبال الأعراب وقبولهم للدعوة ودخولهم في الإسلام، غير أن قبائل هوازن وثقيف ترددوا وتكبروا، ثم راحوا يجمعون الجموع والسلاح، وأمرروا عليهم مالك بن عوف النصري وهو سيد هوازن، وخرجوا يسوقون معهم أموالهم ونساءهم وذارتهم حتى نزلوا بأوطاس، وكانوا أربعة آلاف مقاتل، ثم أرسل مالك يستصرخ بني سعد، لكنهم أبوا إمداده قائلاً : إن محمدًا رضينا، وقد نشأ بين ظهرانينا ، فلن نحاربه ، وبعد إلحاح من مالك ، ورسل ورسائل استطاع خداع فريق منهم ، فخرجوا معه .

وإحالاً فقد استطاع مالك بن عوف أن يحشد جيشاً قوامه ثلاثة ألف مقاتل ، وسار بهم في وادٍ عريضة يقال له وادي حنين وعسكر هناك .

وبلغ رسول الله ﷺ إجماع القوم على حربه فانصرف إلى الإعداد للحرب وكان الجيش الذي سار به رسول الله ﷺ إلى هوازن يبلغ (١٢) ألفاً من الجنود المسلمين عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة ، وشاركوا في فتح مكة ، وألفان من رجال وشباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح ، وقد أوكل النبي ﷺ قيادتهم إلى أبي سفيان . وأغاره صفوان بن أمية مئة درع وبعض آلات الحرب الأخرى ، وسار بهم حتى اقترب من حنين ، ويروى أن أبو بكر قال وقد أتعجبت الكثرة ، لن نغلب اليوم

من قلة، قال تعالى: ﴿لَئِنْ تَرَكُوكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَعْجَبَتُكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبه / ٢٥].

من جانب آخر فقد قال مالك بن عوف لأصحابه: اكسروا جفون سيفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر، فإذا كان في غلس الفجر فاحملوا حلة رجل واحد.

أما رسول الله ﷺ فلما أسرف الصبح عقد اللواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين علي عليهما السلام، وخرج الناس على رايته، وسلك الجيش طريقاً ينحدر إلى وادي حنين، وكان بنو سليم على مقدمته بقيادة خالد بن الوليد، الذي عبر الوادي مرعاياً ضيقه وانحداره. مما اضطر قومه للمسير كتائب متفرقة، وهنا انقض عليهم رجال هوازن من كل ناحية، فانهزم بنو سليم، وانهزم من وراءهم كتائب قريش، وكانوا حديثي عهد بالإسلام، وتبعهم الآخرون في الهزيمة فلم يبق أحد إلا انهزم، وبقي أمير المؤمنين علي عليهما السلام يقاتل في نفر قليل، ومر المهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء.

وكان النبي ﷺ يركب بغلته البيضاء (ذلدل) فأقبل ينادي: إلى أين أنت يا الناس؟ فلم يلو أحد عليه؛ وكان من بقي مع النبي ﷺ عشرة أنفس، تسعه من بني هاشم خاصة، وعاشرهم أمين بن أم أمين، وقد قتلته مالك، رحمة الله عليه، وبقي الهاشميون التسعة، العباس بن عبد المطلب عن عينيه ﷺ أخذوا بلحام بغلته، والفضل بن العباس عن

يساره، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممسكاً بسرج بغلته، وأمير المؤمنين عليه السلام بين يديه يضرب بالسيف، ويدفع عنه العداء، ونوفل بن الحارث، وريعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي هلب حوله، وقد ولّت الكافة مدبرين.

ولما رأى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ذلك، وكز بغلته وحمل على القوم، وحمي الوطيس وهو عليه السلام يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذه هي الواقعة الوحيدة التي قاتل فيها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بنفسه.

وعن الفضل بن العباس أن أمير المؤمنين عليه السلام قتل وحده في هذا اليوم أربعين رجلاً من القوم، كان بضربة منه يقدّ واحدهم نصفين، وكانت ضرباته بكرة، كما يقول الفضل، فكانت تكتفيه ضربة واحدة يردي بها خصمه، ولا يحتاج إلى ثانية.

قال: وأقبل رجل من هوازن اسمه أبو جرول، على جمل أحمر، بيده راية سوداء ركزها في رأس رمح طويل، وكان يتقدم القوم، فإذا ظفر بأحد من المسلمين فقتله رفع الراية لمن وراءه من المشركين فاتبعوه، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا براح حتى نبيح القوم أو نباخ

فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بيده فصرعه، ثم ضربه

أخرى فقده نصفين مجندلاً وهو يقول:

قد علم القوم لدى الصباح أي لدى الهيجاء ذو نصائح

وقد اخذل المشركون بقتل أبي حرول، وارتفع صوت العباس -
وكان جهوري الصوت - ينادي الأصحاب ويقول: «يا معاشر
الأنصار، يا أصحاب بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة»، فالتأم
الناس وانحدروا خلف العدو.

وتناول النبي ﷺ حفنة من تراب نثرها على العدو وقال: «شاهدت
الوجوه»، ثم دعا فقال: «اللهم إنك أذقت أول قريش نكالاً، فأذق
آخرها نوالاً».

ويروى أن خمسة آلاف من الملائكة شهدوا هذه الحرب، وفرَّ مالك
بن عوف مع جماعة من هوازن وثيف إلى الطائف، كما فرَّ آخرون إلى
أوطاس، وفريق ثالث بيطن خلة، وقال رسول الله ﷺ من قتل كافراً
فله سلاحه وثيابه.

يقال إن أبو طلحة قتل في هذه الحرب عشرين رجلاً، وكان له
سلبهم، وقد قُتل من المسلمين أربعة شهداء وقيل ثانية، ولما وضعت
الحرب أوزارها كان بين المنهزمين ألف وخمسة بين محارب وقائد،
وكلَّ من أدركوه منهزمًا قتلوه.

وبعد ثلاثة أيام على هذه الحال أمر رسول الله بالغنم فجمعت في

الجعرانة لتوزيعها، وكانت أربعة وعشرين ألفاً من الأبل، وأربعين ألف [أربعة آلاف] أوقية من الفضة، وما يزيد على أربعين ألف شاة، إلى جانب ستة آلاف من الأسرى، وكان بينهم شيماء بنت حليمة، وأخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فلما قامت على رأسة قالت: يا محمد أختك سبى بنت حليمة، فزع رسول الله ﷺ برده فبسطه لها فأجلسها عليه، ثم أكبّ عليها يسائلها، وخيّرها بين أن تكون معه أو تعود إلى بيتها فاختارت الأخير، فأعطها غلاماً أو جارية على قول، وبعيرين وبضع شياه، وقد كلامته في أسارى هوازن فقال: أما نصيبي ونصيب بنى عبد المطلب فهو لك، وأمّا ما كان لل المسلمين فاستفسعي بـ عليهم.

فلما صلوا الظهر قامت فتكلمت، فوهب لها الناس أجمعون، إلا الأقرع بن حابس، وعبيدة بن حصن، فإنهما أبيا أن يهبا، فأقرع رسول الله ﷺ بينهما وبين الأسرى ثم قال: اللهم توه سهمييهما، فأصاب أحدهما خادماً لبني عقيل، وأصاب الآخر خادماً لبني غير، فلما رأيا ذلك وهبا ما منعا.

س٤٠٢: هل يمكنكم ذكر غزوة الطائف وأسبابها باختصار؟!

ج: لقد كانت قبيلة ثقيف التي كانت تُعدّ من القبائل العربية القوية الكثيرة العدد تسكن في الطائف. وكانت أعراب ثقيف من الذين شاركوا في معركة حنين ضدّ الإسلام والمسلمين، ثم لجأوا بعد

المزيد من الكراهة التي لحقت بهم إلى بلدتهم الذي كان لهم آذاك فيه حصن قوي ومنيع.

ولتكملة الانتصار الإسلامي أمر الرسول القائد ﷺ بـ ملاحقة الهاريين المهزومين في معركة حنين.

من هنا كلف أبا عمر الأشعري وأبا موسى الأشعري وفريقياً من جنود الإسلام بـ ملاحقة من حمل منهم إلى أمطاس فقتل القائد الأول في هذه الواقعة، واستطاع الثاني أن يحرز انتصاراً كبيراً على العدو ويفرق جمعه.

وأما النبي ﷺ نفسه فقد توجه بالبقية من جيشه إلى الطائف، ومر في طريقه على حصن مالك بن عوف النصري مثير فتنة «حنين» ورأس المؤامرة، فهدمه وسوأه بالأرض ثم استقر حول مدينة الطائف..

كان حصن الطائف حصناً منيعاً، مرتفع الجدران، قوي البنيان، فيه أبراج للمراقبة مسيطرة على خارج الحصن سيطرة كاملة. ومنذ أن استقرَّ الجيش الإسلامي خارج الطائف بدأ حصاره لها، غير أن الحصار لم يتكاملْ بعد حتى عمد العدو إلى رمي المسلمين للحيلولة دون تقدُّمهم نحو الواقع المرسومة لها، فقتل بهذا جماعة من المسلمين في بداية هذه الواقعة.

فأمر رسول الله ﷺ الجيش بالانسحاب والتراجع التكتيكي إلى نقطة بعيدة عند مرمى العدو، والتمركز فيها ريثما تصدر الأوامر

الجديدة - وهنا أقترح سلمان الفارسي على رسول الله ﷺ بأن يرمي الحصن بالمنجنيق ..

فقام أمراء الجيش الإسلامي بنصب المنجنيق بإرشاد وتوجيهه من سلمان، وأخذوا يرمون الحصن المذكور وأبراجها الشاهقة بالحجارة طوال عشرين يوماً متواالية. ولكن العدو لم يسكت تجاه هذه العمليات القوية التي بدأها المسلمون، فزاد من رميهم واستمر في ذلك، فوُقعت بين المسلمين بعض الإصابات نتيجة ذلك.

مضافاً للمنجنيق أراد جنود الإسلام إيجاد ثغرة في الجدار فواجهوا مشكلة كبيرة، لأن السهام والأحجار والنيران كانت تنصب على رؤوس المقاتلين المسلمين كالمطر، ولم يكن في مقدور أحد منهم الاقتراب والدُّخُول من جدار الحصن، فكان أفضل وسيلة لتحقيق هذا الهدف هو استخدام الدبابة التي كانت في جيوش العالم الكبيرة في تلك العصور في صورتها البدائية وكانت آنذاك تُصنع من الخشب وتُعطي مجلود البقر، ويدخل تحتها جماعة من الجنود الأقوباء ثم تتحرك نحو الحصن حتى تدنو إليه، ويقوم الجنود بعملية إيجاد ثغرة أو نقب في جدار الحصن، فاستخدم نفر من جنود الإسلام الشجعان الأشداء هذا الجهاز بالطريقة المذكورة، بيد أن العدو قد حال دون هذا العمل إذ ألقى على الدبابة سكك الحديد المحمولة بالنار فأضرر سقفها، واضطربَ أفرادها إلى الخروج منها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلتهم منهم رجالاً واحداً ولم ينتفع هذا التكتيك القتالي، فأنصرف المسلمون عن استخدامه.

ولقد كانت أرض الطائف أرض زراعة، ونخيل وأعناب، وكانت معروفة في الحجاز بمحاصيلها، وكثرة محاصيلها، وخيراتها، لأن أهلها كانوا يجهدون كثيراً في تنمية خلتهم وأعنابهم ورعايتها . . فأعلن ﷺ لتصديهم بأنه سيعد إلى قطع أعناب ثقيف، وإففاء مزارعها إذا واصل المعتصمون بالحصن مقاومتهم ولم يسلموا لل المسلمين .

فلم يكترث العدو بهذا التهديد لأنه لم يك يتصور أن رسول الله ﷺ يستخدم مثل هذه الطريقة، وفجأة وجدت ثقيف أن رسول الله ﷺ أصدر أوامره بقطع الأعناب، وإتلاف المزارع وتخريقها، فوقع المسلمون فيها يقطعون ويحرقون، فعجبت ثقيف لذلك وضجت، واستغاثت برسول الله ﷺ وأقسمت عليه بالرحم والقرابة أن يكف عن ذلك فتركها وكف .

وكانت ثقيف جماعة ثرية، وذات مال كثیر، وعييد وإماء كثيرين، ولکي يحصل رسول الله ﷺ على معلومات دقيقة عن الأوضاع في داخل الحصن، ويعرف بالتالي حجم إمكانات العدو ومدى استعداداته من جهة، ويوجد الاختلاف في صفوفه من جهة أخرى أمر أن يعلن عن القرار التالي وينادي: أي عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حرٌ .

ونفعت هذه الطريقة إلى حد ما، فقد خرج من الحصن بطريقه ماهرة حوالي بضعة عشر رجلاً من عبيد ثقيف ورفيقهم، والتحقوا

بصفوف المسلمين فعرف رسول الله ﷺ من خلال التحقيق معهم أنَّ المعتصمين، بالحصن لا ينونون الاستسلام، وأنَّهم مستعدون للمقاومة حتى لو طال الحصار عاماً واحداً فأنهم أعدُّاً لذلِك الطعام والسلاح . . . فأيُّقْنَ ﷺ أن فتح الحصن يحتاج إلى مزيد من الصبر والعمل على حين لم تكن ظروف الجيش الإسلامي تسمح بذلك فترك ﷺ حصار الطائف وعاد بجيشه إلى الجعرانة التي جعلها ملاً لحفظ أسرى حنين وغنائمها.

س ٤٠٣ : / كيف حصل المسلمين على جهاز المنجنيق؟ ! .

ج : / يرى البعض أن سلماً هو الذي صنع هذا الجهاز وعلم المسلمين كيفية استخدامه في هذه الغزوـة - لذا يرى ابن هشام أن رسول الله ﷺ هو أول من استخدم المنجنيق في الجزيرة العربية .

ويرى آخرون أن المسلمين حصلوا عليه من اليهود في خير عنـد فتح قلاعهم وحصونـهم واصطحبـوه معـهم إلى الطائف واستخدـموه في غزوـها .

ولا يجد أن الصاحبـي الجليل سلمـان قد أدخل بعض التحسـينات على ذلك الذي جلبـه المسلمين من خـيرـ، وعلمـ المسلمين كيفية نصبـه واستخدامـه في القـتـالـ، فإـنه يستفادـ من التـارـيخـ أنـ المنـجـنـيقـ لمـ يكنـ منـحصرـاـ فيـ المنـجـنـيقـ الـذـي حـصـلـ عـلـيهـ منـ يـهـودـ خـيرـ، لأنـ النـبـيـ

بعث الطفيلي بن عمرو الدوسي لتحطيم أصنام لقبيلة دوس في وقت متزامن مع خروجه إلى معركة حنين ثم الطائف فعاد الطفيلي فاتحاً مع من خرجموا تحت إمرته من جنود الإسلام الأربعين، وكانوا برمتهم من أبناء قبيلته فقد قدم الطائف على رسول الله ﷺ مع عدد واحد من جهاز المنجنيق وعربتين حربيتين خاصتين، وقد استُخدمت هذه الأليات في غزوة الطائف.

س ٤٠٤ : / كم كانت خسائر المسلمين في هذه الغزوة - الطائف - ؟ ! .

ج : / قُتل في أثناء هذه المعاشرة «١٢» مسلماً سبعة منهم من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل واحد من قبيلة أخرى.

س ٤٠٥ : / ما هي أهم السباب التي جعلت رسول الله ﷺ أن يقرر الانسحاب من حصار الطائف؟ !

ج : / هناك أدلة عديدة منها :

١ - لقد كان دِبَّ نوع من التعب في نفوس جنود الإسلام لم يكن من الصالح تجاهله - حيث كانوا في غزوة حنين ثم الطائف - .

٢ - إن شهر شوال قد انتهى، وبدأ شهر ذي القعدة الذي كان معروفاً عند العرب من الأشهر الحرم وقد أيد الإسلام فيما بعد هذه السنة، وأكَّد حرمة الأشهر الحرم.

من هنا كان من الضروري - حفاظاً على هذه السنة - إنهاء الحصار في أقرب وقت لكي لا تنهمُ عربُ ثقيف رسول الله ﷺ بمخالفة السنة الصالحة وخرقها .

أضف إلى ذلك دنوًّا حلول موسم الحج ، مع العلم بأن إدارة ذلك الموسم ومناسكه كانت في ذلك العام لل المسلمين ، وكان هو أفضل فرصة للتبلیغ الإسلامي فيجب استغلاها فهي أهم من فتح حصن في منطقة نائية . . .

مضافاً إلى ذلك بعد فترة أسلم مالك بن عوف وأصبح من قادة جيش الإسلام لمقاومة ثقيف ، فهذه العملية كانت أفضل من البقاء محاصراً للحصن مع أعطاء خسائر . . .

س٦ : / ما هي قصة كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وقصة قصيده «بانت سعاد»؟! .

ج: / كان زهير أبي سلمى من شعراء العرب البارعين في العهد الجاهلي ، فهو صاحب إحدى المعلقات السبع التي بقيت منصوبة في الكعبة المعظمة حتى قُبيل نزول القرآن الكريم ، وكانت تفتخر بها العرب ، وتبدأ معلقتُه تلك بقوله :

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكُلْمَ بِحُومَانَةِ الرَّاجِ فَالْمُتَشَلِّمُ
وقد توفي زهير قبل عصر الرسالة ، وخلف ولدين هما مجير وكعب

وكان الأول ممن آمن برسول الله ﷺ ونصره، وأحبه، بينما عادى الثاني كعب رسول الله ﷺ بشدة، وحيث أنه كان ذا قرحة شعرية موروثة قوية، لهذا كان يهجو رسول الله ﷺ في قصائده وأشعاره ويؤلّب الناس ضدّ الإسلام.

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة كان بيبر قد شارك مع النبي ﷺ في فتح مكة، وحصار الطائف، وقد شاهد عن كثب كيف هدّى النبي ﷺ بالقتل بعض الشعراة الذين كانوا يهجون ويؤلّبون الناس ضدّ الإسلام، وأهدر دماءهم.

فكتب بهذا إلى أخيه كعب ونصحه في آخر كتابه قائلاً: إن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً.

فاطمأنَّ كعب بكلام أخيه، وتوجه من فوره إلى المدينة فدخل المسجد ورسول الله ﷺ يتّهِيأ لصلاة الصبح، فصلَّى مع رسول الله ﷺ لأول مرة ثم جلس إليه، ووضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه.

فقال: يا رسول الله إنَّ كعب بن زهير قد جاء ليستأْمن منك تائباً مُسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتكم به؟ قال: نعم. قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

(روى أنه وثب على كعب في تلك الحال رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدُوا الله أن أضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً - عما كان عليه -).

ثم أخرج كعب قصيده اللامية العصماء التي مدح فيها رسول الله ﷺ والتي كان قد أنشأها من قبل، وأنشدها بين يدي رسول الله ﷺ في المسجد ليتلافي بها ما سبق أن بدر منه من هجاء وطعن في سيد المرسلين ﷺ وعدد أبيات هذه القصيدة اللامية - ٥٨ بيتاً ومطلعها - .

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتولٌ متيمٌ إثراها لم يفَد مكبولٌ

فقد بدأ بذكر زوجته وابنته عمه، ولقد خصها بالذكر لطول غيابه عنها، هروبه من النبي ﷺ فيقول: فارقني سعاد فراقاً فقلبي اليوم أسمقه الحبّ، وأضناه، فهو ذليلٌ لغيتها لم يخلص من الأسر والقيد.

ثم يعspi في هذا من الكلام حتى يصل إلى أن يعتذر من صنيعه السبيئ فقال:

لَبِئْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مَهْمَا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الْقُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفَصِيلٌ
لَا تَخْذُنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاءِ وَلَمْ أَذْنَبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

إلى أن قال:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنَا يَسْتَفَاءُ بِهِ مُهَمَّدٌ مِنْ سَيِّفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ

يقال: إن: كعباً عندما فرغ من إنشاء قصيده كسام النبي ﷺ بُردة كانت عليه . . .

«السنة التاسعة من
الهجرة»

س ٤٠٧: / ما هي أهم حوادث ووقائع العام التاسع من الهجرة؟!

ج: / أن أهم الحوادث والوقائع هي:

١ - تسمية العام بعام الوفود.

٢ - حصول غزوة تبوك.

٣ - عملية اغتيال رسول الله ﷺ في العقبة.

٤ - هدم مسجد ضرار.

٥ - قدوم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ للإسلام.

س ٤٠٨: / ما هو عام الوفود، ولماذا يُسمى بهذا الاسم؟!

ج: / كانت وفود القبائل العربية المختلفة، وأحياناً مجموعة من أفراد قبيلة ما بقيادة رئيسها تقدم على رسول الله ﷺ وتعلن عن إسلامها، وقبوها للرسالة الحمَّدية، وقد ازدادت قدومُ وفود القبائل هذه

على عاصمة الإسلام «المدينة المنورة» في هذا العام حتى سمى بعام الوفود، وقيل ما يقارب ثلاثة وسبعين وفداً وفدت على رسول الله ﷺ.

ويتحدث القرآن الكريم في سورة خاصة عن قدوم هذه الوفود على رسول الله ﷺ وما حققه الإسلام من فتح وانتصار ساحق إذ يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَلْفَتْهُمْ
أَنَّاسٌ يَدْعُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَوْجًا﴾ ﴿فَسَيِّئَتْ حِكْمَتُ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُ لِأَنَّمَا كَانَ
قَوَابِدًا﴾ [النصر / ١ - ٣].

س٤٠٩: هل هذه الغزوة - غزوة تبوك - أسم آخر؟ .

ج: / تبوك موضع بين الحجر - ديار ثور في ناحية الشام، - قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَجْرِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ - والشام، وهي اسم حصن وماء في تلك النواحي نزل عنده جيش المسلمين، ويقال لهذه الغزوة: الفاضحة، لافضاح كثير من المافقين فيها ، ويقال لهذا الجيش: جيش العُسرة، لما لقيه الناس من قحط وشدة، وهي آخر غزوة من غزوات الرسول ﷺ.

س٤١٠ - س٤١١: / ما كان سبب هذه الغزوة - غزوة تبوك -؟ وكيف كانت باختصار؟! .

ج: / سبب هذه الغزوة أن قافلة من التجار قدمت المدينة من

الشام، فأشاروا أن الروم قد اجتمعوا يربدون غزو رسول الله ﷺ في عسكر عظيم، وأن هرقل قد سار في جنوده وجلب معهم قبائل غسان وجذام وفهر وعاملة، قد قدم عساكره البلقاء، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ، وحثهم على الجهاد. وكان ذلك في وقت عسير على أهل المدينة، فقد كان الجو شديد الحرارة، وكانت الشمار والمحاصيل قد أدركت وحان قطافها، وأحب الناس المقام في المسكن والمال، إلى بعد الشقة وكثرة الأعداء، فتشاكل القوم عن الخروج، ونزل قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ مَأْمُوا مَا لَكُو إِذَا قِيلَ لَكُو أَنْفَرُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَنَّا فَلَتَّمُ﴾ [التوبه / ٣٨].

ثم إن الناس بدئوا بالأجر يأتون بصدقائهم لتجهيز الجيش، وكان عند أبي عقيل الأنباري صاعان من التمر جمعهما من عمله بالأجر، فترك صاعاً لعياله، وقدم صاعاً للجيش، فتقبله رسول الله ﷺ منه، لكن بعض المنافقين سخروا منه لقلة صدقته ونالوه بلمزهم، فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِرُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهَدَهُرُ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَيِّرَ اللَّهُ يُنْهِمْ وَقُلْمَ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [التوبه / ٧٩].

وتصدق كثير من النساء بحملهم فضتها إلى تجهيز الجيش وأمر أن يأخذ كلّ نعلين زيادة فيعد كالراكب. وهكذا جهز جيشاً قوامه ثلاثون ألف رجل، منهم ألف راكب، وجاء جماعة يدعون اثنين وثمانين رجلاً يلتسمون الإذن في التخلف لفقرهم وقلة مالهم، فقال لهم: اذهبوا أغناي الله عنكم، ونزل قوله تعالى: ﴿وَجَاهَ الْمُعَذَّرُونَ

يَمِنَ الْأَغْرَابِ لِيُؤَذَّنَ لَهُمْ ﴿التوبه/٩٠﴾

وفريق آخر من المنافقين قعدوا عن الخروج دون أن يقدموا أعتاراً، لا بل كانوا يخوفون الناس ويقولون إن الحر شديد، أو يقولون إن محمدًا يظن أن حرب الروم هي كغيرها من الحروب، وإن رجلاً واحداً لن يعود من هذا الجيش فقط، وأمثال ذلك من القول، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿فَرَحِيَ الْمُخْلَفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ جَلَّتْ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجْهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرَّاً كَثُرًا يَقْهَرُونَ ﴾ ﴿التوبه/٨١﴾

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أذن لبعض المنافقين بالقعود، فقد أنزل تعالى قوله: ﴿وَعَنَّا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾.

وإجمالاً فلما حصل المنافقون على الإذن بالتلحف، أضمروا في أنفسهم أنهم - في حال طال غياب النبي ﷺ، أو في حال هزيمته في تبوك - سيغيرون على بيته وينخرجون أهله من المدينة، ولما علم النبي ﷺ بما تكتئه ضمائرهم استخلف على المدينة أمير المؤمنين عـ كي لا ينال المنافقون مبتغاهم، وكى يعلم الناس أن الخلافة بعد النبي ﷺ: إنما هي لعلي عـ . . .

وتوجه المسلمون إلى تبوك، ولاقوا في سفرهم هذا من العناء والشدة ما لم يلقون من قبل أبداً، فقد كان لكل عشرة منهم جمل واحد يتناوبون ركوبه، إلى قلة في الزاد، حتى أن قوت الرجلين منهم كان حبة

تمر، يلوك نصفها ويدع النصف لرفيقه: «وكان زادهم الشعير المسوس، والتمر الزهيد، والإهالة السّخنة - الشحم الفاسد -».

وفضلاً عن شدة الحرّ وسورته فقد كان الماء قليلاً، حتى أنهم مع قلة رواح لهم كانوا ينحررون البعير ويشربون ما يختزنه في جوفه، ومن هنا جاءت تسمية هذا الجيش بجيش العسرة، فقد عاينوا ثلاثة ألوان من العسرة الشديدة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ ثَابَ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَبْعَهُمْ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ إِنْ بَعْدِ مَا كَادُوا يَرْبِعُ فُلُوبَ فَرِيقٌ مَّتَهُمْ﴾ [التوبه / ١١٧].

وإجمالاً، بلغ رسول الله ﷺ أرض تبوك، وعلم هرقل بقدومه، وكان إمبراطوراً على أوروبا وبلاد الشام وبيت المقدس، وقد اتخذ مقاماً له في حصن، وكان منذ البداية يميل إلى رسول الله ﷺ لما عرفه من دلائل نبوته، وفي رواية أنه أسلم ودعا قومه إلى التصديق به فأبوا عليه حتى خافهم على ملكه، فامتنع وأسلم سراً.

ولما عرف النبي أن غزو قيسر للمدينة كان خبراً كاذباً جمع كبار أصحابه وسألهم ماذا ترون؟ هل نغزوا من هنا ممالك بني الأصرف، أم نعود إلى المدينة؟ فرأى بعضهم أن الصلاح في العودة فرجع بالجيش إلى المدينة ولما ورد ﷺ بالمدينة كان يقي في شهر رمضان أيام، فأن جري عادته إلى المسجد، فصلّى ركعتين، ثم انصرف إلى بيته.

س ٤١٢ : / لما استخلف النبي ﷺ محله على بن أبي طالب ﷺ في المدينة واتجه إلى تبوك ما فعل المنافقون؟ ! .

ج : / لما خرج من المدينة قال المنافقون : إن النبي ﷺ لم يستخلفه إلا استثناؤا له ، وإنما فلم يخرجه معه؟ ! فلما سمع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بمقاتلتهم لحق بالنبي ﷺ في الجرف وأبلغه بزعم المنافقين من استثقاله إياه ومقته له ، فقال له النبي ﷺ : ارجع يا أخي إلى مكانك ، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجري وقومي ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ ! إلا أنه لا نبي بعدي؟ ! . فرجع إلى المدينة عَلَيْهِ السَّلَامُ واتجه رسول الله ﷺ إلى تبوك . . .

س ٤١٣ : / ما هي قصة دومة الجندي؟ !

ج : / على طريق تبوك كانت تقع منطقة عامرة خضراء ذات أشجار وزروع ومياه جارية تضم حصنًا منيعًا ، وتبعد عن الشام بما يقرب من خمسين فرسخًا ، تسمى دومة الجندي وكان يحكمها يومذاك رجل مسيحي يدعى أكيدر بن عبد الملك .

وحيث أنَّ رسول الله ﷺ كان يخشى هجوماً آخر من الروم ، والاستعانة بمحاكم دون المسيحي وبهذا يعرضون أمن الحجاز للخطر ، لذلك رأى ﷺ أن يستفيد من قوته الحاضرة أكبر قدر ممكن فبعث مجموعة من المقاتلين بقيادة خالد بن الوليد إلى المنطقة المذكورة لتطويعها وتطبيع حاكمها .

فتوجه خالد مع فرسانه إلى دومة الجندي حتى اقتربوا إلى حصنها، وكمنا قريباً منه.

وفي تلك الليلة خرج أكيدر وأخوه حسان من الحصن ومعه نفر من أهل بيته للصيد فلما ابتعدوا عن الحصن حاصرهم حيلٌ خالد وأسروا أكيدراً بعد قليل من القتال والمواجهة، وقتل أخوه حسان وبجاً البقية إلى الحصن، واعتصموا به، فصالح خالد أكيدراً على أن يطلب له ولقومه الأمان من رسول الله ﷺ لقاءً أن يفتح أبواب الحصن في وجه المسلمين ويلقي أهلها الأسلحة.

فأمر أكيدر الذي كان يثق بصدق المسلمين واحترامهم لوعودهم وعهودهم، أمر قومه أن يفتحوا أبواب الحصن ويسلموا للMuslimين، ويلقوا أسلحتهم ويتركوا القتال، وكانت الأسلحة تبلغ أربعين آلة درع، وأربعين آلة رمح وخمسين آلة سيف ثم توجه خالد بأكيدر وقومه وما حصل عليه من الغنائم إلى رسول الله ﷺ فخلبت منظرُ الدبياج الخوّص بالذهب عيون جماعة من طلاب الدنيا، فأخذوا يتلمسونه بأيديهم ويعجّبون منه فقال رسول الله ﷺ وهو لا يكترث بتلك الثياب: فوالذي نفسي بيده لمن أدلّ الجنة أحسنٌ منْ هذا.

لقد حضر أكيدر عند رسول الله ﷺ وامتنع عن قبول الإسلام آلاً أنه رضي بأن يعطي الجزية للMuslimين، وصالحه النبي ﷺ على ذلك وكتب له كتاباً، ثم أهدى له ﷺ هدية واستعمل على حرسه عباد بن بشر ليوصله إلى دومة الجندي سالماً.

س ٤١٤ : / هل حدثت حوادث في طريق المسلمين إلى تبوك؟ !

ج : / في هذه الغزوة ظهرت معجزات كثيرة على يدي رسول الله ﷺ، منها إخباره بحديث المنافقين، ومنها تكلمه مع الجبل، وإجابة الجبل له بلسان فصيح، ومنها كلامه ﷺ مع الجني الذي ظهر بصورة أفعى كبيرة في رأس الطريق، وإخباره عن مكان ناقة ضالة، وزيادة ماء تبوك ببركته، إلى غير ذلك .

س ٤١٥ : / نتيجة لقصر البحث وعدم الإطالة ما هي قصة إخباره عن مكان ناقة ضالة؟ !.

ج : / لما كان رسول الله ﷺ بعض الطريق إلى تبوك ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، فقام أحد المنافقين، وقال: أليس محمد يزعم أنهنبيّ، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟ !.

فقال رسول الله ﷺ وهو يكشف النقاب ببيانه الرائع :

«إن رجلاً قال هذا محمدٌ يخبركم أنهنبيّ ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟

وأني والله لا أعلم إلاً ما علمني الله، وقد دلّني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها». .

ذهب بعض الصحابة من فورهم، وجاءوا بها.

س ٤١٦ : / إن النبي الأكرم ﷺ وإن لم يلق في هذا السفر الشاق - إلى تبوك - كيداً ولم يواجه العدو، ولم يقاتل إلا أنَّ هذه السفارة عادت عليه بسلسلة من الفوائد المعنوية والروحية - هذا الكلام يقوله بعض أرباب السير - فهل يمكنكم ذكر بعض هذه الفوائد؟!

ج : / نعم، وهي :

١ - صعود مكانة وسمعة الجيش الإسلامي في قلوب أهل الحجاز وحكام المناطق الحدودية، بحيث أصبح الجميع يعرف قوة وعزمة هذا الجيش وهذا السبب أخذت وفود القبائل تؤذن على رسول الإسلام لتعلن إسلامها وسمى هذا العام بعام الوفود كما ذكرنا.

٢ - ضمن المسلمين عن طريق عقد المعاهدات المختلفة المتعددة مع حكام المناطق الحدودية الحجازية والسورية أمن هذه المنطقة، واطمئن بسببيها إلى أنهم سوف لن يتعاونوا مع جيش الروم، ولن يدخلُ مع تلك الدولة في مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين.

٣ - مهد ﷺ بهذا السفر الشاق الطريق لفتح الشام، فقد عرف قادة جيشه طرق هذه المنطقة ومشاكلها . . .

٤ - غيَّر المؤمن عن المنافق في هذه التعبئة العامة وحصلت عملية تصفيَّة وفرز كبيرة وعميقة في جماعة المسلمين.

س ٤١٧ : / ما هي قصة أصحاب العقبة؟ .

ج : / في طريق العودة من تبوك جرت قصة أصحاب العقبة، وهم جماعة من المنافقين - عددهم (١٢) وقيل (١٤) - اتّمروا على أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ عند عقبة في الطريق، فإذا نفرت طرحته فقتل ، ولما بيتوا أمرهم أتاه جبريل عليه السلام فأخبره خبرهم: فركب عليه الناقة وأمر عماراً أن يمسك بزمام الناقة كما أمر حذيفة بن اليمان أن يسوقها، ولما بلغوا العقبة أمر أن لا يتقدمه أحد إليها ، ثم رق العقبة فرأى فرساناً متلثين ، فصرخ بهم وأسرع حذيفة فاستقبل وجهه رواحلهم ضرباً بمحجن كان معه ، فخافوا وظنوا أن مكرهم قد انكشف ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، فقال النبي ﷺ : يا حذيفة ، هل عرفت الرهط؟

قال: لا ، فوجوههم كانت متلثمة ، قال: إنهم فلان وفلان حتى عددهم ، ثم قال: اكتم هذا الحديث ، ومن هنا كان حذيفة يمتاز عن الصحابة بأنه يعرف المنافقين ، ويقال بشأنه: صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . - وفي رواية يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم وذكرتهم للرسول ﷺ . . .

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُونَ إِنَّا كُنَّا مُخْرُضَ وَلَنَعْبُدُ﴾ [التوبه/ ٦٥].

س٤١٨: / لماذا لم يبعث خلفهم رسول الله ﷺ لمحاسبتهم؟ !.

ج: / أفضل من يحيب في هذا السؤال هو الرسول ﷺ حين قال له حذيفة بعدهما عرفهم: يا رسول الله ألا تبعث إليهم لتقتلهم؟ فأجابه رسول الله ﷺ:

«إن الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكرهُ أن يقول الناسُ أنه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر على عدوة ثم أقبل عليهم فقتلهم ولكن دعهم يا حذيفة فإن الله لُم بالمرصاد». [الدرجات الرفيعة: ص ٢٩٨].

س٤١٩: / هل روبرت أسماء أصحاب العقبة في رواية؟ !.

ج: / نعم، وهي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ الْهَيْثَمِ الْعَجْلَيْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنَ زَكْرِيَا الْقَطَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ بَهْلُولَ. عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَشَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيَادِ بْنِ الْمَنْذَرِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَمِيعُهُمْ مِنْ الشِّبِّخَةِ، عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنَّهُ قَالَ: الَّذِينَ نَفَرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ نَاقَتْهُ فِي مَنْصُوفِهِ مِنْ تَبُوكِ أَرْبَعَةِ عَشَرَةِ أَبْوَابِ الشَّرْرِ، وَأَبْوَابِ الدَّوَاهِيِّ، وَأَبْوَابِ الْمَاعَزِ، وَأَبْوَابِهِ، وَطَلْحَةَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ، وَأَبْوَابِ عَبِيدَةَ، وَأَبْوَابِ الْأَعْوَرِ، وَالْمَغِيرَةِ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - وَلِيدَ -، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَأَبْوَابِ مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُمْ

الذين أنزل الله عز وجل فيهم ﴿وَمَئُوا إِسَاطِرَ يَنَالُوا﴾ [المصال: ج ٢، ص ٤٩٩].

س ٤٢٠ : - س ٤٢١ : / ما هي قصة مسجد ضرار؟ وما سبب بناءه؟ ! .

ج : / كانت المدينة ونجران تعتبران بالنسبة إلى أهل الكتاب منطقتين واسعتين ومركزيتين في شبه الجزيرة العربية، فقد: كانوا يتمركرون في هاتين المنطقتين أكثر من أي مكان آخر، وهذا اعتقد فريق من عرب الأوس والخزرج الدين المسيحي واليهودي.

ويبدوا أن أبو عامر والد حنظلة غسيل الملائكة المستشهد في غزوة أحد، كان قد رغب في الدين المسيحي في العهد الجاهلي، فأنسلك في صفوف الرُّهبان، فلما ظهر نجم الإسلام من أفق المدينة بعد هجرة النبي إليها، واحتوى الدين الجديد الأديان الأخرى انزعج أبو عامر من هذه الظاهرة بشدة، فشرع بصدق في التعاون مع منافقي الأوس والخزرج. وقد عرف رسول الله ﷺ بخطفهم التخريبية، وأراد اعتقاله، فخرج أبو عامر من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى الطائف وهرب من الطائف بعد سقوطها إلى الشام، وأخذ يقود من هناك شبكة تخريبية لحزب المنافقين وقد كتب إلى المنافقين في المدينة في إحدى رسائلهم إن استعدوا وأبنوا مسجداً في قباء في مقابل مسجد المسلمين وصلوا فيه في أوقات الصلاة ليتمكنكم - تحت غطاء أداء الفرائض - التحدث حول

الأمور المتعلقة بالإسلام وال المسلمين، وكيفية تنفيذ المؤامرة الخزبية ضدهم.

لقد كان أبو عامر يعلم أن النبي ﷺ لا يسمح لحزب المنافقين بإقامة مركز لهم مطلقاً إلا إذا كان لذلك صبغة دينية، وكان تحت عنوان مسجد.

عندما كان رسول الله ﷺ يتوجه إلى تبوك أتاه جماعة من المنافقين وطلبوه منه أن يسمح لهم ببناء مسجد في محلتهم بقضاء مجدة وأن ذوي العلة وال الحاجة لا يمكنهم أن يقطعوا المسافة بين قباء ومسجد النبي للصلة معه في الليلة المطيرة والليلة الشاتية، فأوكل النبي ﷺ أمر النظر في طلبهم إلى ما بعد العودة من تبوك.

غير أن حزب النفاق بادروا إلى اختيار نقطة من الأرض في قباء، وأسرعوا في إقامة مركز لهم تحت غطاء المسجد ولما عاد النبي ﷺ من تبوك حضروا عنده وطلبوه منه أن يصلّي فيه ركعتين ليُسبغوا بذلك الشرعية على مركزهم، وفي هذه الأثناء نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ وأخبره بحقيقة هذا الأمر، وسماه في آيات نزل بها على النبي بمسجد الضرار، ووصفه بأنه مركزٌ لإيجاد الفرقة بين المسلمين، والتامر عليهم إذ يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفُرًا وَنَفَرُهُمْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَرَصَاكَادًا لِمَنْ حَازَكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلٍ وَيَعْلَمُنَّ إِنَّ أَرْذَانَ إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَنْهَا إِنَّهُمْ لَكَبِيرُونَ﴾ (١٧) لا نَثْمَنُ فِيهِ أَبَدًا لَمْسِيدٌ أَسِسَ عَلَى

الشَّفَوْعَى مِنْ أَلْوَى يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيدِي رِجَالٌ يُجْهَزُونَ أَنْ يَنْظَهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُظَاهِرِينَ ﴿١٠٧﴾ [التوبه / ١٠٨ - ١٠٧].

فأمر النبي ﷺ فوراً بإحراء ذلك المسجد وتسويته بالأرض فحرق
وهدم وسوى بالأرض وتحول مكانه إلى مزبلة فيما بعد . . .

س ٤٢٢ : / هل هناك حوادث وواقع حصلت في العام التاسع من
الهجرة غير ما ذكرتكموه؟! .

ج : / نعم، منها :

١ - امتناع بنى تميم عن أداء الزكاة.

٢ - إعلان البراءة من المشركين في مني.

٣ - وفاة النجاشي ملك الحبشة.

س ٤٢٣ : / بصورة بجملة نرجوا تبيان قصة امتناع بنى تميم عن أداء
الزكاة؟! .

ج : / في مستهل العام التاسع من الهجرة عين رسول الله ﷺ عملاً
يتقلدون إلى القبائل المسلمة ليجمعوا زكاة أموالهم، فامتنع بنو تميم عن
أداء الزكاة، فخرج إليهم خمسون نفراً أغروا عليهم فجة فأسرروا أحد
عشر رجالاً منهم وإحدى عشرة امرأة وثلاثين من ذراريهم، ورجعوا

بهم إلى المدينة، فأقبل في أثرهم كبار بنى تميم أمثال عطارد بن حاجب بن زُرارة، والزِّبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، والأقرع بن حابس، فساروا إلى حجرات الرسول ﷺ ونادوا: يا محمد، أخرج إلينا، فقام إليهم ﷺ من قيلولته، ونزل فيهم قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنْادُونَكَ مِنْ رَوَافِعِ الْمُجْرَتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [١] وَأَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ مَرَّتْ لَهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات / ٤ - ٥].

ثم قالوا: لقد قدمنا مع شاعرنا وخطيبنا نفاخركم، فقال ﷺ: ما بالشعر بُعثت ولا بالفخار أُمرت فماذا عندكم؟ وقف عطارد وخطب خطبة في فضل بنى تميم، ثم تلاه الزبرقان - أي القمر ولقبه الحصين بن بدر لجهاله أو لصفرة في عمامته - فأنسد:

نحن الكرام فلا حيٌ يعادلنا تحت الرؤوس وفيينا السادة الرفع
ونطعم الناس عند القحط كلهم من الشريف إذ لم يonus الفزع

ولما انتهيا من قولهما قام ثابت بن قيس خطيب الأنصار بأمر من سيد الأبرار ﷺ فخطب خطبة أطول مما قالا: ثم استاذن حسان في الردة عليهم، فأذن له، فقال:

إن الذوائب من فهر واخوتهم قد بيّنوا سنة لناس تتبع
يرض بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالامر الذي شرعا
قوموا إذا حاربوا ضروا عذتهم أو حاولوا نفع من أشياعهم نفعوا
سجينة تلك منهم غير محدثة إن الخلائق حقاً شرها البدع

لا يرفع الناس ما أهلوت أكفهم
 عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
 إن كان في الناس سباقون بعدهم
 فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
 لا يجهلون وإن حاولت جهلهم
 في فضل أحلامهم عن ذاك مُشَع
 إن عفة ذكرت في الوحي عفّهم
 لا يطمعون ولا يرديهم الطمع

فقال الأقرع بن حabis: تالله إن محمداً أظفره الغيب، فخطيبه
 أفضل من خطيبنا، وشاعره أفضل من شاعرنا، وقد أيدا دينه.

ثم إن رسول الله ﷺ أعاد إليهم أسراهـم، وأمر بكلـ من هـم بـغـطـاء
 لـاثـقـ .

س٤٢٤ : / ما هي قصة إعلان البراءة من المشركين في منى؟ !.

ج: / في السنة التاسعة أمر رسول الله ﷺ أبا بكر بقراءة أوائل سورة براءة على أهل مكة، ولما انصرف أبو بكر من المدينة وبلغ ذلك الخليفة فأحرم فيها، نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وقال: إنَّ الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: يا محمد، لا يؤذدِها إلا أنت أو رجل منك، وبرواية أخرى: لا يؤذدِها إلا على ﷺ فأمر علياً ﷺ بأن يلحق بأبي بكر ويأخذ الآيات منه، ويقرأها على الناس في موسم الحج، فخرج على ﷺ فأدرك أبا بكر في الروحاء وأخذها منه وقرأها على الناس - وفي أحاديث معتبرة عن الإمام الصادق عليهما السلام يروي أنَّ أمير المؤمنين على عليهما السلام أخذ الآيات العشر الأوائل من سورة براءة، وقرأها على

الناس يوم عرفة في عرفات، وليلة العيد في المشعر الحرام، ويوم العيد عند الجمار، وفي ختام أيام التشريق في منى، وأنه جهر بها على المشركين، شاهراً سيفه ينادي في الناس:

لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يمحجن البيت مشرك، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدتة، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر.

ويرى أن رسول الله ﷺ بعث أبو بكر بسورة براءة في الأول من ذي الحجة، وأن أمير المؤمنين علیه السلام أدرك أبو بكر في الروحاء في اليوم الثالث، وأخذ الآيات منه وذهب بها إلى مكة، ورجع أبو بكر

س ٤٢٥ : / ما هي علة عزل أبي بكر عن التبليغ ونصب علي عليه السلام محله؟!

ج: / إن علة هذا العزل والنصب لم يكن لا دافع الرغبة في المقام، والطموح في السلطة، ولا نتيجة القربى مع علي عليه السلام بل كان الغرض من هذا التغير والكشف عملياً عنأهلية أمير المؤمنين علي عليه السلام وصلاحيته للقيام بالمهام المتعلقة بالحكومة الإسلامية، وليرعلم الناس أنه عديك الروحية، وفي مجال الأهلية، والصلاحية.

وأنه إذا ما غابت شمس الرسالة بعد حين وجب أن تُسلم مقاليد الحكم وأذمة التصرف في المسائل والأمور المتعلقة بشؤون الخلافة إلى

عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ لا يصلح لهذا العمل الخطير سواه، وأنه يجب أن لا يقع المسلمين بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأشكال والتشتت، والإختلاف والخيرة في هذا الأمر، لأنهم قد رأوا بأم عينهم كيف نصب على من جانب النبي بأمر الله تعالى لنبذ العهود مع المشركين، الذي هو من صلاحيات وخيارات الحاكم الإسلامي وشؤونه.

س٤٢٦ : / ما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند سماعه خبر وفاة النجاشي ملك الحبشة؟! .

ج : / يوم وفاته قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اليوم توفيَّ رجل صالح، قوموا بنا نصلِّي عليه، ويقال إن جثمان النجاشي كان ظاهراً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما أصحابه فقد صلوا عليه ومعه.

«السنة العاشرة من
الهجرة»

س ٤٢٧: / ما هي أهم حوادث ووقائع العام العاشر من الهجرة؟ ! .

ج: / هناك وقائع عديدة منها:

١ - وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ .

٢ - قصة المباهلة ونصارى نجران.

٣ - محاولة اغتيال النبي ﷺ .

٤ - حجة الوداع وتنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة.

٥ - ظهور المتثنين كذبًا.

وغير ذلك أقل أهمية مما ذكرناه.

س ٤٢٨: / من هي أم إبراهيم ابن النبي ﷺ ! .

ج: / هي مارية القبطية أرسلها حاكم مصر هدية إلى رسول الله ﷺ .

مع مجموعة من الهدايا في السنة السادسة من الهجرة، وقد نالت هذه الجارية فيما بعد شرف تزوج النبي الكريم بها وولدت له ابناً سماه إبراهيم أحبه رسول الله ﷺ حباً شديداً.

س ٤٢٩ : / كيف ومتى كان وفاة إبراهيم؟ ! .

ج : / بعد ثمانية عشرة شهراً من ولادته من العام العاشر من الهجرة فقد رسول الله ﷺ ولده إبراهيم حيث خرج رسول الله ﷺ من بيته ذات يوم لعمل ، وعندما عرف بتدور خطير في صحة ولده الحبيب والوحيد إبراهيم عاد من فوره إلى منزله وأخذ ابنه من حضن أمه ، وفيما كانت تعلو ملامحه علامات الغم والإضطراب قال : «يا إبراهيم إننا لن نُغَنِّي عنك من الله شيء إن بك لحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسْخَطُ الرَّبُّ ، ولو لا أنه وعد صادق وموعد جامع بأن الآخر منا يتبع الأول لوجذنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً ما وجذناه»^(١) .

س ٤٣٠ : / ألم ينهي النبي ﷺ من البكاء على الميت فكيف يبكي على إبراهيم؟ ! .

ج : / نعم ، لقد استغرب عبد الرحمن بن عوف الأنصاري من بكاء النبي ﷺ على ولده إبراهيم ، فاعتراض على رسول الله ﷺ : أو لم تكن

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ ، ص ١٥٧

نهيت عن البكاء، وأنت تبكي؟

قال ﷺ: لا، إنما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم. [بخاري الأنوار].

أو قال:

لا، ولكن نهيت عن خش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان.
[السيرة الخلبية]

س ٤٣١: / من الذي قام بتجهيز إبراهيم ﷺ وأين دفن؟ ! .

ج: / لقد كلف رسول الله ﷺ شيعه مع جماعة من أصحابه، ومضى حتى انتهى به إلى قبره في البقع ثم إن النبي ﷺ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ لتجهيز إبراهيم وغسله وكفنه وتحنيطه، ثم إن النبي ﷺ رأى في قبر إبراهيم خللاً فسوأه بيده ثم قال: «إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن». .

س ٤٣٢: / أين تقع نجران؟ ! .

ج: / تقع نجران بقراها السبعين التابعة لها، في نقطة من نقاط الحجاز واليمن الحدودية، وكانت هذه المنطقة في مطلع ظهور الإسلام المنطقة الوحيدة التي غادر أهلها الوثنية لأسباب معينة واعتنقوا المسيحية من بين مناطق الحجاز.

س ٤٣٣ : / ما هو سبب قدوم نصارى نجران على النبي ﷺ؟ ! .

ج : / لقد كتب رسول الإسلام كتاباً إلى أسقف نجران أبو حارثة يدعو أهلهما فيه إلى الإسلام يوم كتب كتاباً إلى ملوك العالم ورؤسائه قال فيه : «بسم الله الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلتم فلاني أحدكم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولایة الله من ولایة العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنكم بمحرب والسلام». .

وأضافت بعض المصادر التاريخية الشيعية أن النبي الأكرم ﷺ كتب في ذلك الكتاب الآية المرتبطة بأهل الكتاب والتي تدعوهם إلى عبادة الله الواحد القهار وهو قوله تعالى : ﴿فَقُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَيْكُمْ سَوَاءْ بَيْتُنَا وَبَيْتُكُمْ إِلَّا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُنَزِّلُ بِرَوْ شَيْئًا﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

[الإقبال/ ٤٩٤].

قدم سفير رسول الله ﷺ نجران وسلم كتابه المبارك إلى أسقف نجران فقرأ ذلك الكتاب بعناية ورقه متناهية، ثم شكل جماعة للمشاورة وتناول الأمر واتخاذ القرار مكونة من الشخصيات البارزة الدينية وغير الدينية، وكان أحد أعضاء هذه الجموعة شرحبيل الذي عُرف بعقله ونبيله، وتدبيره وحكمته، فقال في معرض الإجابة على استشارة الأسقف إيهـ: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من

النبوة، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجلُ، ليس لي في النبوة رأيٌ، لو كان أمراً من أمور الدنيا أشرتُ عليك فيه وجهدُ لك.

فقرر المستشارون أن يبعثوا وفداً إلى المدينة للباحث مع رسول الله ﷺ، ودراسة دلائل نبوته، فاختير لهذه المهمة ستون شخصاً من أعلم أهل نجران وأعقولهم، وكان على رأسهم ثلاثة أشخاص من أساقتهم هم :

- ١ - أبو حارثة بن علقمة: أسقف نجران الأعظم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم والممثل الرسمي للكنائس الرومية في الحجاز حيث بنوا ملوك الروم الكنائس ويسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم.
- ٢ - عبد المسيح: رئيس وفد نجران المعروف بعقله ودهائه وتدبيرة.
- ٣ - الأبيهيم: وكان من ذوي السن ومن الشخصيات المحترمة عند أهل نجران.

س ٤٣٤ - س ٤٣٥ : / كيف كان قدوتهم - نصارى نجران - على رسول الله ﷺ؟ وما الذي جرى؟! .

ج : / لما توجهوا إلى رسول الله ﷺ جلس أبو حارثة على بغلة، وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال كرز : تعس الأبعد، يعني رسول الله ﷺ، فقال له أبو حارثة : بل أنت

تعسَتْ، قال له: لم يَا أخْ؟.

فقال: والله إِنَّه لِلنَّبِي الَّذِي كَانَا نَتَظَرُ، فقال كرز: فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَبَعَهُ؟ فقال: مَا صَنَعَ بِنَا هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ، شَرَفُونَا وَأَكْرَمُونَا، وَقَدْ أَبْوَا إِلَّا خَلَافَةً، لَوْ فَعَلْتُ لَنْزَعُوا مَنَا كُلَّا مَا تَرَى، فَأَضْمَرَ عَلَيْهَا مِنْهُ أَخْوَهُ كرز، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَسْلَمَ.

قَدِمَ هَذَا الْوَفَدُ الْمُسِيْحِيُّ الْمَدِيْنَةَ وَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُمْ يَلْبِسُونَ أَزِيَّاهُمُ الْكَنْسِيَّةَ وَيَرْتَدُونَ الدِّيْبَاجَ وَالْحَرِيرَ، وَيَلْبِسُونَ خَوَاتِيمَ الْذَّهَبِ وَيَحْمِلُونَ الصَّلْبَانَ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَأَزْعَجَ مَنْظُرُهُمْ هَذَا وَخَاصَّةً فِي الْمَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ فَشَعَرُوا بِانْزِعَاجِ النَّبِيِّ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سَبَبَ ذَلِكَ، فَسَأَلُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ عَوْفٍ وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ صَدَاقَةٌ قَدِيمَةٌ، فَقَالَ الرَّجُلُانِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: مَا تَرَى يَا أَبَا الْحَسْنِ فِي هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ يَضْعُوا حُلُلَهُمْ هَذِهِ وَخَوَاتِيمُهُمْ ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَرَدَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَاحْتَرَمُهُمْ، وَقَبْلَ بَعْضِ هَدَائِيْمِهِمُ الَّتِي أَهْدَوْهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّ الْوَفَدَ قَبْلَ أَنْ يَبْدُأَ مَفَاوِضَاتِهِمُ مَعَ النَّبِيِّ قَالُوا: إِنَّ وَقْتَ صَلَاتِهِمْ قَدْ حَانَ وَاسْتَأْذَنُوهُ فِي أَدَائِهَا، فَأَرَادَ النَّاسُ مَنْعِهِمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَذْنَ لَهُمْ وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: دُعُوهُمْ فَاسْتَقْبِلُوا الْمَشْرُقَ، فَصَلَّوْا صَلَاتِهِمْ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ سَاعَلُوهُ وَدَارَسُوهُ يَوْمَهُمْ فَعَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى وَفَدِ

نجران الإسلام وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا: قد كنا مُسلمين قبلك.

فقال رسول الله ﷺ كذبتم، يعنكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن الله ولدأ.

قالوا: المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى، وأخبر عن الغيب، وأبرا عن الأدواء كلها، وخلق من الطين طيراً.

قال أحدهم: المسيح ابن الله لأنه لا أب له.

فسكت رسول الله ﷺ عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى: إِنَّمَا يَعْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كُمَثِيلٌ إِذَا دَمَ حَلَقْتُمُ مِنْ تُرَابٍ [آل عمران / ٥٩].

قال وفدي نجران: إننا لا نزداد منك في أمر صاحبنا إلا تبائناً، وهذا الأمر الذي لا نقره لك، فهلم فلنلاعنك أينا أولى بالحق فنجعل لعنة الله على الكاذبين - وفي بعض المصادر الذي اقترح المباهلة رسول الله ﷺ [آل عمران / ٦١ نكتب].

فدعاهم إلى المباهلة، فقبلوا، واتفق الطرفان على أن يقروا بالombahele في اليوم اللاحق، وانصرفا... .

س ٤٣٦: / كيف كانت المباهلة بين رسول الله ﷺ ونصارى نجران؟!.

ج: / حان وقت المباهلة: فقال أبو حارثة لأصحابه: انظروا - فإن

كان محمد غدا بولده وأهل بيته فاحدروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه وأتباعه فباهلوه.

وفي الصباح قصد رسول الله ﷺ بيت أمير المؤمنين ع ، آخذآ يد الحسن والحسين ، تتبعه فاطمة ع و بين يديه علي ع ، ثم خرجوا من المدينة للمباهلة ، فلما رأهم النصارى قال أبو حارثة : من هؤلاء معه ؟

قيل : هذا ابن عم زوج ابنته ، وهذا ابنا ابنته ، وهذه ابنته أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه - وغدا السيد والعاقب بابنين لهما ، وتقدم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه ، فقال أبو حارثة جثا والله كما جثا النبياء للمباهلة ، ثم أكفا راجعا ، فقال له السيد : إلى أين تذهب ؟

قال : إني لأرى رجلاً حريثاً على المباهلة ، وأنا أخاف أن يكون صادقاً فلا يحول والله علينا الحول في الدنيا نصراني على وجه الأرض .

ثم إن أبي حارثة قدم إلى رسول الله ﷺ وقال : يا أبا القاسم ، إننا لا نباهلك ولكن نصالحك ، فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حلة في السنة وقيل صالحهم على ألفي حلة نفيسة سنوياً ، وألف مثقال من الذهب يؤدي نصفها في المحرم والنصف الآخر في رجب - قيمة كل حلة أربعون درهماً - وعليهم في كل حرب ثلاثون درعاً وثلاثون ساناً وثلاثون فرساً يعطونها عارية ، وكتب لهم بذلك كتاب مصالحة ثم انصرفوا . وروي انه قال النبي ﷺ : والذى نفسي بيده ، إن العذاب قد تدلّ على نجران ، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ، ولأضرم عليهم

الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران، ولو لاعنا وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا.

وبعد مدة قصيرة قدم السيد والعاقب إلى رسول الله ﷺ وأسلموا.

س ٤٣٧ : / هل يمكنكم ذكر نص الكتاب الذي كان بين نصارى نجران ورسول الله ﷺ !؟ .

ج : / نعم، سأله وفد نجران النبي ﷺ أن يكتب مقدار الجزية التي اتفق على دفعها من قبل أهالي نجران إلى النبي ﷺ في كتاب، وأن يضمن النبي ﷺ أمن نجران في ذلك الكتاب، فكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أمر النبي ﷺ كتاباً هنا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران وحاشيتها ، إذ كان له عليهم حكمة في كل ثمرة وصفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك لهم : ألفي حلة من حل الأواق في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة ، كل حلة أوقية ، وما زادت حل الخراج أو نقصت عن الأواق في بالحساب ، وما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب ، وعليهم في كل حرب كانت باليمن ثلاثون درعاً ، وثلاثون فرساً ، وثلاثون بعيراً عارية مضمونة لهم بذلك ، وعلى أهل نجران مثواه رسلي « واستضافتهم » شهراً فدونه ، ولم بذلك جواراً الله وذمة محمد النبي

رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وبيعهم ورهباتيهم على أن لا يعاشروا ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به فمن أكل الربا منهم بعد ذلك فذمّي منه بريئة^(١).

س ٤٣٨ : / ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه . وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه ، فما معنى ضم الأبناء والنساء والرجال الأعزاء ؟ .

ج : / يقول الزمخشري : قلت : ذلك أكذ في الدلالة على ثقته بحاله ، واستيقانه بصدقه ، حيث استجرا على تعريض أعزته ، وأفلاذ كبده ، وأحبت الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يبلك خصمه مع أحبه وعزته هلاك الاستصال إن تمت المباهلة ، وخاص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب ، وربما فدأهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ، ومن ثم كانوا يسوقون مع أنفسهم الطعائن في الحروب لتمنعمهم من الحرب ، وقدّمهم في الذكر على الأنفس ليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس ، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام .

س ٤٣٩ : / ما هو تاريخ المباهلة ! .

ج : / لا خلاف بين المؤرخين أن كتاب الصلح كتب سنة عشرة من

(١) فتح البلدان : ص ٧٦ - وأعلام الورى : ص ٧٨ - ٧٩ .

المهجرة، فيكون سنة المباهلة نفس هذه السنة أيضاً، لأن كتاب الصلح هذا إنما كتب عندما أحجم الوفد النجراوي النصراوي من مباهلة النبي ﷺ.

أما اليوم والشهر فالمشهور بين العلماء هو أن المباهلة وقعت في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة، وذهب المرحوم الشيخ الطوسي إلى أنها وقعت في اليوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة، وقد ذهب البعض إلى أنه اليوم الواحد والعشرون بينما ذهب آخرون إلى أنه اليوم السابع والعشرون.

ويقول السيد ابن طاورس أصح القوال هو الرابع والعشرون من ذي الحجة.

إلى هنا اتضح أن يوم المباهلة على المشهور هو اليوم الرابع والعشرون أو الواحد والعشرون أو الخامس والعشرون أو السابع والعشرون من ذي الحجة.

س ٤٤٠ : ما رأيكم أنتم في تاريخ المباهلة متى وقعت؟! .

ج : أقول لا هذا ولا ذاك، لأن الإمام علي عليه السلام في السنة العاشرة كان في اليمن قد بعثه رسول الله ﷺ للقضاء وتعليم الأحكام الدينية، وقد مكث على ذلك هناك ردهاً من الزمان لأداء مهامه المخولة إليه، وعندما علم بتوجه النبي ﷺ إلى مكة للحج، خرج هو أيضاً إلى مكة

على رأس جماعة من أهل اليمن، فلقي النبي بمكة، وقدّم إليه ألف حلة من البز كان قد أخذها من أهل نجران من باب الجزية التي فرضت وكتبت عليهم في معاهدة الصلح.

فأن فرضنا أنها كتبت في ذي الحجة فلا يكون السنة العاشرة ولا التاسعة لأن الإمام علي عليهما السلام ذهب ليلغ البراءة من المشركين كما مر سابقاً ومناسك الحج تنتهي (١٢) من شهر ذي الحجة.

وكذلك في السنة العاشرة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأداء حجة الوداع في ذي الحجة وفي اليوم الثامن عشر حدث قضية غدير خم، كذلك المباهلة حدثت بعد مناظرات ومسائلات في عدد من الأيام ثم بعد ذلك حدث المباهلة

فالحادية تحتاج إلى مزيد من التحقيق والدراسة، فلعلها حدثت في السنة العاشرة من الهجرة لكن ليس في شهر ذي الحجة . . .

س ٤٤١ : هنا يبقى سؤال لا بد من الإجابة عليه وهو : كيف اختار المشهور من العلماء مثل هذه النظريات حول المباهلة وشهرها وعامها؟! .

ج : الجواب هو أن المرحوم الشيخ الطوسي اختار هذا استناداً إلى رواية مستندة في كتابة ولكن في سند الحديث المذكور رجالاً غير ثقات في نظر علماء الرجال ، نظراً :

- ١ - محمد بن أحمد بن مخزوم أستاذ التلوكبرى فى الحديث فهو من لم يوثق .
- ٢ - الحسن بن علي العدوى وقد ضعفه العلامة .
- ٣ - محمد بن صدقة العنرى وقد وصفه الشيخ الطوسى بالغلو .

وقد ذكر المرحوم السيد ابن طاوس في كتاب الإقبال أموراً تتعلق بالماهلة نقاً عن كتاب أبي الفضل أن أبو الفضل له فترتان في حياته، فهو موثق في حال وغير موثق في حال آخر، ولا يُدرى في أي حال من الحالين كتب أبو الفضل قضايا الماهلة، وأخذها عنه العلماء.

كما أن السيد استند في كتابه الإقبال (ص ٧٤٣) حديث مرفوع [وهو ما فيه نقص في رجال سنته]، وذكر في ضوئه أن يوم الماهلة هو اليوم الرابع والعشرون على حين لا تقوم مثل هذه الرواية بإثبات المدعى .

س ٤٤٢ : ما هي قضية أغتيال النبي ﷺ وما سببها؟ ! .

ج : / «لم تنتهي المدة المضروبة أربعة أشهر» بعد التي أعلنها الإمام علي عليه السلام في مكة في السنة التاسعة من الهجرة في ذي الحجة - إلا ودخلت كل مناطق الحجاز وكل أقوامها تحت راية التوحيد، ولم يبق في الحجاز بيت تعبد فيه الأصنام والأوثان ظاهراً حتى أن فريقاً من سكان اليمن والبحرين واليمامة انتبهوا إلى الإسلام فأقبلوا عليه واعتنقوه . . .

عُرفت قادةُ بني عامر من بين القبائل العربية - يومئذ - بالشر والطغيان، وقد اعتمَّ ثلاثة أشخاص منهم هم: عامر وأربد وجبار على أن يدخلوا المدينة رأس وفدي من بني عامر، ويتظاهرُوا بالتفاوض مع رسول الله ﷺ، ثم يغدرُوا به في المجلس ويغتالوه.

وكانت الخطة تقضي: بأن يتحدث عامر إلى رسول الله ﷺ ويفاوضه، وفيما هو يفعل ذلك يبادر أربد إلى ضرب رسول الله ﷺ بسيفه.

ولم يخبر بقية أعضاء الوفد بنو ابي هؤلاء الثلاثة وخطتهم، ولهذا أعلنوا لرسول الله ﷺ عن رغبتهم الصادقة في الإسلام، ووقفائهم الشخص النبي ﷺ، ولكن عامراً أحجم عن أي نوع من أنواع التظاهر بالإسلام في ذلك المجلس وكان يصر على رسول الله ﷺ أن يخلو به في مكان آخر ليتحدث معه على انفراد تمهيداً لتنفيذ الخطة المنشورة وهو ينظر إلى أربد وينتظر منه ما كان أمر به واتفقا عليه، ولكنه لا يزداد نظراً إلى أربد إلا ويزداد أربد حيرة ودهشة هذا ورسول الله ﷺ يقول عامر كلما قال: خالي: لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له.

فلما آيس عامر من أربد، وكان أربداً كلما عزم أن يجرد سيفه ويهجم على رسول الله ﷺ: هاب النبي، ومنعته عظمته ومهابته، فانصرف عن نيته، قال عامر وهو يترك مجلس النبي ﷺ: أما والله لأملأتها عليك خيلاً ورجالاً وهو بذلك يكشف عن عناده وعtero.

فقاله رسول الله ﷺ بحلم كبير، ولم يرد على كلامه وتهديده وإنما اكتفى بأن دعا عليه وعلى صاحبه بعد أن غادر مجلس النبي ﷺ . . .

س ٤٤٣ : / ما حل بعامر وأربد بعدهما دعا عليهما رسول الله ﷺ !؟ .

ج : / لقد استجاب الله لدعاء نبيه سريعاً فقد خرج هو وصاحب راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا في أثناء الطريق بعث الله الطاعون في عنق عامر فقتله ذلك المرض الوبي في بيت امرأة من بني سلول في صورة فطيعة، وحالة سيئة.

وأما أربد فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة وهو في الصحراء فأحرقتهم، وقد تسببت هاتان الحادثتان في أن يزداد تعلق بني عامر برسول الله ﷺ وبتضاعف حبهم له.

س ٤٤٤ : / ما هي حجة الوداع؟ ومتى خرج ﷺ من مكة لأداء هذه الحجة؟! .

ج : / راجع كتاب «٥٠٠ سؤال» حول الإمام علي ؓ .

س ٤٤٥ : / هل يمكنكم ذكر حادثة غدير خم ونصب أمير المؤمنين ؓ؟! .

ج : / راجع كتاب «٥٠٠ سؤال حول الإمام علي ؓ» .

س٤٤٦ - س٤٤٧ : / ما معنى الخلافة عند الشيعة والسنّة، ومعنى النبوة والإمامية عند الشيعة بصورة مجملة؟ ! .

ج : / الخلافة حسب عقيدة علماء الشيعة الإمامية منصب إلهي يعطي من قبل الله تعالى لأفضل أفراد الأمة، وأصلحهم، وأعلمهم، والفرق الواضح بين الإمام والنبي هو: أن النبي مؤسس قواعد الشريعة، وهو الذي يوحى إليه، وينزل عليه الكتابُ من السماء، والإمام وأن كان لا يتمتع بأي واحد من هذه الشّئون إلاً أنه مضافاً إلى شؤون الحكومة والقيادة هو المبين لما جاء به رسول الله من الدين مما لم يوفق - بسبب الظروف المعاكسة أو عدم الفرصة المناسبة - لبيانه أو إظهاره، وترك مهمة بيانه على عاتق أصحابه وخلفائه .

وعلى هذا الأساس فإن الخليفة - من وجهة نظر عقيدة الشيعة الإمامية ليس مجرد حاكم زمّني لل المسلمين وليس المطبق لقوانين الشريعة المقدسة والحافظ للحقوق الاجتماعية، والحارس لشغور المسلمين وحدود بلادهم المدافع عنها فحسب بل هو علاوة على كل ذلك الموضع لما خفي من معالم الدين، والمكمل المبين لذلك الجانب من أحکام الشريعة وقوانينها الذي لم يُبيّن من قبل مؤسس الشريعة لبعض الأسباب .

أما الخلافة في عقيدة أهل السنة فهي منصب عادي وليس المدّف منها إلاً حفظ الكيان الظاهري والشؤون المادية للأمة الإسلامية ،

وال الخليفة لا ينصب إلاً باختيار الناس وانتخابهم أحداً لشغل منصب الحكم والقضاء وإدارة الأمور السياسية والاقتصادية وما شابهها، وذكر تفصيل ما بيته صاحبُ الشريعة من الأحكام على نحو الإجمالي.

س ٤٤٨ : / بعد واقعة غدير خم ما فعل النبي ﷺ والمسلمون؟ ! .

ج : / بعد الانتهاء من مراسم تعيين الخليفة في غدير خم انفصلت جموع الحجاج المشاركة في مراسم حجة الوداع من الوافدين من الشام ومصر ، عن النبي ﷺ في أرض الجحفة والذين شاركوا في هذه المراسم من حضرموت واليمن انفصلوا عنه في هذه النقطة أو في نقطة سابقة وقلوا راجعين إلى أوطانهم .

ولكن العشرة آلاف الذين خرجن مع رسول الله ﷺ عادوا مع النبي ﷺ إلى المدينة ، ووصلوها قبل أن تأتي السنة العاشرة من الهجرة على نهايتها

س ٤٤٩ : / ما هي قضية مسلمة الكذاب ، وقصة ادعاءه للنبي ؟ ! .

ج : / لم يكن شهر ذي الحجة من السنة العشرة قد انتهت بعد يوم قد نفران من الإمامة المدينة ، وسلاما كتاباً بأمن مسلمة الذي عُرف فيما بعد «مسلمـة الكذاب» إلى رسول الله ﷺ .

فتتح أحد كتاب النبي ﷺ الرسالة وقرأها عليه فكان مضمونها أن شخصاً باليمامه يدعى مسيلمة يدّعى النبوة ويشرك نفسه مع رسول الإسلام في أمر الرسالة، ويريد من خلال كتابه أن يُبلغ النبي ﷺ بذلك، ويعرفه بنبوته.

ويوحى أسلوب الرسالة المذكورة بأنّ صاحبها أراد تقليل الأسلوب القرآني في البيان والتعبير ولكن محاولته باهت بالفشل فلم يستطع تقليده، وأقى عبارات خاوية خالية من روح، يفوقها الكلام العادي في القوة بدرجات.

فلقد كتب مسيلمة في كتابه هذا: أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقرיש نصف الأرض، ولكن قريشاً قوماً يعتدون.

ولما وقف رسول الله ﷺ على مضمون الرسالة، التفت إلى من حملها إليه وقال: أما والله لو لا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقتل لضررتُ أعناقكم لأنكم أسلمتما من قبل وقبلتما برسالتي فلم اتبعتما هذا الأحق وتركتما دينكم.

ثم إن رسول الله ﷺ أمل على كاتبه كتاباً إلى مسيلمة قصير المحتوى، مفحم المفاد قال فيها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهِ مَسِيلِمَةَ الْكَذَابِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىَ . أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادَةِ وَالْعَاقِبَةِ لِلْمُتَقِينَ».

س ٤٥٠ : / نرجوا أن تذكروا لنا مسيلة الكذاب بسطور؟ .

ج : / كان مسيلة من الأشخاص الذين وفدو على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة العاشرة من الهجرة وأسلم في من أسلم ، ولكنه بعد أن عاد إلى موطنه ادعى النبوة ، وأجابه طائفة من السجّ والبسطاء ، وربما من المتعصبين من قومه ، بل التفت حوله فريق ممن تبعه تعصباً وحمة مع أنهم علموا بكذبته ، وزيف دعوته إذ كانوا يقولون : كذاب ربعة أحُبُّ إلينا من صادق مصر ، وقد قال هذه العبارة أحد أتباعه لما سأله مسيلة ذات مرة : من يأتيك؟ ، قال : رحـان .

قال : أفي نور أو في ظلمة ، فقال : أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادقٌ ولكن كذاب ربعة أحُبُّ إلينا من صادق مصر ...

س ٤٥١ : / كيف كانت نهاية مسيلة الكذاب؟ ! .

ج : / كانت في عهد أبي بكر حيث إن مواجهة المرتدين من العرب كان أول ما قام به أبو بكر بعد رسول الله ﷺ وهذا حُوصرت منطقة مسيلة من قبل المسلمين ، وضيق عليه الحصار شيئاً فشيئاً ، حتى إذا اتضحت هزيمة ذلك الكذاب ، قال له بعض أتباعه السجّاج : أين ما كنت تعدُّنا - من النصر الإلهي -؟ ! فقال مسيلة : أما الدين فلا ، قاتلوا عن أحسابكم .

ولكنَّ الدفاع عن الأحساب والكرامة لم يجد مسيلة ولا أتباعه

شيئاً فقد قُتل هو وفريق منهم في بستان على أيدي المسلمين، وانتهت بذلك خرافة نبوة المدّعاء^(١).

س٤٥٢ : / هل أدعى شخص آخر غير مسلمة النبوة؟ ! .

ج : / نعم امرأة تسمى سجاع، والأسود العنسي وهو رجلٌ أدعى النبوة كذباً في عهد رسول الله ﷺ وقضى عليه بعد يوم من وفاة النبي ﷺ على يدي والي اليمن . . .

س٤٥٣ : / ما هي قصة جيش أسامة بن زيد؟ !

ج : / لقد كان خطر الروم جدياً في نظر النبي ﷺ، ومن هنا فإنه ﷺ لما عاد من حجة الوداع إلى المدينة هياً جيشاً من المهاجرين والأنصار أشرك فيه أشخاصاً معروفين بارزین مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن الوقاص و . و . وأمر بأن يشارك فيه كل من هاجر إلى المدينة خاصة .

ثم إن رسول الله ﷺ لتحريرك مشاعر المجاهدين عقد بيده لواءً لأسامي بن زيد الذي أمره على ذلك الجيش، وقال له: «سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فأغز صباحاً وشنَّ الغارة على أهل أبني» - أبني من مناطق البلقاء وتقع في الأراضي

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٥١٤ - ٥١٦.

السورية وقرب مؤتة بين عسقلان والرملة - .

فأعطى أُسامه اللواء إلى بريدة وعسکر بالحرف - [منطقة واسعة على بعد ثلاثة أميال مدينة من جانب الشام] - ليتحقق به جنود الإسلام أفواجاً أفواجاً، وليتحرك الجميع في وقت واحد.

لقد اختار رسول الله لقيادة هذا الجيش شاباً في مقتبل العمر - عشرين عاماً - وأمره على طائفة كبيرة من شيوخ الأنصار والمهاجرين . . .

س ٤٥٤ : / ما أراد رسول الله رسول الله من فعله هذا - توليت أُسامه - على كبار شيوخ الأنصار والمهاجرين؟!

ج : / أراد من فعله هذا أمور ثلاثة :

أولاً: أن يجبر - من خلال ذلك - ما لحق من المصيبة بأُسامه بسبب مقتل والده زيد بن حارثة الذي استشهد في معركة مؤتة مع الروم، وليرفع من شخصيته .

ثانياً: أراد أن يؤكد قانونه في مجال التوظيف وتوزيع المناصب والمسؤوليات ويجعل ذلك على أساس الكفاءة والشخصية القيادية أن الناصب والمسؤوليات الاجتماعية لا تحتاج إلى غير الكفاءات والمؤهلات ولا ترتبط بحال بالعمر والسن لقد فعل النبي ذلك حتى يهيء الشباب الذين يتمتعون بالمؤهلات الكافية لتسليم المسؤوليات الاجتماعية الثقيلة ويعلموا أن المناصب والمهام - في النظام الإسلامي -

ترتبط ارتباطاً مباشراً بالكفاءة والمؤهلات القيادية، لا العمر والسن.

الثالث: حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من مختلف في الرياسة ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة، ويستتبّ الأمر لمن استخلفه من بعده، ولا ينزعه في حقه منازع.

س ٤٥٥: / متى عقد النبي ﷺ اللواء إلى أسامة بن زيد بن حارثة؟!

ج: / يذهب كتاب السنة إلى أن النبي عقد اللواء في ٢٦ صفر، وحيث أن وفاة النبي ﷺ حسب روايتم كان في ١٢ ربيع الأول لهذا فإن من الممكن ذلك أي الحوادث تحدث خلال «١٦» يوم . . .

ولكن حيث أن الشيعة يرون تبعاً لما رواه عنترة النبي أن وفاته ﷺ كانت في ٢٨ صفر لهذا يجب أن يكون عقد اللواء قد تم قبل ٢٦ صفر بمدة ليتمكن وقوع بعض الحوادث خلال هذه المدة . . .

س ٤٥٦: / كيف كان موقف الصحابة من تعين أسامة بن زيد قائداً عليهم؟!

ج: / أن تأمير قائد شاب لم يكن يتجاوز يومذاك العشرين عاماً على لفيف من الصحابة يكبرون عنه في العمر أضعافاً شقّ على البعض، لأنهم اعترضوا على الإجراء، وطعنوا في أسامة، وأطلقوا عبارات تكشف جيئها عن افتقارهم لروح الانقياد والطاعة والتسليم الذي

يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم تجاه قائد الإسلام الأعلى النبي، وأوامره وتعبيئاته. ولقد كان محور كلامهم هو أن النبي أمر شاباً صغير السن على شيوخ من الصحابة.

فرغم أنهم لسوا من قريب كيف أن النبي ﷺ كان يحرص على تعبئة هذا الجيش وبعثه، ولكن عناصر مشبوهة أخرت حركة الجيش المذكور من معسكر الجرف وتوجهه إلى النقطة المطلوبة، وكانت تسعى لعرقلة هذه المهمة فأخذوا بطرح الأعذار، وبعد مدة - يوم - من عقد رسول الله ﷺ اللواء لأُسامه ترَّضَ بشدة وأصابه صداع شديد تركه طريح الفراش واستمرّ هذا المرض عدة أيام حتى قضى صلوات الله عليه.

س ٤٥٧ - س ٤٥٨ : / ما فعل رسول الله ﷺ عندما علم بما جرى في جيش أُسامه؟ وهل تحققت آمال رسول الله ﷺ في حياته؟ !

ج : / لقد علم رسول الله ﷺ في مرضه أن هناك من تخلف عن جيش أُسامه فغضب ﷺ لذلك غضباً شديداً وخرج وهو يلتحف قطيفة، وقد عصّب جبهته بعصابة إلى مسجده ليتحدث إلى المسلمين من قريب، ويحذرهم من مغبة هذا التخلف، فصعد المنبر على ما هو عليه من حمى شديدة وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال : «أما بعد أئها الناسُ فما مقالةُ بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامه، ولئن طعتم في إمارتي أُسامه لقد طعتم في إمارتي أباه من قبله وأئِمُّ الله كان للإمارة خليقاً وإن

ابنه من بعده خليق للإمارة، وإن كان مِن أحب الناس إلى وأنهما
لخيان لكل خير، واستوصوا به خيراً فإنه من خياركم».

ثم نزل ﷺ ودخل بيته واشتدت به الحمى، فجعل يقول مَن يعوده
من أصحابه: أنفذوا بعثَّ أُسَامَةَ ولقد بلغ من إصرار رسول الله ﷺ
على بعث جيش أُسَامَةَ أنه كان يقول وهو في فراش المرض: «جهزوا
جيش أُسَامَةَ، لعنة الله من تخلف عنه».

وقد تسببت هذه التأكيدات في أن يحضر جماعة من المهاجرين
والأنصار عند رسول الله ﷺ للتوديع والخروج عن المدينة تلقائياً
والالتحاق بجيش أُسَامَةَ في معسكره بالجرف.

وفيمَا كان أُسَامَةَ يتهيأً للتوجه بجيشه إلى حيث أمر الرسول
الكرم ﷺ بلغ بعض الصحابة الحاضرين في الجيش أنباءً عن تدهور
صحة النبي ﷺ فسببت في عدوهم عن الحركة حتى كان يوم الاثنين،
فحضر أُسَامَةَ عند رسول الله ﷺ ليودعه فرأى أثار التحسن بادية على
ملامع النبي ﷺ.

فقال له رسول الله ﷺ حاشاً إيه على المبادرة والمسارعة في
الخروج: أَغْدُ على بركة الله.

فعاد أُسَامَةَ إلى المعسكر وأمر بالتحرك فوراً، ولكن الجيش لم يكن
قد غادر الجرف بعد، حتى جاء نبأ من المدينة بأن رسول الله ﷺ
يختصر، فعمد من كانوا يبحثون عن حجة للتخلص عن جيش أُسَامَةَ،

والذين حاولوا خلال ستة عشر يوماً أن يعرقلوا توجّهه بشتى المعاذير والحجج إلى التوسل هذه المرة بقضية احتضار النبي ﷺ وعادوا إلى المدينة فوراً، وعاد الجيش برمه هو الآخر إلى المدينة متّجاهلين - جيّعاً - أوامر النبي ﷺ بالخروج ولم يتحقق أحد آمال النبي الأكرم ﷺ في أيام حياته بسبب اللا انضباطية التي أبدّاها فريق من شيوخ القوم وأعيان الجيش^(١).

س ٤٥٩ : / نلاحظ من تخلف بعض الصحابة عن جيش أسامة بن زيد أن هناك مؤامرة مهمة وعظيمة هل يمكن تبيان ذلك لنا؟ !
وإذا كانت هناك مؤامرة عظيمة فهل كان يعلم بها رسول الله ﷺ؟ !

ج : / نعم فإن تخلفهم كان يكشف عن نشاطات سرية تنبئ عن عزّمهم المؤكّد على الاستيلاء على زمام الحكومة والإمارة والقيادة السياسية في المجتمع الإسلامي بعد رحيل النبي ﷺ وإزاحة الخليفة الذي نصبه رسول الله ﷺ في الغدير للإمارة عن مسند الحكم.

ولقد كان النبي ﷺ نفسه عارفاً بنزايمهم على نحو الإجمال وهذا كان يصرّ على خروج جميع أعيان الصحابة في جيش أسامة ومجادرة المدينة فوراً لمقاتلة الروم، لكي يعطل بذلك خطّتهم.

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ٩٠، والمملل والتخل. ج ١ المقدمة الرابعة ص ٢٣ .

ولكن دهاء السياسة اعتذروا عن الخروج مع أسامة بمحجج ومعاذير معينة، لكي يستطيعوا من تنفيذ خططهم بل وعرقلوا مسیر الجيش المذكور حتى توفي رسول الله ﷺ.

فادعوا إلى المدينة - بعد توقف دام ١٦ يوماً - على أثر تدهور صحة النبي واحتضاره، فلم يتحقق ما كان يريده رسول الله ﷺ من تفريغ المدينة منهم، فلا يكون أحداً منهم فيها يوم وفاته ليستطيع خليفته المنصوب للإمارة يوم غدير خم - يعني الإمام علياً - من تسلم زمام الحكم دون منازع ومزاحم من المعارضين السياسيين.

إنهم لم يكتفوا فقط بالعودة إلى المدينة بل حاولوا أن يحولوا دون أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى دعم وثبت منصب الإمام علي وخلافته لرسول الله ﷺ بلا فصل، فحاولوا منع النبي ﷺ وصرفه عن البحث في هذه المسألة بشتى الوسائل، والسبيل.

فعمد رسول الله ﷺ الذي عرف بنشاط بعض زوجاته من بنات بعض أولئك الصحابة، المثنين، عمد إلى الخروج إلى المسجد مع ما كان عليه من الحمى والوجع، ووقف إلى جانب المنبر وقال للناس بصوت عالي سمع خارج المسجد:

«أئها الناس سُرّت النار، وأقْبَلتِ الفتنة كقطع الليل المظلم، وإنَّ
والله ما تمسّكون على شيء، إني لم أحلَّ إلَّا ما أحلَّ الله، ولم أحرِّم إلَّا
ما حرم الله». .

إنَّ هذه العبارة تكشف عن القلق الشديد الذي كان يحمله النبي ﷺ على مستقبل الإسلام بعد وفاته، فما هو المقصود - تُرى - من النار التي سعرت؟

أليس هي فتنة الاختلاف والافتراء التي كانت تنتظر المسلمين، والتي اشتعلت بعد وفاة رسول الله ﷺ وتعالى هبها، ولا يزال ذلك اللهيب مشتعلًا، وتلك النار مستعرة؟!

س ٤٦٠ : / متى توفي رسول الله ﷺ؟ وكم كان عمره؟!

ج : / اعلم أن أكثر علماء الفريقيين يرون أنَّ ارتحال سيد الأنبياء ﷺ إلى عالم البقاء كان يوم اثنين، ويرى أكثر علماء الشيعة أنَّ ذلك اليوم كان اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر، في حين يقول أكثر علماء السنة إنه اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ويروى في «كشف الغمة» عن الإمام الباقر عـ أن رحيله عـ إلى عالم البقاء كان في السنة العاشرة للهجرة بعد ثلث وستين سنة انقضت من عمره الشريف، منها أربعون سنة في مكة قبل نزول الوحي عليه، وثلاث عشرة سنة أخرى في مكة أيضاً بعد نزول الوحي، ولما هاجر إلى المدينة كان عمره الشريف ثلاثة وخمسين سنة، وأقام بعدها في المدينة عشر سنين حتى قبض في شهر ربيع الأول يوم الاثنين لليلتين خلتا منه.

س ٤٦١ : / بعد رجوع رسول الله ﷺ من حجة الوداع كيف كان

تعامله مع الصحابة؟!

ج: لما رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع، وقد تحقق من دونه أجله، جعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده، والخلاف عليه، ويؤكّد وصايتها بالتمسّك بسنّته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته، والطاعة لهم، والنصرة والحراسة، والاعتصام بهم في الدين ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد، ويكرر قوله:

«يا أيها الناس، إني فرطكم، وأنتم واردون على الحوض، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تختلفون فيهما، فإنّ اللطيف الخير نبأني أنّهم لن يفترقا حتى يلقياني، ألا وإنّي قد تركتهم فيكم، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسقوهم فتفرقوا، ولا تقصرّوا عنهم فتلهكوا، ولا تعلمونهم فإنهم أعلم منكم».

أيها الناس، لا ألفينكم بعدى ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوه في كتبية ك مجرّ السيل الجرار، ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي، يقاتل بعدى على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».

س٤٦: / كيف كان رسول الله ﷺ في توعّكه في بداية الأمر؟!

ج: لما أحس ﷺ بالمرض أخذ يد عليّ بن أبي طالب ﷺ واتبعه

جماعة من الناس، وتوجه إلى البقع، فقال للذى أتبعه: إِنَّمَا قَدْ أَمْرَتُ بِالسَّجْدَةِ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، فَانطَّلَقُوا مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْقَبُورِ، لِيَهْتَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ عَمَّا فِيهِ النَّاسُ، أَقْبَلْتُ الْفَتْنَ كَفْطَعَ اللَّيلَ الْمُظْلَمَ، يَتَّبَعُ آخِرَهَا أَوْلَاهَا».

ثم استغفر لأهل البقع طويلاً، وأقبل على أمير المؤمنين ﷺ فقال: «إِنَّ جَبَرِيلَ نَبِيَّكُمْ كَانَ يَعْرَضُ عَلَيَّ الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَقَدْ عَرَضَهُ عَلَيَّ الْعَامَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا لِحْضُورِ أَجْلِي»، ثم قال: يا علي، إِنِّي خُيِّرتُ بَيْنَ خَزَانَيِ الدُّنْيَا وَالْخَلْوَةِ فِيهَا أَوِ الْجَنَّةِ، فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةِ، إِنَّمَا مَتْ فَاسْتَرَ عُورَتِي، فَإِنَّهُ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَكْمَهُ.

ثم عاد إلى منزله، فشكث ثلاثة أيام موعوكاً، ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس، معتمداً على أمير المؤمنين ﷺ بيمني يديه، وعلى الفضل بن العباس باليد الأخرى، حتى صعد المنبر، فجلس عليه ثم قال:

«معاشر الناس، وقد حان متي خفوقي من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطيه إياها، ومن كان له على دين فليخبرني به، معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف عنه به شرّاً إلّا العمل، أيها الناس، لا يدعوني مدح ولا يتميّز متمنّ، والذي يعتني بالحقّ نبيّاً لا ينجي إلّا عمل مع رحمة، ولو عصيت لهويت، اللهم قد بلّغت».

ثم نزل فصلٌ بالناس خفيفة، ثم دخل بيته، وكان إذ ذاك في بيت أم سلمة (رضي الله عنها)، فأقام به يوماً أو يومين، فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتنوّى تعليله، وسألت أزواج النبي ﷺ في ذلك، فأذن لها، فانتقل إلى البيت الذي أسكنه عائشة، واستمرّ به المرض فيه أيامًا، وثقل.

س ٤٦٣ : / ما هي قصة الصلاة خلف أبي بكر؟ هل هذا صحيح قد صلّى في الناس في حياة رسول الله ﷺ؟ !

ج : كلاً، لقد جاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله ﷺ مغمور بالمرض، فنادى : الصلاة يرحمك الله، فأذن رسول الله ﷺ بندائه، فقال : « يصلّي الناس بعضهم، فإني مشغول بنفسي »، فقالت عائشة : مروا أبي بكر، وقالت حفصة : مروا عمر، فقال رسول الله ﷺ حين سمع كلامهما ورأى حرص كلّ واحدة منها على التنويم بأبيها وافتانهما بذلك ورسول الله حي : « أكففن فلأنكنت صويمبات يوسف »، ثم قام مبادراً خوفاً من تقدّم أحد الرجلين، وقد كان رسول الله ﷺ أمرهما بالخروج مع أسامة، ولم يك عنده إيهما قد تخلّفاً، فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنهما متأخران عن أمره، فبدر لكفت الفتنة وإزالة الشبهة، فقام عليه السلام إنّه لا يستقلّ على الأرض من الضعف، فأخذ بيده عليّ بن أبي طالب والفضل بن العباس، فاعتمد عليهما ورجاله تحفظان على الأرض من الضعف، فلما خرج إلى المسجد وجد أبو بكر

قد سبق إلى المحراب، فأوْمأَ إليه بيده أن تأخر عنه، فتأخر أبو بكر، وقام رسول الله ﷺ مقامه فكبّر وابتداً الصلاة التي كان ابتدأها أبو بكر، ولم يبن على ما مضى من فعاله، فلما سلم انصرف إلى منزله.

س ٤٦٤ - س ٤٦٥ : / كيف تعامل رسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر عندما علم باستخلافهما عن جيش أسامة؟ وما قصة الكتاب الذي أراد ﷺ كتابته؟

ج : / استدعا ﷺ أبو بكر وعمر وجاءه ممن حضر المسجد من المسلمين، ثم قال : «لم أمر أن تنفذوا جيش أسامة؟» فقالوا : بلى يا رسول الله، قال : فلم تأخرتم عن أمري؟، قال أبو بكر : إني كنت قد خرجت، ثم رجعت لأجدد بك عهداً، وقال عمر : يا رسول الله، إني لم أخرج لأنّي لم أحبت أن أسأل عنك الركب، فقال النبي ﷺ : نفذوا جيش أسامة، نفذوا جيش أسامة. يكررها ثلث مرات.

وفي رواية أنه قال : ملعون من تخلف عن جيش أسامة. كررها ثلاثة، ثم أغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف الذي ملكه، فمكث هنيئة مغمي عليه، وبكى المسلمين، وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين، وجميع من حضر ..

الكتاب : فأفاق رسول الله ﷺ فنظر إليهم ثم قال : «إيتوني بدواة وكتف لاكتب لكم كتاباً لا تضلووا بعده أبداً» فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، وقال له عمر : ارجع فإنه يهجر، وعندكم القرآن،

حسبنا كتاب الله، واختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول: القول ما قال عمر، وتلاؤموا بينهم وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: ألا نأتيك بدواه وكتف يا رسول الله؟، فقال: أبعد الذي قلت؟ لا، ولكنني أوصيكم بأهل بيتي خيراً. وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا، وبقي عنده العباس والفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب وأهل بيته خاصة، فقال له العباس: يا رسول الله، إن يكن هذا الأمر فينا مستقرراً من بعدك فبشرنا، وإن كنت تعلم أنا نغلب عليه فأوص بنا، فقال: «أنتم المستضعفون من بعدي»، وأصمت، فنهض القوم وهم يبكون، قد يئسوا من النبي ﷺ.

س ٤٦٦: / ما فعل بعد كل هذه الحوادث التي مرت في جواب السؤال السابق النبي ﷺ؟!

ج: / لما خرجوا من عنده قال: «ردوا على أخي وعمي العباس»، فأنفذوا من دعاهم فحضر، فلما استقر بهما المجلس قال ﷺ: «يا عم رسول الله، تقبل وصيتي، وتنجز عدتي، وتقضي ديبي»، فقال العباس: يا رسول الله، عمكشيخ كبير، ذو عيال كثیر، وأنت تباري الريح سخاء وكرماً، وعليك وعد لا ينهض به عمك.

فأقبل على علي بن أبي طالب ﷺ فقال له: «يا أخي، تقبل وصيتي، وتنجز عدتي، وتقضي عني ديبي، وتقوم بأمر أهلي بعدي»؟

قال: نعم، يا رسول الله، فقال له: ادْنُ مَتِّي، فدنا منه، فضمه إليه، ثم نزع خاتمه من يده فقال له: خذ هذا فضعه في يدك، ودعا بيده ودرعه وجميع لامته فدفع ذلك إليه، والتمس عصابة كان يشدها على بطنه إذا لبس سلاحه وخرج إلى الحرب فجيء بها إليه، فدفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: امض على اسم الله إلى منزلك.

س ٤٦٧: / كان في إمكان رسول الله ﷺ رغم معاكسات جماعة من أصحابه أن يطلب كاتبه ويكتب الكتاب الذي كان يريد، فلماذا لم يتصرف هكذا، ولم يستغل مكانته القوية بل امتنع عن ذلك؟!

ج: / نعم لو أنه كان يصر على كتابة الكتاب لأصرروا في الإساءة إلى النبي الذي قالوا عنه أنه غلبه الوجع أو هجر، ولعدم أنصارهم إلى إشاعة وبث هذا الأمر الرخيص، وصنعوا لإثباته الأفاعيل فكانت تتسع رقعة الإساءة إلى رسول الله ﷺ في هذه الحالة وتستمر، فتفقد الرسالة أثرها المنشود.

من هنا عندما قال البعض للنبي - ملاقاة لما لحق به من الأذى -
أبعد الذي قلتم؟ فقال: أبعد الذي قلتم؟ لا ولكن أوصيكم بأهل بيتي
خيراً . . .

س ٤٦٨: / ما كان الهدف من الكتاب وكيف تستدلون على ذلك؟!
ج: / كان هدف النبي تعزيز الوصية ودعم خلافة الإمام أمير

المؤمنين على ﷺ وأمرته والتأكد على لزوم أتباع أهل بيته الذي صرّح به النبي ﷺ في الغدير وغيره.

وهذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدثي السنة والشيعة، لأن النبي ﷺ قال في شأن الكتاب الذي نوى كتابته: أنه يتغى كتابة شيء لا يصلون بعده أبداً. وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين إذ يقول رسول الله ﷺ معتبراً عدم الضلال بعده معلولاً لاتباع الكتاب والعترة إذ قال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي . . .

وكذلك يستفاد من كلام عمر عندما قال: . . . «حسبنا كتاب الله» أي لا حاجة لنا بعترته أهل بيته.

س٤٦٩: / عرفنا مما سبق أن معارضة الصحابة قد صرفت النبي ﷺ عن الكتابة، فهل صرفته عن الكلام؟!

ج: / كلا، بل أنه بلغ مقصوده من طريق آخر، فهو - بشهادة التاريخ - بينما كان يعاني المرض، والوجع الشديد، خرج إلى المسجد وهو متوكئ على عليّ بن أبي طالب ﷺ وميمونة مولاته فجلس على المسجد ثم قال: يا أئمّها الناسُ إني تارك فيكم الثقلين.

وَسَكَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا النَّقْلَانِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ سَكَتْ، قَالَ: «مَا ذَكَرْتَهُمَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ

بِهِمَا وَلَكُنْ رَبُوتُ فَلَمْ أُسْتَطِعْ، سَبَبْ طَرْفَهُ بِيْدَ اللَّهِ، وَطَرْفَ بِأَيْدِيكُمْ، تَعْلَمُونَ فِيهِ كَذَى، أَلَا وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَالثَّقْلُ الْأَصْغَرُ أَهْلُ بَيْتِي».

ثُمَّ قَالَ: وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَا قُوْلُ لَكُمْ هَذَا وَرِجَالٌ فِي أَصْلَابِ أَهْلِ الشَّرْكِ أَرْجُى عَنِّي مِنْ كَثِيرٍ مِنْكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَجْبُهُمْ عَبْدٌ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَرَدَ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ عَبْدٌ إِلَّا احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

هَذَا وَقَدْ رَوَى ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيَ تَدَارِكَ مَا فَاتَ بِصُورَةِ أُخْرَى، وَتَنَافِي بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ، إِذَا يُمْكِنُ وَقْعَ كُلِّيهِمَا.

إِنَّهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ وَقَدْ امْتَلَأَتْ بِهِمُ الْحَجَرَةِ وَهُوَ فِي مَرْضِهِ الَّذِي قَبَضَ فِيهِ: «أَئْبِهَا النَّاسُ يُوْشِكُ أَنْ أَقْبَضَ قَبْضًا سَرِيعًا، فَيُنْطَلِقُ بِي، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمُ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ أَلَا إِنِّي مُخْلِفٌ فِيْكُمْ كِتَابَ اللَّهِ رَبِّيْ عَزَّ وَجَلَّ وَعَتْرَتِيْ أَهْلِ بَيْتِي».

ثُمَّ أَخْذَ بِيْدَهُ عَلَيَّ ﷺ فَقَالَ: «هَذَا عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلَيَّ خَلِيفَتَانٌ نَصِيرَانِ، لَا يَفْتَرَقَانِ حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَسَأْهُمَا مَاذَا خَلَقْتُ فِيهِمَا»^(١).

(١) الصواعق المحرقة: ب٩، الفصل الثاني: ص٥٧.

س٤٧٥ : / عند وفاة رسول الله ﷺ هل بقي شيء في بيت المال؟!
 ج : / دأب رسول الله ﷺ في مجال بيت المال أن يوزع أمواله في
 أقرب فرصة سانحة بين الفقراء والمحاجين وعندما كان في فراش المرض
 تذكر أن هناك دنانير عند إحدى زوجاته فطلبتها فوراً، فأحضرتها عنده
 فأخذها ﷺ بيده وقال : ما ظنُّ محمد بالله لو لقي الله وهذه عنده?
 أنفقها .

ثم أمر عليهما فصدق بها .

س٤٧١ : / هذا المرض الذي أصاب رسول الله ﷺ ألم يكن له
 دواء وهو يقول : «لكل داء دواء»؟!

ج : / لما كانت أسماء بنت عميس وهي من قرييات ميمونة زوجة
 النبي ﷺ، والتي أقامت أيام الهجرة زمناً في الحبشة تعلمت من أهلها
 صنع عقار مركب من النباتات والأعشاب المختلفة، فلما اشتكتى
 وأغمي عليه تصورت أن الذي دهاه هو داء ذات الْجَنْبِ، وكانوا في
 الحبشة يداوون هذا المرض بذلك العقار، فعمدت إلى معالجته بذلك
 الدواء، بحسب شيء منه في فم النبي ﷺ ولما أفاق وعرف بما صنعوا
 غضب وقال : «ما كان الله ليسلط على ذات الْجَنْبِ»^(١).

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

س٤٧٢ : / ما هي قصة سوادة بن قيس ورسول الله ﷺ؟ !

ج : / خرج رسول الله ﷺ في أيام مرضه إلى مسجده مراراً يصلي بالناس ، ويدركهم أموراً .

وذات يوم من أيام مرضه أخرج إلى مسجده معصوب الرأس متكتأ على عليّ عليهما السلام بيمني يديه على الفضل باليد الأخرى فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما أيها الناس فإنه قد حان مني خُفوقٌ بين أظهركم فمن كانت له عندي عدة فليأتني أعطيه إياها ، ومن كان له على دين فليخبرني به ». .

فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله إن لي عندك عدة ، إني تزوجت فوعدتني أن تعطيني ثلاثة أوaci .

فقال ﷺ : اخلها يا فضل ثم نزل وعاد إلى بيته .

فلما كان يوم الجمعة - ثلاثة أيام قبل وفاته - صعد المنبر فخطب وقال فيما قال : أيُّ رجل كانت له قِبَلٌ مُحَمَّدٌ مظلومة إلاً قام فالقصاص في دار الدنيا أحَبَّ إلَيَّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأشهاد .

فقام إليه رجلٌ يقال له سوادة بن قيس فقال : إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب المشوق فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطيء .

قال **لبلال**: قم إلى منزل فاطمة فائتني بالقضيب المشوق.

إن طلب النبي ﷺ هذا بأن يقتص منه من له ذلك لم يكن مجرد جاملة أخلاقية... ولما أتي بالقضيب إلى رسول الله ﷺ قال: أين الشيخ؟

قال سواده: ها أنا ذا يا رسول الله بأبي أنت وأمي.

قال **لبلال**: فاقتصر متنى حتى ترضى.

قال سوادة: فاكشف لي عن بطنك.

ثم إنه وسط دهشة الصحابة وحزنهم وغمهم وبكائهم تقدم سوادة إلى النبي ﷺ وقال: أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال أعود بموضع القصاص من بطن رسول الله، وقبل بطن النبي ﷺ وصدره الشريف، فدعا له رسول الله وقال: «اللهم أعف عن سوادة بن قيس كما عفى عن نبيك محمد».

أقول: هذا مضافاً إلى أن ضرب بطن سوادة بالقضيب من قبل النبي لم يكن عمداً ولهذا لم يكن له الحق إلا فيأخذ الدية دون القصاص، مع ذلك أراد النبي أن يلبي طلبه لما قال أريد أن أقتص^(١).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٣٥.

س ٤٧٣ : / كيف كانت اللحظات الأخيرة، وما قصة قول علي عليه السلام : علمي ألف باب...؟!

ج : / عندما ثقل مرضه حجب عنه الناس، وكان أمير المؤمنين عليه السلام لا يفارقه إلا لضرورة، فقام في بعض شؤونه، فأفاق رسول الله عليه السلام إفاقه فافتقد عليه السلام، فقال وأزواجه حوله : «ادعو لي أخي وصاحبي»، وعاوده الضعف فأصمت، فقالت عائشة : ادعوه له أبا بكر، فدعى ودخل عليه وقعد عند رأسه، فلما فتح عينه نظر إليه، فأعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر فقال : لو كان له إلى حاجة لأفرض بها إلى، فلما خرج أعاد رسول الله عليه السلام القول ثانية، فقالت حفصة : ادعوا له عمر، فدعى فلما حضر ورآه رسول الله عليه السلام أعرض عنه، فانصرف، ثم قال : «ادعوا لي أخي وصاحبي»، فقالت أم سلمة (رضي الله عنها) ادعوا له عليه السلام فإنه لا يريد غيره.

فدعى أمير المؤمنين عليه السلام : فلما دنا منه أو ما إليه، فأكبت على فناجاه رسول الله عليه السلام طويلاً، ثم قام فجلس ناحية حتى أغفى رسول الله عليه السلام فلما أغفى خرج، فقال له الناس : ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟ فقال : علمي ألف باب من العلم، ففتح لي كل باب ألف باب، وأوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله تعالى.

س ٤٧٤ : / هل يمكنكم أن تصوروا لنا اللحظات الأخيرة؟!

ج : / عندما حضره الموت كان أمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده،

فلما قرب خروج نفسه قال له: «ضع يا عليّ رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيديك، وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتولّ أمري، وصلّ على أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريبي في رمسي، واستعن بالله تعالى».

فأخذ عليّ رأسه فوضعه في حجره، فأغمي عليه، فأكبت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثم اليتامى عصمة للأرامل

فتح رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عينه وقال بصوت ضعيف: يا بنتي، هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه، ولكن قولي: **«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ فَدَّخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَبَتُمْ عَلَيْهِ أَعْقَدِيْكُمْ»** ^(١).

فبكـت طويلاً، فأومـأ إليها بالدـنو منهـ، فـدنـت منهـ فـأسـرـ إليها شيئاً تـهـلـل وجهـها لـهـ، ثم قـبـض صلوات الله عليه وآله وسلامه وـيدـ أمـير المؤـمنـينـ الـيمـنىـ تـحـتـ حـنـكـهـ، فـفـاضـتـ نـفـسـهـ صلوات الله عليه وآله وسلامه فـرـفعـهاـ إـلـىـ وجـهـهـ فـمسـحـهـ بـهـاـ، ثم وجـهـهـ وـغـمـضـهـ، ومـدـ عـلـيـهـ إـزـارـهـ واـشـتـغلـ بالـنـظـرـ فـيـ أـمـرـهـ.

س ٤٧٥ : هل هناك رواية تبين لنا ما قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لفاطمة في جواب السؤال السابق؟!

ج : نعم، جاء في الرواية أنه قيل لفاطمة عليها السلام: ما الذي أسرّ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤ .

إليك رسول الله ﷺ فسرى عنك به ما كنت عليه من الحزن والقلق؟

قالت: إنه أخبرني أتني أول أهل بيته لحوقاً به، وأنه لن تطول المدة
لي بعده حتى أدركه، فسرى ذلك عني.

س ٤٧٦ : / كيف كان وضع أهل المدينة من الصحابة عندما سمعوا
خبر وفاة النبي ﷺ !

ج: / لم يلبث أن انتشر نبأ وفاته ﷺ في كل أنحاء المدينة التي تحولت بسرعة إلى مناحة كبرى، ومأتم عظيم، فصاح الخليفة الثاني خارج البيت ولأسباب خاصة أنَّ النبي لم يُمْتَأْ إِنْجَا عُرْجَ بِرُوحِه كما عُرْجَ بِرُوحِ موسى - لعله أراد عيسى ﷺ -، وأنه لا يموت رسول الله ﷺ! وأصرَّ على هذا الموقف وهدَّ كلَّ من يخالف ذلك، وكاد أن يوافق عليه فريقٌ من الناس لو لا أن أحد الصحابة تلا عليه قول الله سبحانه: «وَمَا حَمَدَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ». .

حتى فرغ من الآية، فسحب عمر موقفه، مستغرباً من وجود مثل هذه الآية قائلًا: هذا في كتاب الله^(١).

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ٢٦٧.

س ٤٧٧ - س ٤٧٨ : / من الذي غسل ودفن رسول الله ﷺ؟!
وحرف قبر رسول الله ﷺ؟!

ج : لقد قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بتغسيل جسد النبي الطاهر وحنطه وكفنه لأن النبي ﷺ كان قد قال : «يغسلني أقرب الناس إليّ» ولم يكن ذلك سوى علي ﷺ.

ولما فرغ علي ﷺ من تغسله كشف الإزار عن وجهه ﷺ وقال والدموع تنهمر من عينيه الشريفتين : «بأبي أنت وأمي طبت حيَا وطبت ميتاً، انقطع بموتك مالم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأباء، ولو لا أنة أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لأنفذنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً وقللاً لك، ولكنه مالا يملك رده ولا يستطيع دفعه! بأبي أنت وأمي أذكُرنا عند ربك، واجعلنا من بالك»؟ ثم إن الإمام أمير المؤمنين ﷺ كان أول من صلى على جثمان رسول الله ﷺ ثم صلى عليه المسلمين جماعة بدون إمام، ثم تقرر دفنه ﷺ في حجرته المباركة.

فقام أبو عبيدة الجراح وزيد بن سهل بمحفر قبر له ﷺ وإعداده ثم دُفن ﷺ في تلك الحفرة على يد أمير المؤمنين علي ﷺ يساعد في ذلك الفضل والعباس ورجل من الأنصار أسمه أوس بن خولي، ووضع خده على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه، ثم وضع اللبن وأهال عليه التراب . . .

س ٤٧٩ : / هل كان موت رسول الله ﷺ موت طبيعي أو مضى مقتول شهيداً؟

ج : / ورد في الأحاديث المعتبرة أن رسول الله ﷺ مضى شهيداً، كما روى الصفار بسند معتبر عن الإمام الصادق عـ قوله: «سُمِّ رسول الله ﷺ يوم خير، فتكلّم اللحم فقال: يا رسول الله إني مسموم، قال: فقال النبي ﷺ عند موته: اليوم قطعت مطابايك الأكلة التي أكلت بخبير، وما من نبيٍ ولا وصيٍ إلا شهيداً».

وقال في رواية أخرى:

«سَمِّتِ الْيَهُودِيَّةُ النَّبِيَّ فِي ذِرَاعٍ... فَأَكَلَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ الذِرَاعُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَسْمُومٌ، فَتَرَكَهُ، وَمَا زَالَ يَنْتَقِضُ بِهِ سَمَّهُ حَتَّى مَاتَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ».

س ٤٨٠ : / هل وردت عن الأئمة عـ زيارة خاصة للنبي ﷺ؟

ج : / في بداية الأمر نقول تستحب زيارته عـ من قرب ومن بعد، وفي كل يوم جمعة - مع الأئمة عـ -، ولو كان الزائر بعيداً عن قبورهم، فإذا وقف على مكان مرتفع وأدى زيارته يكن أفضل.

كما يستحسن زيارة رسول الله ﷺ عقب كل صلاة بهذه الكلمات التي علمها الإمام الرضا عـ لابن أبي نصر البزنطي، قال: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا محمد بن

عبدالله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا حبيب الله،
السلام عليك يا صفة الله، السلام عليك يا أمين الله،أشهد أنك
رسول الله، وأشهد أنك محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد نصحت
لأمتك وجاهدت في سبيل ربك، وعبدته حتى أتاك اليقين، فجزاك الله
أفضل ما جزى نبياً عن أمته، اللهم صل على محمد أفضل ما صللت
على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

أبناء رسول الله ﷺ

س٤٨١ : / من هم أبناء رسول الله ﷺ؟

ج : هم القاسم، وقد كانت ولادته قبلبعثة، والثاني عبدالله وكانت ولادته بعدبعثة، وقد لقب بالطاهر والطيب، وكلاهما ارتحل إلى دار الخلود في مكة، هذا ويقول البعض إن الطيب والطاهر اثنان لا بنين آخرين غير عبدالله وهو قول لم يؤخذ بالاعتبار.

والثالث إبراهيم، والرابع فاطمة، والجميع أولاد خديجة رضي الله عنها ما عدا إبراهيم فهو لمارية القبطية . . .

س٤٨٢ : / فمن يكونن أم كلثوم ورقية وزينب أليست هن بنات رسول الله ﷺ؟

ج : كلا ، بل هن بنات هالة اخت خديجة ومن أراد التوسع فليراجع كتابنا حياة السيدة خديجة رضي الله عنها .

س٤٨٣ : / متى كانت ولادة إبراهيم؟ وأين؟!

ج : من المشهور أن ولادة إبراهيم رضي الله عنه كانت في المدينة في السنة

الثامنة للهجرة، وبشره بولادته أبو رافع، فوهبه غلاماً، وسمى ولده إبراهيم، وفي اليوم السابع أمر له بحقيقة، وحلق رأسه، وتصدق على المساكين بوزن شعره فضة، وأمر بدفن شعره في الأرض.

س ٤٨٤ : من الذي أرضعت إبراهيم ﷺ ؟

ج : لقد تنازعـت نساء الأنصار في إرضاعـه، فأعطـاه ﷺ إلى أم بردـة بـنت المنذر بن زـيد لـترضـعـه.

س ٤٨٥ : متى توفي إبراهيم ﷺ ؟

ج : لم يـبق إبراهيم ﷺ في الدـنيـا طـوـيلـ بل تـوفـيـ في السـنـة العـاـشـرـة للهـجـرـة لـشـمـانـيـ عـشـرـة خـلـتـ مـنـ رـجـبـ، وـكـانـ عمرـهـ الشـرـيفـ سـنـة وـعـشـرـةـ أـشـهـرـ وـثـمانـيـةـ أـيـامـ، وـبـرـواـيـةـ أـخـرـىـ: سـنـةـ وـسـتـةـ أـشـهـرـ وـبـيـضـعـةـ أـيـامـ، وـدـفـنـ فـيـ الـبـقـيـعـ.

س ٤٨٦ : ما هي قصـةـ الحـسـينـ ﷺـ وـإـبـراـهـيمـ ﷺـ ؟

ج : يـروـيـ اـبـنـ شـهـرـ آـشـوـبـ رـحـلـةـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـوـلـهـ :

كـنـتـ عـنـدـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ وـعـلـىـ فـخـذـهـ الـأـيـسـرـ اـبـنـ إـبـراـهـيمـ، وـعـلـىـ فـخـذـهـ الـأـيـمـنـ الحـسـينـ بـنـ عـلـيـ ﷺـ، وـهـوـ تـارـةـ يـقـبـلـ هـذـاـ، وـتـارـةـ يـقـبـلـ هـذـاـ، إـذـ هـبـطـ جـبـرـئـيلـ بـوـحـيـ مـنـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ، فـلـمـاـ سـرـيـ عـنـهـ قـالـ:

أنا جبريل من ربى فقال: يا محمد، إنَّ ربَّك يقرئك السلام ويقول: لست أجمعهما، فاقد أحدهما بصاحبه، فنظر النبي ﷺ إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى، وقال: إنَّ إبراهيم أمَّه أمة «amarie»، ومات لم يحزن عليه غيري، وأمَّ الحسين فاطمة، وأبُوه عليَّ ابن عمِّي ولحمي ودمي، ومات حزنت ابنتي، وحزن ابن عمِّي، وحزنت أنا عليه، وأنا أوثر حزني على حزنها، يا جبريل يقْبض إبراهيم فديته للحسين.

قال: فقبض بعد ثلات، فكان النبي ﷺ إذا رأى الحسين مقبلاً قبله وضممه إلى صدره ورشف ثيابه.

وقال: «فديت من فديته بابني إبراهيم».

س ٤٨٧ / لقد كتب الدكتور هيكل في كتابه: «حياة محمد» ص ١٢٨ يقول: «لا ريب أن خديجة عند موت كل واحد منها «أي ولدي النبي: القاسم وعبدالله» في الجاهلية توجهت إلى آهتها الأصنام تسألاً ما بالها لم تشملها برحمتها وبرها» - فما رأيكم بذلك -؟

ج: / أقول: إنَّ هذا الكلام لا يستند إلى أي دليل تاريخي، وليس هو بالتالي إلا حَدْسٌ باطل، وإدعاء فارغ ليس له من منشأ إلا أنَّ أغلبية أهل ذلك العصر كانوا عبادة أوثان، فلا بدَّ أن خديجة كانت على متنه !!

في حين أن رسول الله ﷺ كان يبغض الأصنام والأوثان من بداية شبابه، وقد اتضح موقفه منها أكثر في سفرته إلى الشام في أموال خديجة يوم قال لمن استحلقه باللات والعزى: «إليك عني، فما تكلمت العرب بكلمة أثقل عليًّا من هذه».

مع ذلك كيف يمكن القول بأن امرأة لبيبة عاقلة لم يكن شدة حبها وشغفها بزوجها موضع شك، وأن توجهه عند موته ولديها إلى الأصنام التي كانت أبغض الأشياء عند زوجها، وخاصة أن حبها لزوجها وإقدامها على الزواج منه إنما كان بسبب ما كان يتاحلي به من إيمان ومعنوية، وصفات فاضلة، وملكات أخلاقية عالية، فهي قد سمعت عنه بأنه آخر نبي، وأنه خاتم المرسلين، فكيف والحال هذه يمكن أن يحتمل أحد أنها - مع هذا الاعتقاد - بثت شكوكها وحزنها إلى الأوثان والأصنام؟!؟ .

أقاربه ﷺ

س ٤٨٨ : / من هُم أعمام رسول الله ﷺ؟!

ج : يروي الشيخ الطبرسي وآخرون أنه كان لرسول الله تسعه أعمام هم بنو عبدالمطلب : الحارث، والزبير، وأبو طالب، وحزة، وغيداق، وضرار، والمقوم، وأبو هلب، والعباس.

س ٤٨٩ : / من كان أكبر أعمام رسول الله ﷺ؟!

ج : كان الحارث أكبرهم سنًا، وهذا يكتن عبدالمطلب بأبي الحارث، وكان شريكه في حفر بئر زمم.

س ٤٩٠ : / من هُم أبناء الحارث بن عبدالمطلب؟!

ج : هُم : أبو سفيان، والمغيرة، ونوفل، وربيعة، وعبد شمس.

وأبو سفيان أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، فقد أرضعته حليمة السعدية، وكان شبيهاً به ﷺ، توفي في العشرين من عمره، ودفن في البقيع، ويقال إن مدفنه في منزل عقيل بن أبي طالب. وخلف نوفل

بضعة أبناء منهم المغيرة بن نوفل، وهو الذي أمسك بابن ملجم المرادي (عليه اللعنة) بعد ضربته لأمير المؤمنين عليه السلام . . .

س ٤٩١ : من كان أخوة عبدالله والد رسول الله صلوات الله عليه وسلم من أمه وأبيه؟!

ج : / كان أبو طالب، وعبدالله أبو الرسول صلوات الله عليه وسلم ، والزبير أبناء أم واحدة، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم .

س ٤٩٢ : من هُم أبناء أبي طالب صلوات الله عليه وسلم وما كان أسمه؟!

ج : / اسم أبي طالب عبد مناف، وكان له أربعة أبناء : طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي عليه السلام ، وروي أنه كان يفصل بين كلّ من هؤلاء الأربعه عشر سنين، وكان لأبي طالب بنتان : أم هانئ، واسمها فاختة، وجمانة، وأمهما جميعهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وقد أعقبوا جميعاً، غير طالب .

س ٤٩٣ : هل يمكنكم ذكر نبذة عن العباس بن عبد المطلب وأبناءه؟!

ج : / نعم، العباس، كنيته أبو الفضل، وكانت معه سقاية زمزم، وقد أسلم في موقعه بدر، وتوفي في أواخر أيام عثمان، وقد كفَت بصره في أواخر عمره، وأمهه أم ضرار هي نُشيلة وكان له تسعة أبناء وثلاث بنات : عبدالله، وعبدالله، والفضل، وقُشم، ومعبد، وعبدالرحمن،

وَتَّمَامٌ، وَكَثِيرٌ، وَالْحَارِثُ، وَأُمَّ حَبِيبٍ، وَأُمَّةٌ، وَصَفِيَّةٌ، وَأُمُّ حَبِيبٍ مَعَ سَتَّةِ أَخْوَةٍ مَمَّنْ تَقْدَمَتْ أَسْمَاؤُهُمْ هِيَ أُمَّ الْفَضْلِ لُبَابَةُ بَنْتِ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّ، أَخْتُ مَيْمُونَةَ بَنْتِ الْحَارِثِ زَوْجَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَ أُمَّ الْفَضْلِ وَلَدَتْهُمْ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ مَدَافِنَهُمْ بَعِيدَةٌ عَنْ بَعْضِهَا، فَقَبْرُ الْفَضْلِ فِي أَجْنَادِينِ مِنْ أَرْاضِيِ الرُّومِ، وَمَعْبُدُ وَعْبَدُ الرَّحْمَنِ فِي إِفْرِيقِيَّةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ فِي الطَّائِفِ، وَعَبْدِ اللَّهِ فِي الْيَمَنِ، وَقَشْمٌ فِي سِرْقَنِ... .

وَيَقُولُ الْبَعْضُ أَنَّ أَبْنَاءَ الْعَبَّاسِ عَشَرَةً بِزِيادةِ عُوْنَ... . وَكَانَ تَامٌ أَصْغَرُهُمْ.

س ٤٩٤: / مَا كَانَ اسْمُ أَبْوَهُ لَهُبٍ وَمَنْ هُمْ أَبْنَاءُهُ؟

ج: / اسْمُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَأَبْنَاؤُهُ: عُتْبَةُ، وَعَتِيَّةُ، وَمُعْتَبُ، وَدَرَّةُ، وَأُمُّهُمْ أُمَّ جَيْلِ أَخْتِ أَبِي سَفِيَّانَ الَّتِي دَعَاهَا الْحَقُّ بِ: حَمَالَةِ الْحَطَبِ، لَقْبُ أَبِي لَهُبٍ لِأَحْمَارِ وَجْتِيهِ كَاللَّهُبِ... .

س ٤٩٥: / مَنْ هُنَّ عَمَاتُ النَّبِيِّ ﷺ؟!

ج: / عَمَاتُهُ ﷺ سَتٌّ مِنْ أَمْهَاتِ مُتَعَدِّدَةٍ: أُمِيمَةُ، وَأُمَّ حَكِيمٍ، وَبِرَّةُ، وَعَاتِكَةُ، وَصَفِيَّةُ وَأَرْوَى.

س ٤٩٦: / مَنْ كَانَ أَفْضَلُ أَعْمَامِ النَّبِيِّ ﷺ؟!

ج: / وَمَنْ بَيْنَ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَبُو طَالِبٍ وَالْحَمَزةَ

أفضلهم، وكان أبو طالب هذا الرجل الكبير سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، وقبلة القبلة، وحامي الرسول، وكان شيخاً جسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكام.

وأما حمزة بن عبد المطلب فهو عظيم الجلال أسد الله ورسوله أستشهد في أحد دفاعاً عن الإسلام.

س ٤٩٧ : / هل يمكنكم ذكر أزواج عمات النبي ﷺ ؟

ج : / نعم :

١ - أميمة يدعوها بعضهم فاطمة، فقد كانت زوجة جحش بن الريان، وولدت له عبد الله، وعبد الله وأبا أحمد، وزينب، وحننة، وأم حبيبة، وزينب هي زوجة زيد بن حراثة، وطلّقها زيد، وزوجها الحق تعالى من بنّيه عليه السلام.

٢ - أم حكيم كانت زوجة كُریز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وولدت له عامراً، وهو أبو عبد الله بن عامر وكان والياً لعثمان على العراق وخراسان.

٣ - برة: كانت زوجة أبي رہم، ثم صارت زوجة عبد الأسد بن هلال المخزومي بعده، وولدت له أبا سلمة، واسمها عبد الله وهو أول مهاجر إلى الحبشة مع زوجة أم سلمة، ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً وجراحة مات على أثرها، ومن بعده تزوج رسول

الله ﷺ من أرملته أم سلمة.

٤ - عاتكة: كانت زوجة عمير بن وهب، ثم صارت تحت كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار.

٥ - صقية: كانت زوجة الحارث بن حرب بن أمية، ثم تزوجت بعده من العوام بن خويلد أخي السيدة وولدت له الزبير.

٦ - أروى: لم أجدها ذكر عند الرواة.

س ٤٩٨ / كيف كانت علاقة العباس بن عبد المطلب بالنبي ﷺ؟

ج / يروي الشيخ الطوسي عن جابر الأنصاري قوله: أقبل العباس ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وكان العباس طواله حسن الجسم، فلما رأه النبي ﷺ تبسم إليه، فقال: إنك يا عمّ لجميل، فقال العباس: ما الجمال بالرجل يا رسول الله؟ قال: بصواب القول بالحق، قال: فما الكمال؟ قال: تقوى الله عزّ وجلّ وحسن الخلق.

ويروى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: احفظوني في عمّي العباس، فإنه بقية آبائي.

ويروى ابن بابويه أن جبرئيل عليه السلام هبط على رسول الله عليه السلام وعليه قباء أسود، ومنطقة فيها خنجر، فقال: يا جبرئيل ما هذا الزي؟

قال: زي ولد عمّك العباس، فخرج النبي عليه السلام إلى العباس فقال:

يا عمّ، ويل لولدي من ولدك، فقال: يا رسول الله، أفأجبت نفسي؟
قال: جرى القلم بما فيه.

س ٤٩٩ : / ما كان سبب حب النبي ﷺ لعقيل بن أبي طالب؟!
ج: / يروى عن ابن عباس أنَّ عليَّ بن أبي طالب ﷺ قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنَّك لتحب عقيلاً؟

قال: إِنَّمَا أَحِبُّهُ حَبَّةَ حَبَّينَ، حَبَّةَ لَهُ، وَحَبَّةَ لَحْبَةَ أَبِيهِ طَالِبٍ لَهُ، وَإِنْ وَلَدَهُ مَلْقُولٌ فِي مَحْبَّةِ وَلَدِكَ، فَتَدْمُعُ عَلَيْهِ عَيْنُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَصْلِي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ الْمَقْرَبُونَ - يقصد مسلم -، ثُمَّ بَكَى رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى جَرَتْ دَمَوعُهُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَى اللهِ أَشْكُوا مَا تَلَقَّى عَنِّي مِنْ بَعْدِي.

س ٥٠٠ : / هُنَاكَ كَوْكَبةٌ مِّنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهَلْ يُمْكِنُكُمْ ذَكْرُ عَدْدِهِمْ؟!

- ج: / نعم، وهم:
- ١ - سلمان الفارسي «المحمدي».
 - ٢ - أبو ذر الغفارى، جُندب بن جنادة.
 - ٣ - أبو معبد، المقداد بن الأسود. - المقداد بن عمرو البهراوى -.



- ٤ - بلال بن رياح .
- ٥ - جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري .
- ٦ - حذيفة بن اليمان العنسي .
- ٧ - خالد بن زيد - أبو أيوب الأنصاري - .
- ٨ - خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشيّ .
- ٩ - ذو الشهادتين - حُزيمة بن ثابت الأنصاريّ .
- ١٠ - زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبيّ .
- ١١ - سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجيّ الأنصاريّ .
- ١٢ - سيماك بن خرشة بن لوذان - أبو دجانة - .
- ١٣ - عبد الله بن مسعود الهمذانيّ .
- ١٤ - أبو اليقظان عمار بن ياسر العنسيّ .
- ١٥ - قيس بن عاصم المتنريّ .
- ١٦ - مالك بن نويرة الحنفي اليربوعيّ .

المحتويات

| | |
|-----|---------------------------|
| ٥ | المقدمة |
| ٧ | حياته |
| ٣٠ | «الولادة» |
| ٤١ | «الرضاعة» |
| ٥٣ | «صفاته وشمائله» |
| ٧٣ | «معاجزه» |
| ١٠٢ | «رسول الله ﷺ مع جده وعمه» |
| ١١٥ | «حرب الفجار وحلف الفضول» |
| ١٢١ | «تجارة الرسول ﷺ» |
| ١٢٨ | «الزواج المبارك» |
| ٢١٢ | «الإسراء والمعراج» |
| ٢٢٢ | «بعد وفاة أبي طالب ؓ» |

| | |
|-----------|--|
| ٢٥١ | «حوادث السنة الأولى من الهجرة النبوية» |
| ٢٥٨ | «السنة الثانية للهجرة» |
| ٢٨٢ | «السنة الثالثة من الهجرة» |
| ٢٨٨ | استشهاد حمزة بن عبدالمطلب |
| ٢٩٣ | «السنة الرابعة من الهجرة» |
| ٣٠٧ | «السنة الخامسة من الهجرة» |
| ٣٢٦ | «السنة السادسة من الهجرة» |
| ٣٣٨ | «السنة السابعة من الهجرة» |
| ٣٨٢ | «السنة التاسعة من الهجرة» |
| ٤٠٠ | «السنة العاشرة من الهجرة» |
| ٤٤٤ | أبناء رسول الله ﷺ |
| ٤٤٨ | أقاربه ﷺ |

